



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المؤتمر الدولي الإسلامي

تحت عنوان:

محمد ﷺ نبي الرحمة ورسول السلام

وشعار

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

٣ - ٤ ديسمبر ٢٠١٧

الموافق ١٤ - ١٥ ربيع الأول ١٤٣٩

سدني أستراليا

[www.darulfatwa.org.au](http://www.darulfatwa.org.au)



كِتَابُ  
الْبُحُوثِ

العقيدة الحقة بين الغلو والتقصير  
وبين الإفراط والتفريط

كلمة الشيخ الدكتور سليم علوان الحسيني  
أمين عام دار الفتوى في أستراليا  
في  
المؤتمر الدولي الإسلامي  
تحت عنوان  
"محمد نبي الرحمة ورسول السلام"  
وشعار  
«وكذلك جعلناكم أمة وسطا».

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي ﷺ الأمين وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد، معشر الحضور، السلام عليكم ورحمة الله

يقول الله تعالى في القرآن الكريم في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ «الأنبياء: ١٠٧-١٠٨»

لقد أرسل الله تعالى الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام بدين واحد هو الإسلام، وهو دين الملائكة عليهم السلام، وجعل الله تعالى هذا الدين العظيم دين عدل واعتدال ودين هدى ورحمة، فطوبى لمن تمسك به ودافع عنه.

وإنه لشرف لي أن أكون بينكم ممثلاً دار الفتوى في أستراليا ومحاضراً عن «العقيدة الحقة بين الغلو والتقصير وبين الإفراط والتفريط» شارحاً بشكل موجز عن:

\* الإسلام دين عدل واعتدال

\* بداية الدعوة الإسلامية

\* عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وبراءته من أهل التجسيم

\* وسطية الإمام أبي الحسن الأشعري بين المجسمة والمعطلة

\* خاتمة تتضمن نصيحة

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً له سبحانه ومقبولاً عنده عز وجل.

أبدأ محاضرتي متوكلاً على الله سبحانه وتعالى سائلاً إياه التوفيق والسداد.

**الإسلام دين عدل واعتدال:**

لقد اختار الله لأمة الإسلام منهجها وبين لها طريقها، وطريقها هو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، فهي أمة الوسطية، ودينها وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وإن وسطية الإسلام وسماحته لا تؤخذ من آراء الناس وأهوائهم، ولكنها تؤخذ من النصوص الشرعية، وإن دين الإسلام والمتمسكين به بعلم برءاء من الانحراف عن الوسط، والذي ينحرف عن هذه الوسطية بغلو أو جفاء فهو غير ممثل للإسلام، وإنما يمثل نفسه.

إن الشريعة الإسلامية تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف الذي يعبر عنه بألفاظ منها (الغلو) و(التنطع)، ومن نظر إلى هذه الأدلة تبين له وبوضوح أن الإسلام ينفر من الغلو:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

وَالْبَغْيُ يَعِظُكُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ النحل: ٩٠

وروى أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه في سننهما والحاكم في مستدرکه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوَّ فِي الدِّينِ».

قوله: «إياكم والعلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو مجاوزة الحد.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام أنه قال: «هلك المتنطعون» رواه مسلم، أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

بداية الدعوة الإسلامية:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ (الرعد: ٣٦)، وقال الله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩).

وروى الإمام مالك في موطئه أن رسول الله ﷺ عليه الصلاة والسلام قال: «وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وهذا أول ما أمر به النبي ﷺ أصحابه ليلغوه، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ..» الحديث.

وفي لفظ في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما بعث مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ..» الحديث.

فأول ما دعا إليه أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم توحيد الله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين ولهذا احتج إبراهيم الخليل عليه السلام على قومه بالدليل العقلي القاطع في أن كلاً من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح أن يكون إلهاً لأن كلاً منهم يتحرك ويتغير ويأفل، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (الأنعام: ٧٦) وأخبرنا الله عنه أنه قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩). وسمى الله ما استدل به إبراهيم حجة وأثنى عليها قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ

١ ذكر ذلك الإمام أبو المظفر الأسفرائيني (ت ٤٧١هـ) في التبصير في الدين ص ٩٧، والإمام أبو الوليد بن رشد (ت ٥٢٠هـ) في المقدمات ص ٧، وعلى هذا أهل السنة من مفسرين ومحدثين وفقهاء وغيرهم، وخالف في ذلك طائفة من الخوارج فجوزوا الكفر على الأنبياء قبل النبوة، ومعهم سيد قطب المصري (ت ١٣٨٧هـ)، فقد نسب للخليل إبراهيم أنه كان على عبادة الكواكب والشمس والقمر، انظر كتابه التصوير الفني في القرآن، ص/ ١٣٣، ومعهم أيضاً في هذا بل وزاد عليهم تقي الدين النبهاني (ت ١٤٠٠هـ) الذي جوز على الأنبياء قبل النبوة ما يجوز على سائر البشر، انظر كتابه الشخصية الإسلامية ج ١/ القسم الأول/ ١٢٠.

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿(الأنعام: ٨٣).

وأما هو (إبراهيم) عليه السلام كسائر النبيين عصمه الله من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها فلم يعبد كوكبا ولا قمرا ولا شمسا، لم يعبد إلا الله. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٥١). وقال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: ٦٧).

وهكذا بدأ نبينا محمد حتى استقرت وترعرت عقيدة الإسلام في ربوع الجزيرة العربية، واستمرت العقيدة النقية الخالصة حتى خرجت الفتوحات تجوب أرض المعمورة لنشرها في ربوعها، فاصطدم الفاتحون بكثير من المعتقدات التي كانت سائدة في تلك الديار البعيدة، وهذا مما أدخل على الناس باسم العقيدة الكثير من الشوائب.

ولعل دخول الإسرائيليات إلى التفاسير القرآنية والأحاديث النبوية هو من أخطر ما واجه العقيدة الإسلامية.

فتأثر بهذه الأفكار الكاسدة عدة فرق، من أبرزهم كانت المعتزلة، التي ظهرت في بداية القرن الثاني للهجرة الذي كان مشعبا بأثار ما يسمى الثقافات الأجنبية.

ومن الإسرائيليات التي دخلت إلى أفكار الناس باسم عقيدة الإسلام مما امتلأت به التوراة المحرفة، عقيدة: (أن الله جسم وأنه ذو صورة إنسانية، والمشافهة والتكلم جهرا، وطلوع الله في السحاب وكتابة التوراة بيده، والاستقرار وظهور نواجذه من كثر الضحك...)

وفي الوقت ذاته تأثرت أفكار بعض الناس تأثرا قويا ببعض الديانات الفارسية القديمة والتي عرفها المسلمون من خلال الغنوصية. ولقد كانت لبعض تلك العقائد كالمناوية والديسانية وغيرها أثر واضح في آراء الكرامية.

ويعتبر عبد الله بن سبأ هو أول من أدخل لفظ (الجسم) في الفلسفة باسم الإسلام وأطلقه على الله تعالى.

وبظهور الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) الذي كان من كبار المحدثين الفقهاء في عصره، وكان من جملة من عانى من ظلم واضطهاد المعتزلة، ولكنه ابتلي من كثير ممن انتسب إليه الذين كانوا يحملون آراءه ما لا تحمل ويكذبون عليه.

وغلاة الحنابلة من هؤلاء لم يبتدعوا التجسيم والتشبيه وإنما جمعوا ما تفرق من ذلك وزادوا عليه ونشروه ودافعوا عنه نتيجة للخصومة مع المعتزلة وغيرهم ممن يبالغ في نفي الصفات.

وعند اشتداد انتشار المبتدعة، ظهر الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله بوسطيته فلم يميل إلى

الحشوية المجسمة ولا إلى المعتزلة المعطلة، وكان من أجل الأصول التي اعتمد عليها القول بأن الله خالق كل شيء، وأن العبد كاسب لفعله لا خالق له. وأثبت الصفات القديمة ونزه ذات الباري تعالى عن حلول الحوادث فيه. فالمعتزلة نفت عن الله الصفات، ونفت شمول قدرة الله ومشيئته لكل ما دخل في الوجود من خير وشر، واعتبرت أن العبد خالق لفعله الاختياري، والمجسمة شبهوا الله تعالى بخلقه، فأثبتوا لله حدًا وجهة وحلول الحوادث في ذاته سبحانه.

وهكذا نجد أن الأشاعرة أخذوا طريقًا وسطًا بين الحشوية والاعتزال. فالأشاعرة ومعهم الماتريدية نجحوا في أن ينتزعوا فكرة التشبيه من أذهان الكثيرين، كما إنهم اعتبروا أن النقل (النصوص الشرعية الثابتة) هو الأساس وأن العقل شاهد للنقل أنه صحيح، ووسيلة لإثباته والبرهان على صحته.

ولا ننسى أن الإمام أبا الحسن (وكما سيتضح في هذا البحث) لم يبتدع مذهبًا جديدًا، وإنما جمع ما تفرق من كلام علماء أهل السنة، وأيد النقل بالعقل. وكذلك الإمام أبو منصور الماتريدي رحمهما الله تعالى.

فالأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة، السواد الأعظم من هذه الأمة، (الذين ثبتوا على العقيدة الحقّة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه)، استمروا في تقرير العقيدة الإسلامية الصافية المستقاة من كتاب الله وسنة نبيه وما قرره علماء السلف وأجمعت عليه الأمة، الخالية من التشبيه والتجسيم ونسبة الحد والجهة والمكان لله ومن التعطيل والحلول والاتحاد والإلحاد ومن تعقيدات الفلاسفة والنحل المردية كالمشبهة والحوارج والجهمية والمعتزلة وأمثالهم.

### عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وبرأته من أهل التجسيم:

من أهم ما في حياة الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه منهجه في العقيدة والتزامه نهج الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة:

- في توحيد الله وتنزيهه عن الجسم والمكان والجهة والحركة والسكون، فقد نقل الإمام أبو الفضل التيمي الحنبلي في كتاب «اعتقاد الإمام أحمد ص ٣٨» عن الإمام أحمد أنه قال: «والله تعالى لا يلحقه تغير ولا تبدل ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان ينكر - الإمام أحمد على من يقول إن الله في كل مكان بذاته لأن الأمكنة كلها محدودة».

ونقل أبو الفضل التيمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها في كتاب (اعتقاد الإمام أحمد ص ٤٥) عن أحمد قال: «وأنكر أحمد على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليفٍ والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجيء في الشريعة ذلك فبطل» اهونقله الحافظ البيهقي عنه في مناقب أحمد وغيره.

وبين الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه ص ٥٦» براءة أهل السنة



عامّة والإمام أحمد خاصة من عقيدة المجسمة وقال: « كان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ »

وذكر القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه « إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص ١٠٨ » أن الإمام أحمد لا يقول بالجهة للبارئ. اهـ

ونقل الإمام الحافظ العراقي والإمام القرافي والشيخ ابن حجر الهيتمي وملا علي القاري ومحمد زاهد الكوثري وغيرهم عن الأئمة الأربعة هداة الأمة الشافعيه ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم. بل نقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال بتكفير من قال: « الله جسم لا كالأجسام ».

وعبارته المشهورة التي رواها عنه أبو الفضل التميمي الحنبلي « مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك » دليل على نصاعة عقيدته وأنه على عقيدة التنزيه.

- كذلك أول الإمام أحمد الآيات المتشابهات في الصفات فقد روى الحافظ البيهقي، عن الحاكم، عن أبي عمرو بن السماك، عن حنبل، أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أنه: جاء ثوابه. ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه. ونقل ذلك ابن كثير في تاريخه (٣٢٧/١٠).

وفي رواية نقلها البيهقي في كتاب « مناقب أحمد » أن الإمام قال: « جاءت قدرته » أي أثمر من آثار قدرته، ثم قال الحافظ البيهقي: « وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته » اهـ

وفي الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للعالم المفسر محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي المتوفى سنة ١٠٥٧هـ في باب الحث على الدعاء والإستغفار في النصف الثاني من كل ليلة ١٩٦/٢ ما نصه: وأنه تعالى منزّه عن الجهة والمكان والجسم وسائر أوصاف الحدوث، وهذا معتقد أهل الحق ومنهم الإمام أحمد وما نسبه إليه بعضهم من القول بالجهة أو نحوها كذب صراح عليه وعلى أصحابه المتقدمين كما أفاده ابن الجوزي من أكابر الحنابلة. انتهى بحروفه.

وذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري صحيفة ١٦٤: ذكر ابن شاهين قال: رجلان صالحان بليبا بأصحاب سوء، جعفر بن محمد، وأحمد بن حنبل. اهـ

وفي الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣هـ ص/١٤٤: « عقيدة إمام السنّة أحمد بن

١ وعبارته في كتابه المنهاج القويم على المقدمة الحضرمية ص ٢٢٤: « واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك » اهـ

٢ نقل الحافظ العراقي عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة والأشعري والباقلاني تكفير من نسب إلى الله الجهة، انظر شرح المشكاة لملا علي القاري (٣/٣٠٠) في مقالاته ص ٣٢١

٤ راجع كتابنا « تفسير أولي النهى لقوله تعالى الرحمن على العرش استوى » فيه نقول وافية وشافية عن الأئمة الأربعة وغيرهم.

٥ ومن نقل عن الشافعي تكفيره للمجسم، الحافظ السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر ص ٤٨٨، ونقل الإمام ابن الرفعة في كتابه كفاية النبي ﷺ شرح التنبيه ج ٤/٢٤ أن القاضي حسين حكى عن نص الشافعي تكفير من يعتقد أن الله جالس على العرش. اهـ وذكره أيضا ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي ص ٥٥١

٦ ذكر ذلك المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع ج ٤/٦٤٨ وقال: ونقل عن الأشعرية أنه يفسق، وهذا النقل عن الأشعرية ليس بصحيح. اهـ

حنبل: هي عقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون غُلُوبًا كبيرًا من الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات النقص بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مُطلق، وما اشْتَهَرَ بين جهلة المنسويين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه فلَعَنَ اللَّهُ مَنْ نَسَبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَوْ رَمَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَثَالِبِ الَّتِي بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهَا» اهـ

### وسطية الإمام أبي الحسن الأشعري بين المجسمة والمعطلة

أهل السنة هم الذين أحسنوا فهم الشريعة، وتمكنوا من حقيقة أصولها، ولم يقطعوا إلا بما قطع به الشرع في المنقولات، ولم يجزموا إلا بما لا تتردد به العقول. بل هي الطائفة الغالبة بحيث إذا قورنوا بغيرهم من الفرق اضمحل الآخرون. وأهم ما يتميز به أهل السنة عن غيرهم علم التوحيد، وهو علم أصول الدين. فتجنب أهل السنة الضلال، ولذلك لا ترى لهم أصلًا اعتمده مخالفًا لقطعي شرعي أو عقلي.

فمن أجل أصولهم القول بأن الله فاعلٌ بالاختيار، فله تقديم الحادث وله تأخيره بحسب اختياره، وبهذا تميزوا عن المعطلة المعتزلة القائلين بالوجوب على الله تعالى وبلزوم كون فعله على مقتضى الصلاح أو الأصلح، وخالفوا المجسمة الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات، فأثبتت المجسمة لله حدًا وجهة وحلول الحوادث في ذاته، ونفى أهل السنة ذلك كله. وخالف أهل السنة المعتزلة في فعل الله تعالى وصفاته، حيث أثبت المعتزلة خلق الأفعال الاختيارية للعبد<sup>٢</sup>. وخالفهم أهل السنة لأن فعل العبد الاختياري شيء، والله خالق كل شيء، وأفعال الإنسان تصرفٌ فيما خلق الله بالكسب، ونفت الجبرية الإرادة والاختيار عن العبد، وسلك الأشعري طريقًا وسطًا فأثبت للعبد الكسب بخلق الله<sup>٦</sup>. وقد قال الإمام أحمد إن للعبد كسبا كما نقله عنه القاضي أبو يعلى في كتابه المعتمد الكبير، ونصره وأطال في الاستدلال عليه<sup>٧</sup>.

ووصل الأمر بالمعتزلة إلى أن يخضعوا النقل للعقل، ويحوروا العقائد الدينية بحيث توافق التعاليم الفلسفية. وقد ذهب المعتزلة في تقدير العقل بعيدًا فقالوا: إذا تعارض النقل والعقل، وجب تقديم العقل لأنه أساس النقل، وإذا أجمع العقلاء على شيء أنه حسن أو قبيح كان إجماعهم حجة<sup>٨</sup>.

ثم تزايدت جرأة المعتزلة فصاروا يهاجمون النقل. ولهذا اشتغل عدد كبير منهم في وضع التفاسير

١ قال الزركشي في تشنيف المسامع ج ٤/ ٨٧: والدليل عليه قوله تعالى: [وربُّك يخلق ما يشاء ويختار] اهـ

٢ بل صرحوا بأن الله أعطى العبد القدرة على خلق فعله ثم صار الله عاجزًا عن ذلك، وصرحوا بأن كل حيوان محدث لأعماله وليس لله في شيء من أعمال الحيوانات صنع اهـ نقل ذلك عنهم العلماء المحققون وكفروهم كالإمام أبي منصور البغدادي في كتابيه الفرق بين الفرق وأصول الدين، والإمام البلقيني في حواشي الروضة، والإمام أبي الحسن شيبث بن إبراهيم في حز الغلاصم في إفحام المخاصم، وغيرهم.

٣ ومثلهم في عصرنا حزب التحرير فقد قال مؤسس الحزب تقي الدين النبهاني في كتابه الشخصية الإسلامية ج ١/ القسم الأول/ ٧١-٧٢: وهذه الأفعال (أي أفعال الإنسان) لا تدخل لها بالقضاء ولا دخل للقضاء بها، لأن الإنسان هو الذي قام بها بإرادته واختياره، وعلى ذلك فإن الأفعال الاختيارية لا تدخل تحت القضاء. اهـ وقال في ج ١/ القسم الأول/ ٧٤ من الكتاب المذكور: فتعليق المثوبة أو العقوبة بالهدى والضلال يدل على أن الهداية والضلال هما من فعل العبد وليس من الله. اهـ

٤ وعلى هذا السلف الصالح فقد قال الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر ص ٨٩: وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره. اهـ

٥ نقل ذلك عنهم الإمام أبو منصور البغدادي في أصول الدين ص ١٣٥

٦ نقل ذلك عنه الإمام ابن فورك في كتاب مجرد مقالات الأشعري ص ١٠٦-١١٠

٧ نقل ذلك الإمام الزركشي في تشنيف المسامع (ص ٤٣٠/ مخطوط) وما بعدها، ورد فيها على ابن تيمية الذي أنكر الكسب وقال لاحقيقة له. اهـ

٨ المستصفي من علوم الأصول للغزالي: ١/ ٥٧

القرآنية وأما الحديث فإنهم شنوا عليه وعلى المحدثين غارة شعواء وهاجموهم هجوماً عنيفاً. هذا وقد حاول المعتزلة أن يبطلوا الحديث كله من أساسه، فقالوا إن خبر الواحد العدل لا يوجب العلم، ذلك بأن أكثر الأحاديث أخبار أحاد، فإذا كانت أخبار الآحاد لا يحتج بها، بطل الاستدلال بشيء من هذا في الأحكام؟.

وأخيراً تمادى المعتزلة في تهجمهم على المحدثين، فلما انتهت إليهم السلطة في زمن المأمون وما بعد المأمون، لم يتورعوا عن اضطهادهم وحملهم على الأخذ بآرائهم وأقوالهم بالقوة. فكان ذلك، كما رأينا، من أهم الأسباب في سقوطهم. وبهذا أعطوا الذرائع لغلاة الحنابلة وهم المجسمة في ذلك العصر. إلى مهاجمة علماء السنة المنزهين بل وإلى تكفيرهم.

كان الأشعري سنيا من بيت سنة، وفي بدء حياته درس مذهب الاعتزال على أبي علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ) ولكنه أدرك ببصره النافذ وعقله الراجح حقيقة الوضع... رأى الهوة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال في اتساع، فأعلن انفصاله عنهم ورجوعه إلى حظيرة السنة، واتخذ طريقاً وسطاً بين التشبيه وبين التعطيل (مذهب المعتزلة)<sup>٢</sup>. وقد لاقى هذا العمل قبولاً لدى الناس.

وهذا ما بدأه الأشعري وأكمله من بعده أتباعه الكثيرون الذين اعتنقوا مذهبه وساروا على طريقة وهم صفة علماء الإسلام في وقتهم وخيرة رجاله كالقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) وابن فورك (ت ٤٠٦هـ) وأبي إسحق الأسفرايني (ت ٤١٨هـ) وعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) والقاضي أبي الطيب الطبري (ت ٤٥٠هـ) وأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) وأبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) وأبي إسحق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) رئيس المدرسة النظامية ببغداد، وإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ) والإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وابن تومرت (ت ٥٢٤هـ) المغربي تلميذ الغزالي الذي نشر الأشعرية في بلاد المغرب، والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) وغيرهم كثير شرحوا عقائد الأشعري ونظموها ودافعوا عنها بالأدلة والبراهين العقلية والعقلية، فكان لهم أكبر الفضل وأعظم الأثر في نجاح المذهب الأشعري وانتشاره.

فلما قام الأشاعرة اعتبروا أن النقل (النصوص الشرعية الثابتة) هو الأساس وأن العقل شاهد للنقل أنه صحيح، ووسيلة لإثباته والبرهان على صحته. وأن الشرع إنما يردُّ بمجوزات العقول.

فمن غير العسير علينا بعد هذا أن ندرك أن ما ذهب إليه الأشعري هو ثمرة من ثمار الوسطية وأثر حسن من آثاره. فالأشاعرة نجحوا في أن ينتزعوا فكرة التشبيه من أذهان الكثيرين.

ونحن نحمد الله تعالى على هذه العقيدة السنية التي نحن عليها والتي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، والتي مدح الرسول ﷺ معتنقها، فقال فيما رواه الإمام أحمد والبخاري

١ انظر الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد (عبد الرحيم الخطيب) ص ٦٨  
٢ ووافقهم حزب التحرير في عصرنا هذا، وقد رد العلماء على هذه المقولة، فقد قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي في كتابه التبصرة: يجب العمل بخبر الواحد من جهة الشرع. اهـ ونقله النووي في شرح مسلم عن جماهير العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول، ثم أبطل قول القدرية المعتزلة الذين لم يوجبوا العمل به، ثم قال النووي: والشرع قد جاء بوجوب العمل بخبر الواحد. اهـ  
٣ مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٦  
٤ انظر طبقات الشافعية للسبكي (٣/٤-٥٢-٨٩-١١١-١٧٦-٢٣٨-٢٥٠) (٤/٧١-٧٩)  
٥ انظر كتاب الفقيه والمتفقه ص ١٣٢ للحافظ الخطيب البغدادي.

والطبراني والحاكم بسند صحيح: «لُفْتُحَنَ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»، ولقد فتحت القسطنطينية بعد تسعمائة عام، فتحها السلطان محمد الفاتح الماتريدي رحمه الله، وكان سنيًّا يعتقد أن الله موجود بلا مكان ويجب الصوفية الصادقين ويتوسل بالنبي.

والسلطان محمد الفاتح والجيش الذي كان معه شهد لهم الرسول ﷺ بأنهم على حال حسن. وكذا سائر السلاطين العثمانيين الذين ذبوا عن بيضة المسلمين وحموا حيا الملة قرونًا متتالية.

وعلى هذا الاعتقاد مئات الملايين من المسلمين سلفًا وخلقًا في الشرق والغرب تدریسًا وتعلیمًا ويشهد بذلك الواقع المشاهد، ويكفي لبيان حقيقة هذا كون الصحابة والتابعين وأتباع التابعين (وهم السلف الصالح) ومن تبعهم بإحسان على هذه العقيدة، فممن تبعهم بإحسان:

هؤلاء الحفاظ الذين هم رءوس أهل الحديث الحفاظ أبو بكر الإسماعيلي صاحب المستخرج على البخاري، ثم الحفاظ العَلَمُ المشهور أبو بكر البيهقي ثم الحفاظ الذي وُصف بأنه أفضل المحدثين بالشام في زمانه ابن عساكر، كان كل واحد من هؤلاء علمًا في الحديث في زمانه، ثم جاء من هو على هذا المنوال الحفاظ الموصوف بأنه أمير المؤمنين في الحديث أحمد ابن حجر العسقلاني، فمن حقق عرف أن الأشاعرة فرسان ميادين العلم والحديث، ومنهم مجدد القرن الرابع الهجري الإمام أبو الطيب سهل بن محمد وأبو الحسن الباهلي وأبو بكر بن فورك وأبو بكر الباقلاني وأبو إسحق الأسفراييني والحافظ أبو نعيم الأصبهاني والقاضي عبد الوهاب المالكي والشيخ أبو محمد الجويني وابنه أبو المعالي إمام الحرمين وأبو منصور البغدادي والحافظ الدارقطني والحافظ الخطيب البغدادي والأستاذ أبو القاسم القشيري وابنه أبو نصر والشيخ أبو إسحق الشيرازي ونصر المقدسي والغزالي والفراوي وأبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي وقاضي القضاة الدامغاني الحنفي وأبو الوليد الباجي المالكي والإمام السيّد أحمد الرفاعي وابن السمعاني والقاضي عياض والحافظ السلفي والنووي وفخر الدين الرازي والعزّ بن عبد السلام وأبو عمرو بن الحاجب المالكي وابن دقيق العيد وعلاء الدين الباجي وقاضي القضاة تقي الدين السبكي والحافظ العلائي والحافظ زين الدين العراقي وابنه الحفاظ وليّ الدين والحافظ مُرتضى الزبيدي الحنفي والشيخ زكريّا الأنصاري والشيخ بهاء الدين الرواس الصوفي ومفتي مكة أحمد زيني دحلان ومُسند الهند وليّ الله الدهلوي ومفتي مصر الشيخ محمد عليش المالكي المشهور وشيخ الجامع الأزهر عبد الله الشرقاوي والشيخ المشهور أبو الحسن القاوقجي نُقطة البيكار في أسانيد المتأخرين والشيخ حسين الجسر الطرابلسي والشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت والعلامة علوي بن طاهر الحضرمي الحداد وشافعي العصر رفاعي الأوان الشيخ الفقيه المحدث عبد الله الهرري والشيخ الصوفي الصادق مصطفى نجما مفتي بيروت وغيرهم من أئمة الدين كثير لا يُحصيهم إلا الله.

ومنهم الوزير المشهور نظام الملك والسلطان العادل العالم المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله فإنه أمر أن تذاق أصول العقيدة على حسب عبارات الأشعري على المنائر قبل أذان الفجر، وأن تُعلّم المنظومة التي ألفها له محمد بن هبة البرمكي للأطفال في الكتاتيب، ومما جاء فيها:

وصانع العالم لا يحويه  
قد كان موجودا ولا مكانا  
سبحانه جلّ عن المكان  
فقد غلا وزاد في الغلو  
قطر تعالى الله عن تشبيهه  
وحكمه الآن على ما كانا  
وعزّ عن تغير الزمان  
من خصه بجهة العلو

وهذه العقيدة تدرس في جامعة الأزهر في مصر وفي جامعة الزيتونة في تونس بل وسائر المغرب العربي، وكذا في أندونيسيا وماليزيا وباكستان وتركيا وبلاد الشام والسودان واليمن والعراق والهند وإفريقيا وبنجاري والداغستان وأفغانستان وسائر بلاد المسلمين.

ومنهم الملك الكامل الأيوبي والسلطان الأشرف خليل بن المنصور سيف الدين قلاوون، بل وكل سلاطين المماليك.

وليس مُرادنا بما ذكرنا إحصاء الأشاعرة والماتريدية فمن يُحصى نجوم السماء أو يحيط  
علمًا بعدد رمال الصحراء؟

فالأشعرية والماتريدية هم أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية.

## خاتمة

### تتضمن نصيحة

يقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ويقول عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١)، ويقول الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٦٢)، وعن هود عليه السلام: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٨).

وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَالْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم.

وَعَنْ جَرِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالتُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» رواه البخاري ومسلم.

فنصيحتنا لكل مسلم أن يتمسك بالعتيدة السننية الأشعرية والماتريدية، وأن يعمل على نشرها والدفاع عنها، سيما الأمراء والعلماء، وكل من خلال دوره. وبهذا تقوى الأمة وتهاب بين الأمم. وهي الصيانة والسياس لكل مواطن، والأمن والأمان لكل وطن.

وإعلم أخي المسلم رحمك الله بتوفيقه أن سبيل وحدة الأمة وجمع كلمتهم يكون بجمع قلوبهم على العقيدة الحققة وهي عقيدة الأشاعرة والماتريدية أهل السنة والجماعة، عقيدة السلف الصالح، عقيدة النبي ﷺ وأصحابه وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ءامين

وهذه ءاخر كلمتنا ونصيحتنا وهو الموفق وعليه التكلان وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ  
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ءااار ولاة النى مءمء ﷺ على العالمين

كلمة الشىء أمء عرفاء

مسئول مكآب الآللم  
فى ءمعة المشارع الآلرية الإسلامية

سءنى أسآرالفا

الحمد لله الذي أنعم علينا بمحمد سيد البشر فخر ربيعة ومُضر من انشق له القمر وسلّم عليه الحجر وسعى لخدمته الشجر، صلاةً وسلامًا تامين مُتلازمين إلى يوم المحشر، أما بعد:

قال الله عز وجل: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا، رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أرسل الله عز وجل رسوله محمدًا بالهدى ودين الحق فعمت أنوار هدايته وانتشرت آثار بعثته وبروزه للعالمين فكان هاديًا إلى طريق الحق ومبشرًا بنعيم أبدي لمن آمن به ومنذرا من عذاب أليم لمن كذبه وجحد به، وكان داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا وهّاجًا وقمرًا منيرًا يضيء طريق الحيارى ويبين لهم، فهو صاحب الفضل العظيم والخير العميم وصاحب الأخلاق العليا والأيادي البيضاء وهو صاحب الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود والحوض المورود، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، أي من جنسكم ومن نسبكم عربي من أشرف قبائل العرب من قريش، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي العربي ﷺ، ويبين هذا النسب الشريف وهذا العقد المتلألئ بقوله: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)، فكان صفوةً من صفوة وخيرةً من خيرة ﷺ، وهو الماحي الذي يمحي به الكفر وهو الحاشر الذي يحشر الناس على عقبه وهو العاقب الذي لا نبي بعده وهو نبي الرحمة الذي قال عنه ربه عز وجل: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وهو سيد الأولين والآخرين الذي قال: (أَنَا سَيِّدُ وَدَادِ أَدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) رواه مسلم.

رفع الله ذكر محمد في الأولين وفي الآخرين وبين الملائكة إلى يوم الفصل والدين قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، رُفِعَ ذِكْرُهُ بِأَنْ قُرِنَ ذِكْرُهُ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فِي الْخُطْبِ وَالتَّشْهَدِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي تَسْمِيَتِهِ رَسُولَ اللَّهِ وَنَبِيَّ اللَّهِ وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْأَوْلِيَيْنِ.

هذا النبي ﷺ الكريم العظيم القدر عند الله تعالى، ببرز نور هدايته ومولده للدينا بدأت رايات الباطل وصروح الشرك والوثنية تنمحي وانقلب مسار التاريخ من أسوء الأحوال التي كانوا عليها إلى أن صاروا دعاة إلى الخير والتوحيد ومحاسن الأخلاق، فالله تعالى رحمنًا بمحمد وهو القائل لنبيه صلوات ربي وسلامه عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَأَةٌ)، وإن آثار ولادة نبينا ظاهرة على البشرية وظاهرة عبر السنين، ويشهد بها القريب والبعيد والصديق والعدو.

محمد علم الدنيا مكارم الأخلاق ومحاسنها فقد بعث لإتمامها وهو القائل: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)، فهو صاحب الخلق العظيم الذي قال تعالى في وصف خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، كان الناس قبل بروزه للدينا منغمسين في القبائح والرذائل وبعيدين كل البعد عن الأخلاق الحسنة، فصاروا بعده دعاة إلى ما يستحسن من الأخلاق من حلم وعطف وصفح وإحسان للجار وبر للوالدين وغيرها من محاسن الأخلاق، فقد كان إمامًا لهم في الأخلاق الحسنة وداعيًا إليها



ومعلمها وقد جاء عن بعض الصحابة في وصف خلق رسول الله ﷺ: (لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا) رواه البخاري، وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا) رواه البخاري، بعث هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى التوحيد وترك عبادة غير الله فانتشر العدل والحضارة في مشارق الأرض ومغاربها.

كان الناس قبل بعثته يعبدون الأصنام والكواكب ويعبدون بعضهم البعض حتى وصل الجهل ببعضهم أنه يصنع صنما من تمر فيعبده وعندما يجوع يأكله، فصاروا بعد ذلك دعاة إلى التوحيد وإلى أنوار الهداية وإلى عبادة الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء الذي ليس جسما ولا يشبه الأجسام الذي لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان، وقد دعاهم إلى أعمال التفكير والنظر في مخلوقات الله تعالى فيستدل بذلك على أن الخالق سبحانه وتعالى لا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا يوصف بصفات البشر، بعد أن كانوا على التقليد الأعمى لأبائهم في شركهم وأخلاقهم، فقد روى ابن حبان أن النبي ﷺ قرأ هذه الآيات ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إلى آخر السورة وقال: (وَيَلِّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا)، فهذه دعوة للتفكير في مخلوقات الله عز وجل، وهو ممدوح في شرع الله عز وجل.

ومن بداية دعوته جعل الرابطة المقدمة بين المسلمين رابطة الدين والعقيدة وليست رابطة النسب والقربان فجمعت هذه الرابطة بين الصحابة رضوان الله عليهم على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم يدعون إلى التوحيد ويقومون به، وهي التي جمعت بين بلال الحبشي وصهيب الرومي وأبي بكر القرشي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين.

فآثار مولده وبروزه إلى الدنيا عظيمة كثيرة فهو الذي كان فردا فصار أمة فأية رابطة هي التي جمعت كل هؤلاء الصحابة وأي رجل هو الذي زرع في قلوبهم كل هذه المبادئ والأخلاق السامية والاعتدال والتوسط والبعد كل البعد عن الانحلال والقباح والردائل حتى صار هذا ديننا لهم. ولتوثيق المحبة والعطف على المسلمين نجد أن النبي ﷺ قد علمهم النصيحة فيما بينهم، قال ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) وعلمهم أن المؤمن مرآة لأخيه المؤمن إذا رأى منه عيبا ينصحه لإبعاده عن الخطأ.

وبهذا سرعان ما يزول الحقد والحسد والضغينة من بينهم وقد علمهم أن يكونوا عباد الله إخوانا لا يظلم بعضهم البعض ولا يخذل بعضهم البعض وأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا. قال ﷺ: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ)، وقد أكد على حفظ حقوق المسلمين وحفظ أموالهم وحفظ دمائهم وأعراضهم.

وهو الذي آخى بين المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونجد هذا واقعا ملموسا من عمله عندما قدم المدينة بعد الهجرة فقد آخى بين المهاجرين والأنصار أخوين أخوين حتى إن الواحد منهم كان

يقسم ماله بينه وبين أخيه المسلم، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. ومن آثاره على العالمين الواضحة الجليلة أن المرأة أكرمت في شريعته بعد أن كانت تهان وبعد أن كانت البنات الرضع تُؤادَن وتُدَقَّن حَيَّةً، حتى إنه أوصى بالنساء خيرا وحفظ حق المرأة سواء كانت في بيت أبيها أو زوجة في بيت زوجها أو أمًّا لأولاد أو عاملة في المجتمع فقد قال ﷺ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) وهو الذي كان يقوم في خدمة أهله ويقول عليه الصلاة والسلام: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارَكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ).

وحُفظت ببروزه للندى الأنساب بعد أن كانت تبتذل وبعد أن انتشر الزنا، ووصلت بيعته الأرحام بعد أن كانت تقطع قال تعالى: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وانتشر بظهوره الصدق والأمانة بعد فشو الكذب والخيانة قال حائثا على الصدق ومحذرا من الكذب: (إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا).

وحفظت بشريعته العقول بعد أن كانت تضيع فقد حرّم كل ما يذهب العقول كالخمر والمخدرات التي تذهب العقول.

وقد حث الشرع الحنيف على الاعتناء بالطير وبالشجر والبهائم قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) متفق عليه، والمراد بذلك الأشجار المثمرة التي يأكل منها الطير والإنسان ويستظل بها.

وحتى بعض البهائم دعا الشرع الحنيف لعدم إيذاها بغير حق فقد أخبر النبي ﷺ عن عظيم إثم من يؤذي هذه الحيوانات بغير حق فقال: (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ مَاتَتْ) متفق عليه، وحتى عند ذبح هذه الحيوانات، فإن الإسلام أمر أن يكون ذلك بإحسان ودون تعذيب، فقد قال رسول الله ﷺ: (إِن اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّثْكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِحَ ذَبِيحَتَهُ) رواه البيهقي وغيره.

وقد دعا الإسلام إلى إمطة الأذى عن الطريق وجعلها من شعب الإيمان، قال النبي ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) رواه مسلم.

وحتى إن الإسلام دعا للطهارة في البدن والشوب وحرّم التضمخ بالنجاسات فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة)، وقد بين لنا النبي ﷺ أن من أسباب عذاب القبر عدم تنزّه المرء من بوله.

وقال تعالى مخاطباً نبيه في القرآن الكريم: ﴿وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ﴾، وأمرنا الإسلام أن نتجنب الروائح الكريهة، عند دخول المساجد، فقد روى جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال، قال النبي ﷺ: (من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجداً) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فآمن بهذا الخير الذي جاء به نبي الرحمة أناس اطمأنت قلوبهم لذلك وكانوا أئمة يقتدى بهم فهم الذين تربوا في مدرسة محمد وشربوا من هذا الماء الصافي الزلال، ونهلوا من معين هذه الأخلاق العليا فانطلقوا بعده وبما تعلموا منه وبما أخذوا منه من إرشادات ونصائح ينشرون أنوار الحق في مشارق الأرض ومغاربها حتى وصلوا إلى أقصى الشرق إلى بلاد الهند والسند، وإلى أقصى الغرب إلى الأندلس وما حولها في أقل من قرن من الزمن.

ومن آثار مولده عليه الصلاة والسلام على الناس أنه نقل قلوب الصحابة رضوان الله عليهم من الركض وراء هذه الدنيا الفانية ومناصبها وزينتها إلى تركها والزهد فيها وإيثار الآخرة الباقية فكانوا منارات علم وحضارة وفتوح لقلوب الناس وهدايتهم إلى نور الحق.

وهو الذي زرع في قلوب المسلمين الشفقة والرحمة على بعضهم البعض وربّاهم على التناصح والتشاور والتزاور فيما بينهم وأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه من الخير وأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، قال رسول الله ﷺ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وقد علم الأمة أن المسلم الكامل من سلم المسلمون من لسانه ويده، قال ﷺ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)، ودعا عليه الصلاة والسلام إلى أن يعطف الغني على الفقير بماله فجعل حقا للفقير من مال الأغنياء ويكون هذا العطاء عن حب وتراض بينهم بلا منّ ولا أذى قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

كانت دعوة رسول الله ﷺ بالعلم والبينة والحجة الواضحة التي لا لبس فيها، وكانت دعوة للعلم فهو الذي كان يحذر من الجهل ومغباته وما يؤثر به على المجتمعات فإن الجهل يدمر المجتمعات تدميراً، ويؤدي إلى انتشار الأفكار الموبوءة والشاذة التي تخالف القيم والمبادئ الإنسانية والإسلامية، فقد قال تعالى مبيناً علو قدر العلماء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وقال تعالى مبيناً مكانة العلماء في الإسلام ورفعته مقامهم: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وناهيك في فضل العلماء ومكانتهم ما قال ربنا عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فكان أصحابه رضي الله عنهم هم حملة رسالة الإسلام السمحة الداعية إلى العدل والاعتدال والوسطية والتوسط في الأمور ونبذ الغلو والتطرف، وكان الذين ابتعدوا عن إرشاداته وتعاليمه هم الذين تحبطوا في البلاد وأفسدوا فيها وهو الذين قتلوا الأمنيين وروعوهم، فمن مشى على نهج محمد اهتدى ومن اقتدى به نجا يوم الدين ومن اقتفى أثره أفلح وسعد في الدنيا والآخرة.

آثار الرحمة في وحدة المجتمع  
ودور كلية الأمانة الإسلامية في تعزيز منظومة القيم في المجتمع

إعداد الأستاذ أيمن محمود علوان الحسيني  
مدير كلية الأمانة الإسلامية ليفربول في سيدني أستراليا

المؤتمر الدولي الإسلامي

سيدني ٤ ديسمبر ٢٠١٧

Email: [aalwan@alamanah.nsw.edu.au](mailto:aalwan@alamanah.nsw.edu.au)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد من بعثه الله رحمةً للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً ببلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً من أنبيائه صلوات الله وسلامه عليه وعلى كل رسولٍ أرسله.

إن القيم هي المبادئ والأسس التي يرتكز عليها الفرد في سلوكه وتصرفاته، وعلاقته بنفسه وبأسرته وجيرانه وجميع الناس وبالبيئة من حوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>١</sup>.

إن القيم تصنع النسق الأخلاقي للشخصية ولذا بعث الله تعالى نبية لأجل غايات مهمة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>٢</sup>.

اهتم دين الإسلام بالأخلاق والفضائل الحميدة ودعا للتحلي بها، كفضيلة الكرم والصدق والأمانة والتسامح والرحمة وغيرها من مكارم الأخلاق؛ فكلها فضائل تجلب للنفس الطمأنينة والسلام، وقد بينت الدراسات العلمية الآثار الإيجابية للتحلي بهذه الصفات على صحة الفرد ونفسيته؛ وبالتالي عطاؤه للمجتمع الذي يعيش فيه، وفي مقالنا هذا سنتناول صفة الرحمة من حيث: تعريفها، ومظاهرها، وآثارها على الفرد والمجتمع ودور كلية الأمانة الإسلامية في تعزيز منظومة القيم في المجتمع.

### تعريف الرحمة

والرحمة خُلِقَ حميد تعني الرأفة والرفق واللين في التعامل مع الكائنات التي يعيش معها الإنسان سواء كانت بشراً أم بهائم، وقد حضَّ دين الإسلام على التعامل والاتصاف بهذا الخلق الجليل لما له من آثار إيجابية على الفرد والمجتمع ككل. لقد بعث الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام هداة مهديين، دينهم واحد هو الإسلام، يؤمنون ومن اتبعوهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى. وقد زينهم الله بالإيمان الكامل وبالأخلاق الحميدة وجعلهم أفضل العالمين قاطبة.

هؤلاء الأنبياء هم دعاة المبادئ العظيمة الراقية التي أشرقت لها الدنيا، وبالمفهوم السائد حالياً لمعنى الحضارة تعتبر هذه المبادئ قمة الحضارة، وهي حضارة المعاني قبل المباني. لقد نشر الأنبياء الرحمة والعدل بين الناس، قال تعالى في سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>٣</sup>، والرحمة والعدل من أهم مظاهر الحضارة) بمفهومها واستعمالها اللغوي الحديث) التي أرساها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويكفي أنهم جاءوا لإخراج الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن المعاناة في الدنيا

والآخرة إلى الراحة الأبدية التي لا نهاية لها.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾<sup>١</sup>.

فسيدنا محمد هو مثال عظيم عن أنبياء الله تعالى فقد رفع الضيم والقهر عن المظلومين والمقهورين، ونصرهم على الظالمين، حتى لو كان هؤلاء الظالمون من أصحاب المال والسلطة والموقع الاجتماعي المتقدم عند الناس. فالمعيار في الإسلام هو معيار الحق والعدل، والتفاضل يكون بالتقوى وليس بكثرة المال وغيره من حظوظ الدنيا، والشعار الإسلامي الذي سار عليه رسول الله ﷺ وجميع المصلحين والحكام العادلين على مدى الأزمان هو قوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>٢</sup>.

إن الرحمة هي من أعظم مضامين ومكامن الرقي التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد ثبت في الحديث الذي رواه البيهقي أن امرأة دخلت النار في هرة -أي بسبب هرة- حبستها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، دخلت النار لأنها لم ترحم هذه الهرة.

وثبت في الصحيح أيضاً أن امرأة مسلمة من بني إسرائيل كانت تؤمن بأحد أنبياء بني إسرائيل ولكنها كانت بغياً -تزني بالأجرة-، رأت ذات يوم كلباً يلهث من شدة العطش فنزعت موقها أو جرموقها -حذاءها- ثم نزلت إلى البئر وملأت حذاءها ماء ومسكته بفمها وصعدت وسقت الكلب فغفر الله لها ما كان من الزنى.

فانظروا إلى حالة امرأتين مؤمنتين إحداهما دخلت النار بسبب قسوتها على هرة، والأخرى غفر الله لها ما كان منها من زناها السابق وتقاضيها على ذلك أجرة بسبب رحمتها لذلك الكلب، هذا من عظمة الإسلام، وقد وقف نبينا الكريم على مشارف مكة يوم فتحها، وكان أهلها قبل ذلك قد قاتلوه وأصحابه وعذبوهم وأخرجوهم من ديارهم، فقال لهم نبي الرحمة: (ما ترون أي صانع بكم؟) قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)<sup>٣</sup>.

ومن مظاهر هذه الرحمة أن أعرابياً رأى رسول الله وتفاجأ به فارتعد خوفاً فقال رسول الله ﷺ: (هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)<sup>٤</sup>.

وبهذه الأخلاق العظيمة انتشرت الفتوحات العظمى حيث قال أحد المستشرقين: (ما عرف التاريخ فاتحاً أعظم من المسلمين) فالمسلمون فتحوا القلوب قبل أن تفتح لهم الحصون والقلاع.

١	الأحزاب
٢	الحجرات
٣	رواه البيهقي
٤	رواه الحاكم في المستدرک
٥	القديد هو اللحم المجفف تحت الشمس

وهذه أندونيسيا أكبر بلد إسلامي على ظهر الأرض في عصرنا لم يفتحها المسلمون بالجيش الحرارة بل بطهارتهم وصدقهم ووفائهم، انطلق تجار حضارمة من حضرموت ووصلوا أقصى الشرق الآسيوي إلى أندونيسيا وماليزيا وغيرها، فدخل أهلها في الإسلام بسبب حسن معاملة المسلمين وعدم غشهم وشفافيتهم في التعاطي والتعامل التجاري وغير ذلك.

### من مظاهر الرحمة

\* عطف الأبوين على أولادهم وتوفير الحنان والراحة النفسية لهم، وتلبية احتياجاتهم وشروط العيش الكريم، وحمايتهم من الانحراف إلى ما هو سلبي، من أجل جعلهم أفراد فاعلين في المجتمع.

\* عدم إيذاء الحيوانات بغير حق لا سيّما الأليفة منها، وقد وردت أحاديث نبوية شريفة تحض على الرحمة والرفق بالحيوانات وتحذّر من عاقبة إيذائها، كما يوضح الحديث التالي، حيث قال رسول الله ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) ١

\* مساعدة الفقراء والمحتاجين.

\* مشاركة الآخرين في الأفراح والأحزان.

\* مساعدة الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة وإعطاؤهم التسهيلات كاملة.

\* الرفق بفئة كبار السن وصغار السن كونهما بحاجة إلى رعاية واهتمام يناسب مرحلتها العمرية وخصائصهما الجسدية التي لا تقوى على القيام بكل ما تريد بسهولة.

\* العطف على الأخوة والأخوات حتى الممات.

\* مساعدة الأيتام كأفراد والعطف عليهم وكفالتهم إن أمكن، أو تقديم المساعدات والتبرعات العينية والنقدية للمؤسسات الراعية للأيتام بشكل عام.

\* إرشاد ومساعدة منقطعي السبيل.

\* تقديم المساعدة في حالات الكوارث الطبيعية، سواء أكان ذلك في الدولة نفسها أو خارجها.

\* إنشاء مرافق لذوي الاحتياجات العامة في المؤسسات والأماكن العامة.

\* دعم طلاب المدارس والجامعات غير القادرين على مواصلة الدراسة لسوء الحالة المادية لديهم مادياً ومعنوياً.

### آثار الرحمة على الفرد والمجتمع

إنّ التحلي بهذا الخلق الكريم له فوائد وآثار إيجابية على الأفراد والمجتمعات ككل، وسنذكر هنا

بعضها:

\* تشييع المحبة والألفة بين الناس، فيصبح المجتمع كالجسد الواحد، ففي حديث للرسول محمد عليه الصلاة والسلام: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُجْمِيِّ وَالسَّهْرِ)¹.

\* زيادة وتقوية صلة الروابط الأسرية.

وإيجاد مجتمع متراحم ومتعاون يدعو إلى السلام والتعاطف والتراحم والمحبة والترابط والأخوة والتضامن.

### التراحم وأثره في تقدم المجتمع

لعل صفة التراحم من أبرز صفات المجتمع الإسلامي، ولا يجد المسلم نفسه بحاجة للكشف عن صفة المجتمع الإسلامي باعتباره مجتمعاً إيمانياً يقوم على التعارف والتواصل والتكافل والتواد والتواصي بالحق وبالصبر، وهو مجتمع تقوم عقيدته على التوحيد والإيمان بالله وكتبه ورسله ويستمد مشروعيته العليا من القرآن الكريم وهدى النبي ﷺ المصطفى الأمين وصحابته الغر الميامين، الكرام المحجلين وتطبيقاتهم العملية لمشروعية هذا الدين مستوعبا في مرونة شريعته وثراء فقهه كل ما يجد في مختلف البيئات الإنسانية والمواقف الزمانية من الناحية الحضارية، تقوم حياته على أساس العلم والانتفاع بما لدى الآخرين من حكمة وفضل وعطاء (والحكمة كما عبر الحديث الشريف ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها). ومجتمع الإسلام مجتمع يتخلق بأخلاق حميدة سامية كما لفتنا إلى ذلك النبي ﷺ ويقوم فيه النبي ﷺ بدور المعلم الأول والمرجع الأعلى والهادي إلى سبيل الرشاد.

يقول تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﷺ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾².

وقال تعالى أيضا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا بِمَا شَآءَ رَبُّهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾³.

ويقوم المجتمع الإسلامي على التراحم وحماية الحقوق الإنسانية وصيانة الحرمات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁴.

ويستمد هديه من توجيهه المصطفى وفي ضوء حديثه الشريف: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم

١ رواه البخاري ومسلم  
٢ رواه الترمذي وابن ماجه  
٣ النساء  
٤ النساء  
٥ الإسراء



وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)¹.

ولقد أوصى النبي ﷺ بإكرام الشيخ الكبير كعضو من أعضاء المجتمع الإسلامي في قوله ﷺ: (ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قبيض الله تعالى من يكرمه عند سنه)². وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة التي تلفتنا إلى توقير الكبير والرفق بالصغير وتوقير العلماء ونصرة المظلوم، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، والمسلم الحق من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه. وعندما بشر المصطفى بفتح مصر قال لأصحابه: (استوصوا بأهلها خيرا)³. وكذلك لفتنا النبي ﷺ إلى الرحمة في معاملة الخدم وقد أوصى بحسن معاملتهم والإحسان إليهم بإطعامهم وكسوتهم من نفس طعام السادة وكسوتهم. وقول المصطفى ﷺ: (جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)⁴، وفي تعليقه على هذا الحديث يقول بن أبي جمرة: (في الحديث إدخال السرور على المؤمنين لأن العادة أن النفس يكمل فرحها بما وهب لها إذا كان معلوما مما يكون موعودا، وفيه الحث على الإيمان واتساع الرجاء في رحمت الله المدخرة

### ما هو مفهوم القيم والاخلاق

من قيم القراء الكريمة، والحديث النبويّ إن لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية نمطا من أنماط التربية التي تتلائم وأوضاعه الإقتصادية، والإجتماعية، والسياسية وبالتالي فإن التربية لا تستطيع تحقيق أهدافها ما لم تكن نابعة من واقع المجتمع، والمجتمع الإسلامي يتميز عن غيره من المجتمعات بأنه مجتمع يقوم على عقيدة منظمة ومجموعة على حب الله والنبي ﷺ وآل بيته وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

والقيم مجموعة من المبادئ والمعايير والأحكام التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات، بحيث تمكنه من اختيار أهدافه التي تحدد مسار حياته، وتثبت خلال الإهتمامات، أو الإتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

فالأخلاق هي مجموعة من الأفعال والأقوال الحميدة التي وردت في الشريعة الإسلامية من أجل بناء مجتمع أخلاقي فاضل، وهي عنوان الشعوب، وقد حث عليها القراءان والسنة، فهي أساس الحضارة، ووسيلة للمعاملة بين الناس، وللأخلاق دور كبير في تغيير الواقع الحالي إلى الأفضل إذا اهتم المسلم باكتساب الأخلاق الحميدة والابتعاد عن العادات السيئة، لذلك قال رسول الله ﷺ: (إنما بُعثت لإتيمم مكارم الأخلاق)⁵.

١ رواه البخاري ومسلم  
٢ الترمذي  
٣ رواه مسلم  
٤ رواه البخاري ومسلم  
٥ رواه البزار

إن التحلي بالأخلاق الحسنة والبعد عن الأخلاق السيئة والآثام يؤديان بالمسلم إلى تحقيق الكثير من الأهداف النبيلة، منها سعادة النفس، وهي ترفع من شأن صاحبها، وتقرب الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع وهي طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وقد وصف الله عز وجل رسوله الكريم بقوله تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**<sup>١</sup>، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت لما سئلت عن خلق النبي ﷺ: (كان خلقه القرآن)

فهناك كثير من الآيات والأحاديث التي تتحدث عن القيم الإسلامية وأهميتها ولذلك أقول على سبيل الإجمال:

علمني إسلامي الصبر على الأذى والمكاره والظلم، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، ولا تحقق الآمال ولا تنجح المقاصد إلا بالصبر، فهو طريق المرسلين والأنبياء الذين نالوا به أعلى الدرجات والمنازل، وقد قال تعالى: **﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَكَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾** (١٥٦) **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾** (١٥٧).<sup>٢</sup>  
علمني إسلامي العفو، فقد رغب الإسلام بالعفو والصفح عن ظلم، وكبح هوى النفس عن الميل إلى الانتقام والثأر، قال الله عز وجل: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**<sup>٣</sup> وقال الله تعالى جامعاً خصال الخير لنبيه محمد ﷺ: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**<sup>٤</sup>.

علمني إسلامي الحلم، والحلم هو ضبط النفس عند الغضب، والصبر على الأذى، من غير ضعف ولا عجز ابتغاء مرضاة الله، فقد كان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه بالتحلي بالحلم في تعاملهم، وذلك واضح في ما رواه النسائي في السنن الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم رسول الله ﷺ: (دعوه وأهريقوا على بوله دلوًا من ماءٍ أو سجالًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين).<sup>٥</sup>

علمني إسلامي أن أبر والدي، فقد حث القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة على بر الوالدين وأداء حقوقهما أحياء وأمواتًا، فإن ذلك من الأسباب الجالبة للسعادة الدنيوية والأخروية، قال الله عز وجل: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾**<sup>٦</sup>، وقال تعالى: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾**<sup>٧</sup>.

علمني إسلامي أنه إن ضَعُفْتُ عن الخير أن أُمْسِكَ عن الشر، وإن لم أستطع أن أنفع الناس

١	سورة القلم
٢	سورة البقرة
٣	سورة الشورى
٤	سورة الأعراف
٥	رواه البخاري
٦	سورة العنكبوت
٧	سورة الإسراء

أمسك نفسي عنهم، ولا آكل لحومهم، فقد حرّم الله عز وجل الغيبة في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فقال في كتابه: ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>١</sup>. وقال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة عنه: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (ذكرك أخاك بما يكره)، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)، أي ظلمته وافتريت عليه.

علمني إسلامي أن أعبد الله وأن أذكره كثيراً فإن ذكر الله دواء، ونهاني عن ذكر الناس بالسوء فإنه داء، فإن ابن آدم لن يصيب حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه وحتى يبدأ بإصلاح العيب من نفسه -أي لا يكون مؤمناً كاملاً تقيّاً-، فإذا فعل ذلك كان شغله في خاصة نفسه، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا.

علمني إسلامي الرحمة، وحب المساكين والفقراء ومجالستهم والتصدق عليهم، والتعطف على اليتامى، والإحسان إلى الجار والتواضع، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>٢</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>٣</sup>.

أخي القارئ، إن من قرأ القرآن وتدبره وتعقل ما فيه علم أن القرءان يدفع النفوس إلى الكمالات، ويملؤها بعظم الهمة، وإذا رأينا من بعض قرائه همماً ضئيلة، ونفوساً خاملة، فلأنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في أحكامه.

ما هو دور كلية الأمانة الإسلامية في تعزيز القيم في المجتمع

\* أولاً: الأسرة

فالأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي يتفاعل معها الطفل ويكتسب من خلالها العديد من الاتجاهات والميول، والقيم الدينية، وسائر العادات والتقاليد وأنماط السلوك الاجتماعي. فالأسرة ليست وسيلة لاكتساب القيم الروحية والأخلاقية فحسب ولكنها المصدر الذي يكتسب الطفل من خلاله الكثير من العادات والميول، والاتجاهات، ومعايير السلوك ذلك أن الأبوين (هما دعامة الأسرة وهي أولى لبنات المجتمع الذي يتكون من مجموع الأسر، لذلك فقد حرص الإسلام على أن تشمل المحبة والرحمة أساس الأسرة).

\* ثانياً: المسجد

١	سورة الحجرات
٢	رواه مسلم
٣	سورة النساء
٤	سورة البقرة

يقوم المسجد بدور بارز في تنمية القيم الإسلامية (فالمسجد يعمل على تأكيد القيم المركزية المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف والتي تعتبر أساسية لاستقرار المجتمع وتماسكه وتقدمه، وأئمة المساجد وخطبائها من خلال خطب الجمعة، والمناسبات الدينية والندوات والحلقات العلمية التي تعقد في المسجد يدعون الناس إلى إقامة الفرائض والتقرب من الله سبحانه وتعالى والتمسك بالقيم الدينية والعمل الصالح لخدمة المجتمع).

\* ثالثاً: المدرسة

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي أوكل المجتمع إليها مهمة تشكيل الأجيال من خلال وسائطها المتعددة من معلم، وكتاب مدرسي وجو اجتماعي داخلها. (فالمدرسة تعد أهم المؤسسات التربوية عناية بالقيم، حيث تهتم المناهج بما فيها من دروس وأنشطة متعددة بإيصال القيم وتوصيلها إلى التلاميذ. ويكون التأثير أقوى كلما كانت الأساليب ناجحة وطرق التدريس قائمة على أسس سليمة وحديثة يقوم بها معلمون حكماء ومربون ناجحون يعرفون كيف ينمون القيم ويعززونها في نفوس الناشئة).

فالمدرسة باعتبارها وحدة متكاملة بما يسودها من نظم ولوائح، وإدارة مدرسية ومكتبة ومعلمين. كل أولئك يعتبروا وسيلة هامة لاكتساب القيم الإسلامية وتعزيزها (فسيادة روح التفاهم التي تربط المعلمين مع المتعلمين وإشاعة روح الألفة والمحبة والتعاون بين الجميع يساعد على تثبيت القيم وتعزيزها عند التلاميذ في المدرسة، ولا ننسى دور المكتبة المدرسية والإذاعة فيها، والإدارة التربوية الحكيمة والأقران من إكساب الطالب قيماً جديدة وخبرة بناءة).

### دور المعلم في تعزيز القيم في المدرسة:

وإن المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية وهو حامل القيم وموصلها إلى الأجيال. فالمعلمون يحتلون مكان الصدارة بين القوى المؤثرة على الناشئين وفي بناء القيم والأفكار. ولا شك أن المعلم لا يكون حاملاً للقيم ومنشئاً لتلاميذه عليها ما لم يكن قدوة للمتعلمين في سلوكه.

وهنا تبرز أهمية القدوة في التربية، وللمعلم دور كبير في غرس القيم والأفكار وتعزيزها بين الطلاب إنه تأثير إنسان في إنسان، بما يملكه من سلطة تسمح بإحداث التغيير في سلوك الطلاب.

وعليه يوصي الباحث فيما يتعلق ببحثه بالتوصيات الآتية:

\* إعداد أساتذة للجامعات ومدرسين للمدارس أكفاء قادرين على حمل رسالة التربية الإسلامية، وغرس القيم الإسلامية في سلوك المتعلمين وتبصير أولياء الأمور بدور القيم الإسلامية في حماية أبنائهم ضد كثير من الأمراض، والانحرافات السلوكية والاجتماعية.

\* تقوية العلاقة بين المدرسة والمسجد ليعملا في تناغم مستمر.

\* السيطرة على وسائل الإعلام وألا تقدم إلا ما يتوافق مع ثقافة المجتمع الإسلامي.

\* على الآباء والأمهات أن يتخيروا الأقران الذين يلعب معهم أطفالهم.

وفي ظلال المولد النبوي الشريف، وما نشهده في وقتنا الراهن، خاصة في مجال تنامي ظاهرة التطرف والإرهاب البغيض، يجدر التذكير أن الإسلام بريء من كل ضعف تشهده الأمة، وبريء من التطرف الذي يزرع الفساد والخراب. إنّ تنامي التطرف باسم الإسلام ينسجم مع ما يخطط له أعداء الأمة ذلك أن ما يقومون به يؤدي إلى الفوضى والضعف وزرع الفتنة، وهذا ما يريده أعداء الإسلام.

إنّ التطرف غريب عن الإسلام والمبادئ العظيمة التي دعا إليها رسولنا الكريم، وظاهرة خطيرة تدمر المجتمعات والأوطان، وحال زماننا كما وصفه سيدنا محمد ﷺ: (إنّ الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي) ١.

وأختم بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ٢.

أسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء لصدورنا، وأن يعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما تعلمنا إنه على كل شيء قدير.

١ رواه الترمذي  
٢ الرعد

احتفال المسلمين قديما وحديثا سيما الحكام والعلماء  
بذكرى ولادة النبي محمد ﷺ

إعداد الشيخ بلال حمصي

الأشعري عقيدة الشافعي مذهب الرفاعي طريقة

المدرس بجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية

المؤتمر الدولي الإسلامي

سيدني ٤ ديسمبر ٢٠١٧

Email: [sheikhbilal@icpa.org.au](mailto:sheikhbilal@icpa.org.au)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين،  
ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد يقول الله العلي القدير القائل في محكم كتابه في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ  
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

دلَّت هذه الآية الكريمة على أَنَّ مَنْ أَرَادَ النجاة عليه أن يلتزم سبيل المؤمنين أي ما أجمع عليه  
علماء المسلمين وأنَّ مَنْ أَعْرَضَ عن ذلك فجزأؤه جهنم وبئس المصير، وجاء في الحديث الموقف  
عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أنه قال: "ما رآه المسلمون حسناً أي أجمعوا على أنه حسن  
فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح" اهـ. ومن جملة ما أطبق العلماء  
المعتبرون من العصور المختلفة على استحسانه وأجمعوا على مشروعيته الاحتفال بذكرى ولادته وهُوَ  
وإن لم يكن في زمنه فهو من البدع الحسنة التي اتفقوا على جوازها ومن الطاعات العظيمة التي  
يُثَابُ فاعِلُهَا لما فيه من إظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، وقد اعتاد المسلمون في مشارق  
الأرض ومغاربها منذ قرون على الإحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بتلاوة السيرة العطرة لمولده  
عليه الصلاة والسلام وذكر الله وإطعام الطعام والحلوى حُباً في النبي ﷺ وشكراً لله تعالى على نعمة  
بروز النبي ﷺ. وقد ورد في فتاوى الأزهر عن المفتي الشيخ عطية صقر أنه كان يُحتفل بالمولد  
بمصر فيما قبل سنة ٤٨٨؛ وأول من احتفل بالمولد في شهر ربيع الأول في يوم ولادة المصطفى هم  
الملوك والسلاطين السنيون في مكة والمدينة والموصل وإربل وغيرها بعيداً عن الفاطميين. ومن  
أوائل من احتفل به من علماء أهل السنة من أهل المشرق الشيخ الصالح عمر الملا الموصل  
المتوفى سنة ٥٧٠ مع السلطان نور الدين زنكي الذي كان من أخص محبيه.

وقد ذكر الحافظ أبو شامة في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين حوادث سنة ٥٦٦ زمن الملك  
العادل السني نور الدين محمود زنكي الذي أجمع المؤرخون على ديانتته وفضله وحسن سيرته ما  
يلي: "قال العماد: وكان بالموصل رجل صالح يعرف بعمر الملاء... وكان ذا معرفة بأحكام القرآن  
والأحاديث النبوية وكان العلماء والفقهاء والملوك والأمراء يزورونه في زاويته، ويتبركون بهتمته،  
ويتمنون ببركته. وله كل سنة دعوة يحتفل بها في أيام مولد رسول الله ﷺ يحضره فيها صاحب  
الموصل، ويحضر الشعراء وينشدون مدح رسول الله ﷺ في ذلك المحفل... وكان نور الدين من أخص  
محبيه يستشير في حضوره ويكاتبه في مصالح أموره" اهـ.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء عند ترجمته الملك العادل السني نور الدين محمود زنكي:  
"كان نور الدين حامل رأيي العدل والجهاد قل أن ترى العيون مثله... إلى أن قال: وأظهر السنة  
بجلب وقمع الرافضة وبني المدارس بجلب وحمص ودمشق وبعلبك والجوامع والمساجد..."

وقال ابن خلكان: ضربت السكة والخطبة لنور الدين بمصر وكان زاهداً عابداً متمسكاً بالشرع  
مجاهداً كثير البر والأوقاف له من المناقب ما يستغرق الوصف...

قال ابن الأثير (ت ٦٣٠): طالعت السير فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز

أحسن من سيرته... كان ديناً تقياً لا يرى بذل الأموال إلا في نفع" اهـ.

وقال ابن كثير في تاريخه في ترجمة السلطان نور الدين محمود زنكي: "أظهر ببلاده السنة وأمات البدعة... قال ابن الأثير: لَمْ يَكُنْ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِثْلَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرِّيًّا لِلْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ مِنْهُ". اهـ.

وأول من أظهر الاحتفال بالمولد وتوسع فيه أوائل القرن السابع من الهجرة ذلك التقي العالم المجاهد المظفر ملك إربل أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد، وكان له آثار حسنة، وهو الذي عمّر الجامع المظفري بسفح قاسيون، وقد جمع لهذا كثيراً من العلماء فيهم من أهل الحديث والصوفية الصادقين فاستحسن ذلك العمل العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، منهم الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، وتلميذه الحافظ السخاوي، وكذلك الحافظ السيوطي وغيرهم.

وقال سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) في كتابه مرآة الزمان في ترجمة الملك المظفر: "وكان يعمل في كل سنة مولد النبي ﷺ في ربيع الأول يجتمع فيه أهل الدنيا ومن وراء جيحون العلماء والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية والفقراء ومن كل صنف وتضرب الخيام في الميدان وينزل من القلعة بنفسه فيقرأ القراء ويعظ الوعاظ ويمد سماطاً أوله عنده وءاخره في القلعة ويحضر الخلائق".

وقال الذهبي (ت ٧٤٨) في ترجمته كما في سير أعلام النبلاء: "السُّلْطَانُ الدِّينُ، الْمَلِكُ الْمَعْظَمُ، مُظْفَرُ الدِّينِ، أَبُو سَعِيدٍ كُوكْبَرِي بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْتَكِينَ بْنِ مُحَمَّدِ التُّرْكْمَانِيِّ صَاحِبِ إِرْبِلَ... وَكَانَ مُجِبًّا لِلصَّدَقَةِ، لَهُ كُلُّ يَوْمٍ قَنَاطِيرُ خُبْزٍ يُفَرِّقُهَا، وَيَكْسُو فِي الْعَامِ خَلْقاً وَيُعْطِيهِمْ دِينَاراً وَدِينَارَيْنِ، وَبَنَى أَرْبَعَ خَوَانِكٍ لِلزَّمَنِ وَالْأَضْرَاءِ، وَكَانَ يَأْتِيهِمْ كُلُّ اثْنَيْنِ وَخَمْسِ، وَيَسْأَلُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ حَالِهِ، وَيَتَفَقَّدهُ، وَيُبَاسِطُهُ، وَيَمْرَحُ مَعَهُ... كَانَ يَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ مُنْكَرِ بَلَدِهِ... وَأَمَّا احْتِفَالُهُ بِالْمَوْلِدِ فَيَقْصُرُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ كَانَ الْخَلْقُ يَقْصِدُونَهُ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ... وَقَدْ جَمَعَ لَهُ ابْنُ دَحِيَّةَ كِتَابَ الْمَوْلِدِ فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ مُتَوَاضِعاً، خَيْراً، سُنِّيّاً، يُحِبُّ الْفُقَهَاءَ وَالْمُحَدِّثِينَ، وَرُبَّمَا أَعْطَى الشُّعْرَاءَ، وَمَا نُقِلَ أَنَّهُ أَنْهَزَمَ فِي حَرْبٍ... " انتهى

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤) في كتاب البداية والنهاية الجزء ١٣: «الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة وقد عمّر الجامع المظفري بسفح قاسيون... وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً بطلاً عاقلاً عادلاً رحمه الله وأكرم مثواه. وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلداً في المولد النبوي سماه «التنوير في مولد البشير النذير» فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية وقد كان محاصر عكا وإلى هذه السنة محمود السيرة والسريرة» اهـ.

وقال الحافظ السيوطي (ت ٩١١) في رسالته حسن المقصد في عمل المولد: "وأول من أحدث فعل ذلك (صاحب إربل) الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين أحد



الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثار حسنة وهو الذي عمر الجامع المظفري بسفح قاسيون".

وقال ابن خَلْكان (ت ٦٨١) في وفيات الأعيان في ترجمة الحافظ شيخ الديار المصرية في الحديث ابن دحية (ت ٦٣٣): "كان أبو الخطاب من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، واشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية... ثم رحل إلى الشام والشرق والعراق... ووقدم مدينة إربل في سنة أربع وستمئة... فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله مولعاً بعمل مولد النبي ﷺ، عظيم الاحتفال به فعمل له كتاباً سماه: (التنوير في مولد السراج المنير)، وقرأه عليه بنفسه... ولما عمل هذا الكتاب دفع له الملك المعظم ألف دينار، وله عدة تصانيف".

وأبو الخطاب ابن دحية هو الذي قال الذهبي في سير أعلام النبلاء الطبقة الثالثة والثلاثون في ترجمته: "الشَّيْخُ، الْعَلَّامَةُ، الْمَحَدِّثُ، الرَّحَّالُ الْمُتَقَنَّيْنِ... رَوَى عَنْهُ: ابْنُ الدُّبَيْثِيِّ. فَقَالَ: كَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَأَنْسَأُ بِالْحَدِيثِ، فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ".

وكان لسلطين الخلافة العثمانية عناية بالغة بالاحتفال بجميع الأعياد والمناسبات المعروفة عند المسلمين، ومنها يوم المولد النبوي، إذ كانوا يحتفلون به في أحد الجوامع الكبيرة بحسب اختيار السلطان، فلما تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة قصر الاحتفال على الجامع الحميدي. فقد كان الاحتفال بالمولد في عهده ليلة ١٢ ربيع الأول يحضر إلى باب الجامع عظماء الدولة وكبرائها بأصنافهم... ويبدأون بالاحتفال، فيبدؤوا بقراءة القرآن، ثم بقراءة قصة مولد النبي محمد ﷺ، ثم بقراءة كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على النبي ﷺ، ثم ينتظم بعض المشايخ في حلقات الذكر، فينشد المنشدون وترتفع الأصوات بالصلاة على النبي ﷺ.<sup>١</sup>

كما كان لسلطين المغرب الأقصى بالاحتفال بالمولد النبوي همة عالية، لا سيما في عهد السلطان أحمد المنصور (ت ١٠١٢) الذي تولى الملك في أواخر القرن العاشر من الهجرة، وقد كان ترتيب الاحتفال بالمولد في عهده إذا دخل شهر ربيع الأول. فإذا كان فجر يوم المولد النبوي، خرج السلطان فصلي بالناس وقعد على أريكته، ثم يدخل الناس أفواجا على طبقاتهم، فإذا استقر بهم الجلوس، تقدم الواعظ فسرد جملة من فضائل النبي ﷺ محمد ومعجزاته، وذكر مولده. فإذا فرغ، بدأ قوم بإلقاء الأشعار والمدائح، فإذا انتهوا، بسط للناس موائد الطعام.<sup>٢</sup>

وقد ذهب الجماهير من العلماء من المذاهب الأربعة إلى مشروعية الاحتفاء والاحتفال بميلاد سيد البشرية وإمام الإنسانية سيدنا محمد ﷺ، وصنفوا في ذلك مصنفات. وسأوجز لكم نبذا من أشهر ممن ألف في المولد:

\* ذكر الرحالة ابن جبير (ت ٦١٤) عندما دخل مكة سنة ٥٧٩ هـ في كتابه: رحلة ابن جبير ما نصه: "باب ذكر مكة شرفها الله تعالى وذكر أثارها الكريمة وأخبارها الشريفة، فصل، ذكر

١ (تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، حسن السندي، ص ٢٢٥-٢٣٤، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط ١٩٤٨ م)  
٢ (تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، حسن السندي، ص ٢٢٥-٢٣٤، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط ١٩٤٨ م).

بعض مشاهدها المعظمة وآثارها المقدسة عند ذكر إحتفال المسلمين بمولد النبي ﷺ بدخولهم مكان ميلاده للتبرك وإجماع أهل مكة المكرمة على ذلك ولم يذكر لهم إنكار فقال: يُفتح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافة مُتبركين به في شهر ربيع الأول ويوم الإثنين منه لأنه كان شهر مولد النبي وفي اليوم المذكور وُلد وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كُلها وهو يوم مشهود بمكة دائماً.

\* قال الإمام المحدث الفقيه أبو شامة (ت ٦٦٥) شيخ الإمام النووي في رسالته الباعث على إنكار البدع والحوادث: "ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل ما كان يُفعل بمدينة إربل جبرها الله تعالى كل عام في اليوم الموافق لمولده من الصدقات، والمعروف، وإظهار الزينة والسور، فإن ذلك مشعراً بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وشكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين وعلى جميع المرسلين، وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره رحمهم الله تعالى".

\* قال الشيخ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١) في كتابه طبقات الشافعية في ترجمته للإمام أبي شامة: "عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الشيخ الإمام المفسر شهاب الدين المقدسي دمشقي أبو شامة وأبو شامة لقب عليه كان أحد الأئمة، تلا على السخاوي وعني بالحديث فسمع بنفسه من داود بن ملاعب وأحمد بن عبد الله العطار والشيخ الموفق وطائفة وبرع في فنون العلم وقيل بلغ رتبة الإجتهد واختصر تاريخ الحافظ ابن عساكر وصنف كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وله أرجوزة حسنة في العروض ومن محاسنه كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث وكتاب ضوء القمر الساري إلى معرفة الباري وكتاب نور المسرى في تفسير آية الإسراء" ٥٠١.

\* وقد تكلم العلامة أبو عبد الله بن الحاج المالكي (ت ٧٣٧) في كتابه المدخل على عمل المولد، فمدح ما كان فيه من إظهار الشكر لله تعالى، وذم ما احتوى عليه من مُحَرَّمات ومُنْكَرَات، فمن ذلك قوله: "فَانظُرْ رَحْمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى مَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذَا الشَّهْرَ الشَّرِيفَ وَيَوْمَ الْإِثْنَيْنِ. أَلَا تَرَى أَنَّ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِيهِ. فَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي إِذَا دَخَلَ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيمُ أَنْ يُكْرَمَ وَيُعَظَّم وَيُحْتَرَمَ الْإِحْتِرَامَ اللَّائِقَ بِهِ وَذَلِكَ بِالِاتِّبَاعِ لَهُ فِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا يَخُصُّ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةَ بِزِيَادَةِ فِعْلِ الْبِرِّ فِيهَا وَكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ... فَتَعْظِيمُ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ إِنَّمَا يَكُونُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ الزَّائِكِيَّاتِ فِيهِ وَالصَّدَقَاتِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْبَاتِ، فَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَأَقْلُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَجْتَنِبَ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ وَيُكْرَهُ لَهُ؛ تَعْظِيمًا لِهَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَطْلُوبًا فِي غَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَكْثَرُ احْتِرَامًا كَمَا يَتَأَكَّدُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ فَيَتَرَكُ الْحَدَثَ فِي الدِّينِ وَيَجْتَنِبُ مَوَاضِعَ الْبِدَعِ وَمَا لَا يَنْبَغِي".

\* قال صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤) في أعيان العصر وأعيان النصر في ترجمة عبد الله بن الصنينة المصري صاحب شمس الدين غبريال: "وكان يسمع البخاري في ليالي رمضان وليلة ختمه يحتفل بذلك ويعمل في كل سنة مولد النبي ﷺ ويحضره الأكابر والأمراء والقضاة والعلماء ووجوه

الكتاب ويظهر تجملاً زائداً ويخلع على الذي يقرأ المولد ويعمل بعد ذلك سماعاً للأمرء المحتشمين».

\* يروي ابن بطوطة (ت ٧٧٩) في رحلته لمكة المكرمة: ويفتح الباب الكريم (باب الكعبة) في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم مولد النبي ﷺ.

\* وممن أجاز عمل المولد من المالكية الإمام محمد بن أبي إسحق بن عباد النفزي (ت ٧٩٢)، ففي كتاب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب» لأبي العباس الونشريسي (ت ٩١٤) الجزء (١١) تحت عنوان (فتوى ابن عباد بإباحة عمل المولد النبوي) ما نصه: "وسئل الولي العارف بالطريقة والحقيقة أبو عبد الله بن عباد رحمه الله ونفع به عما يقع في مولد النبي ﷺ لأجل الفرح والسرور بمولده عليه السلام فأجاب: الذي يظهر أنه عيد من أعياد المسلمين، وموسمٌ من مواسمهم، وكل ما يقتضيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك... أمر يباح لا ينكر قياساً على غيره من أوقات الفرح".

\* قال الإمام محمد بن إسحاق الخوارزمي (ت ٨٢٧) في كتابه إثارة الترغيب والتشويق: «ففي ليلة الحادي عشر من شهر ربيع الأول تجتمع خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان في مولد النبي ﷺ ويزورونه. وفي الليلة الثانية عشر أيضاً يحضرون في مولده خلق كثير من العلماء والفقهاء والقضاة والمؤذنين... ويذكر مولده وعلاماته ثم يصلون التطوعات... ويتصدقون على الفقراء والمساكين».

\* قال العلامة المقرئ (ت ٨٤٥) في كتابه المواعظ والاعتبار: "فلما كانت أيام الظاهر برقوق عمل المولد النبوي بهذا الحوض في أول ليلة جمعة من شهر ربيع الأول في كل عام، فإذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوض، وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصر البلقيني ويليهِ الشيخ المعتقد إبراهيم برهان الدين بن محمد بن بهادر بن أحمد بن رفاعة المغربي، ويليهِ ولد شيخ الإسلام، ومن دونه وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزري المغربي، ويليهِ قضاة القضاة الأربعة، وشيوخ العلم، ويجلس الأمرء على بعد من السلطان، فإذا فرغ القراء من قراءة القرآن الكريم، قام المنشدون واحداً بعد واحد، وهم يزيدون على عشرين منشداً، فيدفع لكل واحد منهم صرة فيها أربعمئة درهم فضة، ومن كل أمير من أمرء الدولة شقة حرير، فإذا انقضت صلاة المغرب مدّت أسمطة الأطعمة الفائقة...".

\* قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) في أنباء الغمر حوادث سنة ٨٣٢ هـ: عمل المولد على العادة في اليوم الخامس عشر، فحضره البلقيني (ت ٨٠٥) والتفهنّي (ت ٨٤٩) وهما معزولان، وجلس القضاة المستقرون على اليمين وجلسا على اليسار والمشايخ دونهم...

\* والبلقيني قال عنه السيوطي في حسن المحاضرة: "البلقيني شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، مجتهد عصره، وعالم المائة الثامنة. وقال: وبرع في الفقه والحديث والأصول، وانتهت إليه رئاسة المذاهب والإفتاء، وبلغ رتبة الاجتهاد".

\* قال ابن حجر العسقلاني في أنباء الغمر عن التفهنّي: "هو القاضي محمد بن عبد الرحمن

بن علي التفهني الحنفي القاضي شمي الدين بن قاضي القضاة زين الدين ولي في حياة والده قضاء العسكر وإفتاء دار العدل وتدرّس الحديث بالشيخونية، وولي بعد وفاة والده تدرّس الفقه بها ومشخة البهائية الرسلانية بمنشأة المهراي وتدرّس القابائية بالرملية".

\* قال أبو الخير السخاوي (ت ٩٠٢) رحمه الله تعالى في فتاويه في الاجوبة المرضية ج ٣ عن عمل المولد فقال: "لم ينقل عن احد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعد، ثم ما زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن العظام يحتفلون في شهر مولده وشرف وكرم يعملون الولائم البديعة المشتملة على الامور البهجة الرفيعة، ويتصدقون في ليليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات بل يعتنون بقراءة مولده الكريم، وتظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم".

وقال: وكان للملك المظفر صاحب إربل كذلك فيها أتم عناية واهتماما بشأنه جاوز الغاية، أثنى عليه به العلامة أبو شامة أحد شيوخ النووي الفائق في الاستقامة في كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث وقال: مثل هذا الحسن يتقرّب إليه ويُشكر فاعله ويُثنى عليه.

ثم قال الحافظ: بل خرّج شيخنا شيخ مشايخ الاسلام خاتمة الائمة الاعلام فعّله على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من انه دخل المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم اغرق الله سبحانه وتعالى فيه فرعون ونجّى موسى عليه السلام، فنحن نصومه شكرا لله عز وجل، فقال ﷺ: فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم، فصامه و امر بصيامه، وقال: إن عشت إلى قابل.... الحديث. قال شيخنا: فيُستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما منّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله تعالى يحصل بأنواع العبادة: كالسجود والصيام والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي ﷺ في ذلك اليوم. وعلى هذا ينبغي ان يُقتصر فيه على ما يُفهم الشكر لله تعالى من نحو ما ذكر. أمّا ما يتبعه من السماع واللغو وغيرهما فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحا بحيث يُعين السرور بذلك اليوم فلا بأس بالحاقه ومهما كان حراما او مكروها فيُمنع وكذا ما كان خلاف الاولى.

قلت: ولما كان الزاهد القدوة المعمر أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جماعة بالمدينة المنورة، كان يعمل طعاما في المولد النبويّ ويُطعم الناس ويقول: لو تمكنت عملت بطول الشهر كل يوم مولدا". اهـ

\* قال الحافظ السيوطي (ت ٩١١) في رسالته التي سماها: «حسن المقصد في عمل المولد» ما نصه: "فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع؟ وهل هو محمود أو مذموم؟ وهل يثاب فاعله أو لا؟ والجواب عندي: أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سباط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار

بمولده الشريف».

كما نقل السيوطي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) أنه سُئِلَ عن عمل المَوْلِدِ فأجاب بما نصه: «أصل عمل المَوْلِدِ بدعة لم تُنْقَلْ عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسنٍ وضدِّها، فمن تَحَرَّى في عملها المحاسن وتجنَّب ضدَّها كان بدعةً حسنة وإلا فلا».

ثم قال السيوطي معقبات على كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني: "وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا (هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى) فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي ﷺ نبي الرحمة في ذلك اليوم. وعلى هذا فينبغي أن يُتحرى اليوم بعينه حتى يُطابق قصة موسى في يوم عاشوراء. ومن لم يُلاحظ ذلك لا يُبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه - فهذا ما يتعلق بأصل عمله. وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للأخرة. وأما ما يتبع ذلك من السماع واللغو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به وما كان حراماً أو مكروهاً فيُمنع وكذا ما كان خلاف الأولى".

ثم قال بعد أن ذكر نص كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني السابق بتمامه: "وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ عَقَّ عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيُحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات".

قال الكمال الأذفوي (ت ٧٤٨) في (الطالع السعيد): "حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتي المالكي نزيل قوص أحد العلماء العاملين كان يجوز بالمكتب في اليوم الذي فيه ولد النبي ﷺ فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرور، اصرف الصبيان فيصرفنا. وهذا منه دليل على تقريره وعدم إنكاره وهذا الرجل كان فقيها مالكياً متفنناً في علوم متورعاً أخذ عنه أبو حيان وغيره ومات سنة خمس وتسعين وستمائة". انتهى

\* قال الشهاب أحمد القسطلاني (ت ٩٢٣) شارح البخاري في كتابه المواهب اللدنية ١٤٨١ فصل الإحتفال بمولده ﷺ: "ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم،

ويتصدقون في ليليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم. ومما جَرَّب من خواصه أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجله بنيل البغية والمرام، فرحم الله امرأةً اتخذت ليلته شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعياء.

\* قال العلامة الشيخ محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي (ت ٩٣٠ هـ) في كتابه حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي ﷺ المختار: "فحقيقٌ بيومٍ كان فيه وجودُ المصطفى أن يُتخذَ عيداً، وخليقٌ بوقتِ أسفرت فيه غرتهُ أن يُعقدَ طالعاً سعيداً، فاتَّقوا اللهَ عبادَ الله، واحذروا عواقبَ الذنوب، وتقرَّبوا إلى الله تعالى بتعظيم شأن هذا النَّبيِّ المحبوب، واعرفوا حرمتَهُ عندَ علامِ الغيوب ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾".

\* قال محمد بن يوسف الصالح الشامي (ت ٩٤٢) في كتابه سبل الخير والرشاد: "قال الشيخ الإمام العلامة نصير الدين المبارك الشهير باب الطباخ المتوفى ٦٦٧ هـ في فتوى بخطه: "إذا أنفق المنفق تلك الليلة وجمع جمعاً أطعمهم ما يجوز إطعامه وأسمعهم ما يجوز سماعه ودفع للمسمع المشوق للأخرة ملبوساً، كل ذلك سروراً بمولده فجميع ذلك جائز ويثاب فاعله إذ أحسن القصد...."

قال الشيخ الإمام جمال الدين بن عبد الرحمن بن عبد الملك الشهير بالمخلص الكتابي رحمه الله تعالى: "مولد رسول الله ﷺ مبجل مكرم، قدس يوم ولادته وشرف وعظم...."

قال الإمام العلامة ظهير الدين جعفر التزميني رحمه الله تعالى هذا الفعل (يعنى الإحتفال بالمولد) لم يقع في الصدر الأول من السلف الصالح مع تعظيمهم وحبهم له إعظاماً ومحبة لا يبلغ جمعنا الواحد منهم ولا ذرة منه، وهي بدعة حسنة إذا قصد فاعلها جمع الصالحين والصلاة على النبي ﷺ وإطعام الطعام للفقراء والمساكين...."

وقال الشيخ نصير الدين أيضاً: "...ولكن إذا أنفق في هذا اليوم وأظهر السرور فرحاً بدخول النبي ﷺ في الوجود... وإنشاد ما يشوق إلى الآخرة ويزهد في الدنيا فهذا اجتماع حسن يثاب قاصد ذلك وفاعله عليه... واجتماع الصلحاء فقط ليأكلوا ذلك الطعام ويذكروا الله تعالى ويصلوا على رسول الله ﷺ يضاعف لهم القربات والثوبات". إنتهى

\* جاء في الفتاوى الحديثة لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المكي (ت ٩٧٣): "وسئل نفع الله به: عن حكم الموالد والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان هل هي سنة أم فضيلة أم بدعة؟

فأجاب بقوله: الموالد والأذكار التي تفعل عندنا أكثرها مشتمل على خير، كصدقة، وذكر، وصلاة وسلام على رسول الله ﷺ ومدحه... والقسم الثاني سنّة تشمله الأحاديث الواردة في الأذكار المخصوصة والعامّة، كقوله ﷺ: ( لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حقتهم الملائكةُ، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده ) رواه مسلم، وروى أيضاً أنه قال لقوم جلسوا

يذكرون الله تعالى ويمجدونه على أن هداهم للإسلام (أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن الله تعالى يُباهي بكم الملائكة) وفي الحديثين أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له، وأن الجالسين على خَيْرٍ كذلك، يُباهي الله بهم الملائكة، وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله تعالى بالثناء عليهم بين الملائكة فأَيُّ فضائل أجل من هذه...."

\* الشيخ محمد بن أحمد عlish المالكي المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ قال في كتابه (القول المنجي) ما نصه: "لا زال أهل الإسلام يحتفلون ويهتمون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم، وأول من أحدث فعل المولد الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل فكان يعمل في ربيع الأول ويحتفل احتفالاً هائلاً، حكى بعض من حضر سماطه في بعض الموالد أنه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم شوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلواء وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية."

\* قال مفتي مكة أحمد بن زين دحلان (ت ١٣٠٤) في كتابه الدرر السنية: ومن تعظيمه الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والهيام عند ذكر ولادته وإطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من أنواع البر فإن ذلك كله من تعظيمه وقد أفردت مسألة المولد وما يتعلق بها بالتأليف واعتنى لذلك كثير من العلماء فألفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالأدلة والبراهين فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذلك.

\* الشيخ عبد المجيد المغربي الطرابلسي أمين الفتوى (المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ) قال في كتابه المنهاج في المعراج ما نصه: "اعتاد الناس الاحتفال لاستماع قصة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام ولنعمت الذكرى بمولد النبي ﷺ العظيم الذي أخرج الله الخلق بهديه من الظلمات إلى النور."

\* الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر سابقاً (المتوفى سنة ١٣٧٨ هـ) قال في مجلة (الهداية الإسلامية) ما نصه: "أما احتفالنا بذكرى مولده فإننا لم نفعل غير ما فعله حسن بن ثابت رضي الله عنه حين كان يجلس إليه الناس ويُسْمِعهم مديح رسول الله ﷺ في شعر ولم نفعل غير ما فعل علي بن أبي طالب أو البراء بن عازب أو أنس بن مالك رضي الله عنهم حين يتحدثون عن محاسن رسول الله ﷺ الخلقية والخلقية في جماعة".

\* السيد علوى المالكي المدرس في المسجد الحرام (ت ١٣٩١ هـ) قال في مجموع فتاويه ورسائله ما نصه: يحتوي المولد على ثلاثة أشياء:

**أولاً:** أنه يحتوي على ذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ونسبه وكيفية ولادته وما وقع فيها من الآيات وكيفية نشأته وما وقع له من الرحلة للتجارة الإرهافات الغريبة والأحوال العجيبة وذكر مبدأ بعثته وما لاقاه من الأذى والمحنة في سبيل نشر الدعوة وتبليغ القرآن وذكر هجرته وما وقع له من الغزوات والمواقف والأحوال وذكر وفاته وهل يشك الناظر في ذلك أن سيرة سيد الخلق وسيلة لكمال محبته وواسطة لتمام معرفته.

**الثاني:** أن المولد سبب للصلاة والسلام على النبي ﷺ المطلوب منا بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)

وكم للصلاة عليه من فوائد.

**الثالث:** أنه يحتوي على ذكر أخلاقه الشريفة وسنته الجليلة وآدابه التي أدبه بها ربه تبارك وتعالى وفي ذلك حث على متابعتة وحض على اقتفاء آثاره والسير على منهجه والتأسي بآدابه هذا وقد اكتسب العلماء الدعاة إلى الله تعالى في البلاد الحضرية فرصة اجتماع العامة في مجلس المولد الشريف فقاموا بمذاكرتهم وجعلوا ذلك وسيلة لإرشادهم وفي ذلك نفع عميم وإرشاد للصراف المستقيم.

\* الشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر قال: «إن إحياء ليلة المولد الشريف وليالي هذا الشهر الكريم الذي أشرق فيه النور المحمدي إنما يكون بذكر الله وشكره لما أنعم به على هذه الأمة من ظهور خير الخلق إلى عالم الوجود، ولا يكون ذلك إلا في أدب وخشوع وبعد عن المحرمات والبدع والمنكرات. ومن مظاهر الشكر على حبه مواساة المحتاجين بما يخفف ضائقتهم، وصلة الأرحام، والإحياء بهذه الطريقة وإن لم يكن مأثورا في عهده صلى الله عليه وآله وسلم ولا في عهد السلف الصالح إلا أنه لا بأس به وسنة حسنة».

\* محمد الفاضل بن عاشور من علماء تونس البارزين قال: «إن ما يملأ قلوب المسلمين في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول كل عام من ناموس المحبة العلوي، وما يهزّ نفوسهم من الفيض النوراني المتدفق جمالا وجلالا، ليأتي إليهم محمّلا من ذكريات القرون الخالية بأريج طيب ينمّ عما كان لأسلافهم الكرام من العناية بذلك اليوم التاريخي الأعظم، وما ابتكروا لإظهار التعلق به وإعلان تمجيده من مظاهر الاحتفالات، فتتطلع النفوس إلى استقصاء خبر تلك الأيام الزهراء والليالي الغراء؛ إذ المسلمون ملوكاً وسوقاً (أي عامتهم) يتسابقون إلى الوفاء بالمستطاع من حقوق ذلك اليوم السعيد».

\* قال محمد الشاذلي النيفر، شيخ الجامع الأعظم في تونس: «وَأَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ مَا يُؤَيِّدُ مَا تَقَدَّمَ عَنِ «ابْنِ حَجَرَ» وَ«السَّيُوطِيِّ» أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَيْنَا مَحَبَّةَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ مَحَبَّتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَذَلِكَ يُوجِبُ عَلَيْنَا تَعْظِيمَ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُ يَوْمِ مَوْلِدِهِ بِالْإِحْتِفَالِ بِهِ بِمَا يُجِيزُهُ الشَّرْعُ الْكَرِيمُ»<sup>٣</sup>

\* قال عبد الله بن بيه: «فحاصل الأمر أن من احتفل به فسرد سيرته والتذكير بمناقبه العطرة احتفالاً غير ملتبس بأي فعل مكروه من التّاحية الشرعية وليس ملتبساً بنية السنّة ولا بنية الوجوب فإذا فعله بهذه الشروط التي ذكرت؛ ولم يلبسه بشيء مناف للشرع، حبا للنبي ففعله لا

١ حسنين محمد مخلوف، فتاوى شرعية وبحوث إسلامية، ج ١، ص ١٣١.

٢ محمد الفاضل بن عاشور، ومضات فكر، ص ١٩٩

٣ محمد الشاذلي النيفر، مقالة: احتفاء وتذكير، صحيفة الرأي العام بتونس، تاريخ النشر: ١٩، ٠٨، ١٩٩٤



بأس به إن شاء الله وهو مأجور<sup>١</sup>.

\* نوح القضاة مفتي الأردن سابقاً قال: «ولا شك أن مولد المصطفى من أعظم ما تفضل الله به لنا، ومن أوفر النعم التي تجلى بها على هذه الأمة؛ فحق لنا أن نفرح بمولده<sup>٢</sup>».

\* محمد بن عبد الغفار الشريف، الأمين العام للأوقاف في الكويت قال: «الاحتفال بمولد سيد الخلق عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم أمر مستحب، وبدعة حسنة في رأي جماهير العلماء<sup>٣</sup>»

قال عبد الملك السعدي، المفتي العام للعراق سابقاً: «لم يكن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف معروفاً في عصر الصحابة الكرام. ولكن لا يلزم من عدم وجوده في عصر النبي ﷺ أو في عصر الصحابة كونه بدعة سيئة أو منافياً للشريعة، فالاحتفال بالمولد إن أُقيم على أساس أنه عبادة مشروع كالصوم والصلاة والعبادات الأخرى: فهو بدعة. وكذا لا نسميه عيداً، بل إحياء ذكرى؛ لأنه لا يوجد سوى عيدين في الإسلام. وإن أُقيم على أساس إحياء ذكرى مولد سيد المرسلين وإعادة ذكريات سيرته العطرة وخلا من المنكرات واختلاط الرجال بالنساء والمبالغة في مدحه فلا يعد بدعة<sup>٤</sup>».

---

١ موقع بن بيه: حُكْمُ الاحتفال بعيد المولد النبوي.  
٢ موقع دار الإفتاء الأردنية: خطبة جمعة بمناسبة المولد النبوي الشريف  
٣ موقع الدكتور الشريف: رقم الفتوى ٤٣١ في حكم المولد النبوي.  
٤ الأمة الوسط: مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

الشيخ محمد مهدي عبد الله الهرري الأزهرى

مسؤول التعليم فى الجمعية الهررية فى أستراليا

حكم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف عند المذاهب الأربعة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين وعلى آله كل وصحاب كل وسائر الصالحين، أما بعد فهذا

### تعريف البدعة:

لغةً ما أحدث على غير مثال سابق، يقال: جئت بأمر بديع أي أحدث عجيب لم يعرف قبل ذلك. وفي الشرع: المحدث الذي لم ينصّ عليه القرآن ولا جاء في السنة، كما ذكر ذلك اللغوي المشهور الفيومي في كتابه "المصباح المنير" مادة "ب د ع"، وذكر ذلك أيضا الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في "تاج العروس" مادة "ب د ع".

ففي «المصباح المنير» (ص/١٣٨) : أبدع الله تعالى الخلق إبداعا خلقهم لا على مثال وأبدعت وأبدعته، استخرجته وأحدثته ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة وهي اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة وهو ما شهد لجنسه أصل في الشرع أو اقتضته مصلحة يندفع بها مفسدة. اهـ.

وفي المعجم الوجيز (ج ١ / ص ٤٥) : «هي ما استحدث في الدين وغيره تقول بدعه بدعا أي أنشأه على غير مثال سابق» اهـ.

### أقسام البدعة:

قال ابن العربي: «ليست البدعة والمحدث مذمومين للفظ بدعة ومحدث ولا معنييهما، وإنما يذم من البدعة ما يخالف السنة، ويذم من المحدثات ما دعا إلى الضلالة» اهـ.

وقال النووي في كتاب تهذيب الأسماء واللغات، مادة (ب د ع) ج ٣٢٢ ما نصه: «البدعة بكسر الباء في الشرع هي: إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ، وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة، قال الإمام الشيخ المجمع على إمامته وجلالته وتمكّنه في أنواع العلوم وبراعته أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه في آخر كتاب القواعد: «البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمّة ومندوبة ومكروهة ومباحة. قال: والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فمحرمّة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة». انتهى كلام النووي.

فالبدعة تنقسم إلى قسمين:

\* بدعة ضلالة: وهي المحدثة المخالفة للقرآن والسنة.

\* وبدعة هدى: وهي المحدثة الموافقة للكتاب والسنة.

وهذا التقسيم مفهوم من حديث البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». ورواه مسلم بلفظ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». فأفهم رسول الله ﷺ بقوله: «ما ليس منه» أن المحدث إنما يكون ردًّا أي مردودًا إذا كان على خلاف الشريعة، وأن المحدث الموافق للشريعة ليس مردودًا.

وهو مفهوم أيضًا مما رواه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وفي صحيح البخاري في كتاب صلاة التراويح ما نصه: «قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله ﷺ والناس على ذلك»، قال الحافظ ابن حجر: «أي على ترك الجماعة في التراويح». ثم قال ابن شهاب في تمة كلامه: «ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنه».

وفي البخاري أيضًا تميمًا لهذه الحادثة عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: «نعم البدعة هذه». اهـ.

وفي الموطأ بلفظ: «نعمت البدعة هذه» اهـ.

فإن قيل: أليس قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود عن العرياض بن سارية: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

فالجواب: أن هذا الحديث لفظه عام ومعناه مخصوص بدليل الأحاديث السابق ذكرها فيقال: إن مراد النبي ﷺ ما أحدث على خلاف الكتاب أو السنة أو الإجماع أو الأثر.

هذا وأما من حيث التفصيل فالبدعة منقسمة إلى الأحكام الخمسة وهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام كما نص علماء المذاهب الأربعة:

### المذهب الحنفي:

\* قال الشيخ ابن عابدين الحنفي في حاشيته (٣٧٦/١): «فقد تكون البدعة واجبة كنصب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة، وتعلم النحو المفهم للكتاب والسنة، ومندوبة كإحداث نحو رباط ومدرسة، وكل إحسان لم يكن في الصدر الأول، ومكروهة كزخرفة المساجد، ومباحة كالتوسع بلذيق المآكل والمشرب والثياب» انتهى.

\* قال بدر الدين العيني في شرحه لصحيح البخاري (ج١/١٢٦) عند شرحه لقول عمر بن

الخطاب رضي الله عنه: ”نعمت البدعة“ وذلك عندما جمع الناس في التراويح خلف قارىء وكانوا قبل ذلك يصلون أوزاعًا متفرقين: ”والبدعة في الأصل إحداث أمر لم يكن في زمن رسول الله ﷺ، ثم البدعة على نوعين، إن كانت مما تدرج تحت مستحسن في الشرع فهي بدعة حسنة وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح في الشرع فهي بدعة مستقبحة“ انتهى.

### المذهب المالكي:

\* قال محمد الزرقاني المالكي في شرحه للموطأ (ج ٢٣٨/١) عند شرحه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ”نعمت البدعة هذه“ فسماها بدعة لأنه ﷺ لم يسن الاجتماع لها ولا كانت في زمان الصديق، وهي لغة ما أحدث على غير مثال سبق وتطلق شرعًا على مقابل السنة وهي ما لم يكن في عهده ﷺ، ثم تنقسم إلى الأحكام الخمسة. انتهى

\* قال الشيخ أحمد بن يحيى الوشرسي المالكي في كتاب المعيار المعرب (ج ٣٥٧/١-٣٥٨) ما نصه: ”وأصحابنا وإن اتفقوا على إنكار البدع في الجملة فالتحقيق الحق عندهم أنها خمسة أقسام“، ثم ذكر الأقسام الخمسة وأمثلة على كل قسم ثم قال: ”فالحق في البدعة إذا عُرِضت أن تعرض على قواعد الشرع فأى القواعد اقتضتها ألحقت بها، وبعد وقوفك على هذا التحصيل والتأصيل لا تشك أن قوله ﷺ: ”كل بدعة ضلالة“، من العام المخصوص كما صرح به الأئمة رضوان الله عليهم“ اهـ.

### المذهب الشافعي:

٥. ١- الإمام الشافعي:

\* قال الشافعي رضي الله عنه: المحدثات من الأمور ضربان أحدهما ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا فهذه البدعة الضلالة، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه محدثة غير مذمومة. رواه البيهقي في (مناقب الشافعي) (ج ١/٤٦٩)، وذكره الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): (٢٦٧/٣).

\* روى الحافظ أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء ج ٩ ص ٧٦ عن إبراهيم بن الجنيد قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه يقول: البدعة بدعتان، بدعة محمودة، وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: نعمت البدعة هي) اهـ.

\* قال أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، كتاب آداب الأكل ج ٣/٢ ما نصه: ”وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهيا بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب“ اهـ.

\* قال العز بن عبد السلام في كتابه ”قواعد الأحكام“ (ج ١٧٢/٢-١٧٤) : البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمّة ومندوبة ومكروهة ومباحة ثم قال: والطريق في ذلك أن تُعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فهي محرمة، أو الندب

فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، انتهى.

\* قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٥٤/٦-١٥٥) : قوله ﷺ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» هذا عامٌ مخصوص، والمراد: غالب البدع. قال أهل اللغة: هي كلُّ شيء عمل على غير مثال سابق. قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة، ومحرمّة، ومكروهة، ومباحة. فمن الواجبة: نظم أدلّة المتكلمين للردّ على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك. ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والرّبط وغير ذلك. ومن المباح: التّبسط في ألوان الأُطعمة وغير ذلك. والحرام والمكروه ظاهران، وقد أوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في (تهذيب الأسماء واللّغات) فإذا عرف ما ذكرته علم أنّ الحديث من العامّ المخصوص، وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة، ويؤيد ما قلناه قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في التّراويح: نعمت البدعة، ولا يمنع من كون الحديث عامًّا مخصوصًا قوله: «كُلُّ بِدْعَةٍ مُؤَكَّدًا بَ كُلِّ، بل يدخله التّخصيص مع ذلك كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأحقاف، آية ٢٥.هـ.

وقال النووي أيضا «في شرحه على صحيح مسلم» (٢٢٦/١٦-٢٢٧) : قوله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا» إلى آخره. فيه: الحث على الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسانات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات، وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله: «فجاء رجل بصره كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس». وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفتاح لباب هذا الإحسان. وفي هذا الحديث: تخصيص قوله ﷺ: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة.هـ.

قال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في الفتح (ج ٤/٢٩٨) : قوله قال عمر: «نعم البدعة» في بعض الروايات «نعمت البدعة» بزيادة التاء، والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة، والتحقيق إن كانت مما تدرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تدرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة. انتهى

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، المجلد الثاني، كتاب الجُمُعَةِ، باب الأذَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: «وكل ما لم يكن في زمنه يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون بخلاف ذلك» .هـ.

### المذهب الحنبلي:

\* قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي في كتابه «المطلع على أبواب المقنع» (ص ٣٣٤) من كتاب الطلاق: «والبدعة مما عمل على غير مثال سابق، والبدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلالة، والبدعة منقسمة بانقسام أحكام التكليف الخمسة» .هـ.

### فوائد متعلقة بالموضوع

\* قال ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث" (١٠٦/١ - ١٠٧): وفي حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: نِعَمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، الْبِدْعَةُ بِدَعْتَانِ: بَدْعَةٌ هُدًى، وَبَدْعَةٌ ضَلَالٌ، فَمَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ فَهُوَ فِي حَايِزِ الدَّمِّ وَالْإِنْكَارِ، وَمَا كَانَ وَقَعًا تَحْتَ عُمُومِ مَا نَدَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ فَهُوَ فِي حَايِزِ الْمَدْحِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ مَوْجُودٌ كَنُوعٍ مِنَ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَفَعْلٍ الْمَعْرُوفِ فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ مَا وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ جَعَلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَابًا فَقَالَ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»، وَقَالَ فِي ضِدِّهِ: «وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ. وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نِعَمَتِ الْبَدْعَةُ هَذِهِ. لَمَّا كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَدَاخِلَةً فِي حَايِزِ الْمَدْحِ سَمَّاهَا بَدْعَةً وَمَدَحَهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسَنَّهَا لَهُمْ، وَإِنَّمَا صَلَّاهَا لِيَالِيٍّ ثُمَّ تَرَكَهَا وَلَمْ يَحْفَظْ عَلَيْهَا، وَلَا جَمَعَ النَّاسَ لَهَا، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّمَا عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَعَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهَا، فَبِهَذَا سَمَّاهَا بَدْعَةً، وَهِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سُنَّةٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»، وَقَوْلِهِ: «اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»، وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يُحْمَلُ الْحَدِيثُ الْآخِرُ: «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ»، إِنَّمَا يَرِيدُ مَا خَالَفَ أَصُولَ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يُوَافِقِ السُّنَّةَ. اهـ.

\* قال في روح البيان في تفسير القرءان ج ٩ ص ٢: "ومن تعظيمه ﷺ عمل المولد إذا لم يكن فيه منكر قال الإمام السيوطي قدس سره يستحب لنا إظهار الشكر لمولده عليه السلام. انتهى وقد اجتمع عند الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله جمع كثير من علماء عصره فأئشده منشد قول الصرصري رحمه الله في مدحه عليه السلام:

قليلٌ مدح المصطفى الخُطُّ بالذهبِ      على وِرقٍ مِن خَطِّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبَ  
وَأَنْ تَنْهَضَ الْأَشْرَافُ عِنْدَ سَمَاعِهِ      قِيَامًا صَفُوفًا أَوْ جُثِيًّا عَلَى الرُّكْبِ

فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس عظيم بذلك المجلس ويكفي ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيثمي إن البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك أي بدعة حسنة قال السخاوي لم يفعله أحد من القرون الثلاثة وإنما حدث بعد ثم زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر من بركاته عليهم كل فضل عظيم قال ابن الجوزي من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك صاحب أربل وصنف له ابن دحية رحمه الله كتاباً في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فأجازه بألف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلاً من السنة وكذا الحافظ السيوطي "اهـ.

\* قال الخطاب المالكي في مواهب الجليل ج ٢ ص ٩: وقال السخاوي في القول البديع: أحدث المؤذنون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عقب الأذان للفرائض الخمس إلا الصبح والجمعة فإنهم يقدمون ذلك قبل الأذان، وإلا المغرب فلا يفعلونه لضيق وقتها، وكان ابتداء حدوثه في أيام الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وبأمره. وذكر بعضهم أن أمر صلاح ابن أيوب بذلك كان في أذان

العشاء ليلة الجمعة، ثم إن بعض الفقراء زعم أنه رأى رسول الله ﷺ وأمره أن يقول للمحتسب أن يأمر المؤذنين أن يصلوا عليه عقب كل أذان فسر المحتسب بهذه الرؤيا فأمر بذلك واستمر إلى يومنا هذا. وقد اختلف في ذلك هل هو مستحب أو مكروه أو بدعة أو مشروع؟ واستدل للأول بقوله: **﴿وافعلوا الخير﴾** ومعلوم أن الصلاة والسلام من أجل القرب لا سيما وقد تواترت الأخبار على الحث على ذلك مع ما جاء في فضل الدعاء عقبه والثلث الأخير وقرب الفجر. والصواب أنه بدعة حسنة وفاعله بحسب نيته. انتهى

\* قال في حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ج ١ ص ١٠٣: "وأول ما زیدت الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان على المنارة في زمن حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون بأمر المحتسب نجم الدين الطنبدي، وذلك في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمئة كذا في الأوائل للسيوطي، والصواب من الأقوال أنها بدعة حسنة" اهـ.

\* قال في اللباب في شرح الكتاب ج ١ ص ٦٨٤: "قال في الدر: وعلى هذا لا بأس بكتابة أسامي السور وعد الآي، وعلامات الوقف ونحوها، فهي بدعة حسنة، درر وقنية" اهـ.

\* قال الإمام المحدث الفقيه المفسر اللغوي الشيخ عبد الله بن محمد الهري الشيباني في كتابه صريح البيان ج ١/٢٨٠: قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: **﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾** (الحديد: ٢٧). فهذه الآية يستدل بها على البدعة الحسنة، لأن معناها مدح الذين كانوا مسلمين مؤمنين من أمة عيسى متبعين له عليه السلام بالإيمان والتوحيد، فالله تعالى مدحهم لأنهم كانوا أهل رأفة ورحمة ولأنهم ابتدعوا رهبانية، والرهبانية هي الانقطاع عن الشهوات، حتى إنهم انقطعوا عن الزواج رغبة في تجردهم للعبادة. فمعنى قوله تعالى: مَا كَتَبْنَاهَا، أي نحن ما فرضناها عليهم إنما هم أرادوا التقرب إلى الله، فالله تعالى مدحهم على ما ابتدعوا مما لم ينص لهم عليه في الإنجيل ولا قال لهم المسيح بنص منه، إنما هم أرادوا المبالغة في طاعة الله تعالى والتجرد بترك الانشغال بالزواج ونفقة الزوجة والأهل، فكانوا يبنون الصوامع أي بيوتًا خفيفة من طين أو من غير ذلك على المواضع المنعزلة عن البلد ليتجردوا للعبادة اهـ. ثم بدأ بذكر أمثلة على البدعة الحسنة:

ومما يدل على أنه ليس كل ما أحدث بعد رسول الله ﷺ أو في حياته مما لم ينص عليه بدعة ضلالة إحداث خبيب بن عدي ركعتين عندما قُدم للقتل، كما جاء ذلك في صحيح البخاري ومما يدل أيضًا على ذلك أن الصحابة الذين كتبوا الوحي الذي أملاه عليهم الرسول ﷺ، كانوا يكتبون الباء والتاء ونحوهما بلا نقط، ثم عثمان بن عفان لما كتب ستة مصاحف وأرسل ببعضها إلى الآفاق إلى البصرة ومكة وغيرهما واستبقى عنده نسخة كانت غير منقوطة. وإنما أول من نقط المصاحف رجل من التابعين من أهل العلم والفضل والتقوى، يقال له يحيى بن يعمر. ففي كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني ص/١٥٨ ما نصه: "حدّثنا عبد الله، حدّثنا محمد بن عبد الله المخزومي، حدّثنا أحمد بن نصر بن مالك، حدّثنا الحسين بن الوليد، عن هارون بن موسى قال: أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر" اهـ. وكان قبل ذلك يكتب بلا نقط، فلما فعل هذا لم



ينكر العلماء عليه ذلك، مع أن الرسول ﷺ ما أمر بنقط المصحف، فمن قال كل شيء لم يفعل في عهد رسول الله ﷺ بدعة ضلالة فليبدأ بكشط النقطة من المصاحف حتى ابن تيمية زعيمهم ذكر في فتاويه (٤٠٢/٣) ما نصه: "قيل: لا يكره ذلك لأنه بدعة، وقيل: لا يكره للحاجة إليه، وقيل: يكره النقطة دون الشكل لبيان الإعراب، والصحيح أنه لا بأس به". اهـ.

\* قال أبو الفضل عبد الله الصديق الغماري في كتابه إتقان الصنعة ص/١٤: يعلم مما سبق أن العلماء متفقون على انقسام البدعة إلى محمودة ومذمومة وأن عمر رضى الله عنه أول من نطق بذلك ومتفقون على أن قول النبي ﷺ «كل بدعة ضلالة» عام مخصوص ولم يشذ عن هذا الاتفاق إلا "الشاطبي" صاحب الاعتصام فإنه أنكر هذا الانقسام.. اهـ.

ملاحظة: إلى هؤلاء الذين يوافقون ابن تيمية في بدع الضلالة كالتجسيم، نقول لهم: هل توافقونه في هذا؟

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج١/١٦١-١٦٢ وفي كتابه المسمى قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ج٢/٢٨ ما نصه:

وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة، وهي ضلالة باتفاق المسلمين. ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي على أنها مستحبة، فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله اهـ. وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٢٠/١٦٣:

قال الشافعي رحمه الله -: البدعة بدعتان: بدعة خالفت كتاباً وسنةً وإجماعاً وأثراً عن بعض أصحاب رسول الله فهذه بدعة ضلالة. وبدعة لم تخالف شيئاً من ذلك فهذه قد تكون حسنة لقول عمر: نعمت البدعة هذه هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناده الصحيح في المدخل اهـ. وقال في مجموع الفتاوى ج٢٧/١٥٢:

إذا البدعة الحسنة عند من يقسم البدع إلى حسنة وسيئة لا بد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم ويقوم دليل شرعي على استحبابها وكذلك من يقول: البدعة الشرعية كلها مذمومة لقوله في الحديث الصحيح: «كل بدعة ضلالة» ويقول قول عمر في التراويح: «نعمت البدعة هذه» إنما أسماها بدعة: باعتبار وضع اللغة. فالبدعة في الشرع عند هؤلاء ما لم يقم دليل شرعي على استحبابه اهـ.

وقال ابن تيمية في كتابه المسمى الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ج١/١٦٢:

قال الشافعي «البدعة بدعتان: محمودة ومذمومة، فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم» أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشافعي، وجاء عن الشافعي أيضاً ما أخرجه البيهقي في مناقبه قال «المحدثات ضربان ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً

فهذه بدعة الضلال، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة»  
انتهى. وقسم بعض العلماء البدعة إلى الأحكام الخمسة وهو واضح اهـ.

ويقول ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ص/٢٩٧: فتعظيم المولد واتخاذة موسماً قد  
يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم اهـ.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

الشيخ خالد الحلبي الأزهرى

مسؤول التعليم فى الجمعية الإسلامية الإجتماعية

ملبورن أستراليا

تاريخ المولد النبوى الشريف والآيات التى سبقت ولادته

الحمد لله الذي اختار العرب من الخلق ثم اختار من العرب قريشاً ثم اختار من قريش بنى هاشم ثم اختار من بنى هاشم مصطفىاً أبا القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان سليل إسماعيل نبي الله بن إبراهيم نبي الله صلى الله عليه وعلى كل نبي وسلّم.

يقول الله تعالى عن نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء ١٠٧، ويقول عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ سورة الفرقان ٥٦، ويقول رسول الله ﷺ: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ دَعْوَةَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ الَّتِي رَأَتْ» رواه الإمام أحمد والبيهقي وغيرهما.

### إخوة الإيمان

في ذكرى مولد النبي ﷺ يطيب الحديث عنه عليه الصلاة والسلام وتتنسم في ذكرى مولده المبارك عبيراً فواحاً وأعطاراً وأزهاراً مسكية زكية عطرة كيف لا وهو سيد الأولين والآخرين وأعظم مولود عرفه هذا العالم وهو الذي فاق جميع إخوانه النبيين والمرسلين في الخلق والخلق فتعالوا أحباب رسول الله ﷺ في ذكرى مولد هذا الرسول ﷺ العظيم والنبي الكريم صاحب الذكر المحمود والحوض المورود واللواء المعقود والشفاعة العظمى لتحدث عن تاريخ مولده عليه الصلاة والسلام وعن الآيات التي سبقت ولادته ومنها طلوع نجمه فقد قال زيد بن عمرو بن نفيل قال لي حبر من أحبار الشام قد خرج في بلدك نبي أو هو خارج قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه اهـ

وقال حسان بن ثابت والله أني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت وسمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطم يثرب يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا ويلك ما لك قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به اهـ

ومنها خروج النور فقد قالت السيدة ءامنة بنت وهب لقد علقت به تعنى رسول الله ﷺ فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فصل مني خرج منه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء اهـ

ولما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبدان إبلا صعباً تقود خيلاً عرباً وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك وتصبّر عليه تشجّعاً ثم رأى أن لا يدخر ذلك عن وزرائه ومرازبته حين عيّل صبره فجمعهم ولبس تاجه وقعد على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون في ما بعثت إليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك بذلك فبينما هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس فإزداد غماً إلى غمه ثم أخبرهم بما هاله فقال الموبدان وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة ثم قص

عليه رؤياه في الإبل قال أي شيء يكون هذا يا موبدان وكان أعلمهم في أنفسهم قال حدث حدث من ناحية العرب فكتب كسرى عند ذلك من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقليلة الغساني فلما قدم عليه قال ألك علم بما أريد أن أسألك عنه قال يسألني أو يخبرني الملك فإن كان عندي منه علم أخبرته وإلا دلتته على من يعلمه قال فأخبره بما رأى قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فاذهب إليه فاسأله وأتني بتأويل ما عنده فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت فسلم عليه وحياه فلم يحزر جوابا فأنشد عبد المسيح أبياتا من الشعر ففتح سطيح عينيه ثم قال عبد المسيح على جمل مٌشبح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك من بنى ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران رؤيا الموبدان رأى إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهرواة وفاضت وادى السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو عات عات ثم مات سطيح فنهض عبد المسيح إلى رحله وقدم على كسرى فأخبره بقول سطيح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الأربعة الباقون في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنها اهـ.

وكانت ولادة رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول في عام الفيل فقد قال الحافظ الفقيه المفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي اتفقوا أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل اهـ.

وجزم ابن اسحق فقال ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل اهـ وجزم الحافظ الإمام أبو حاتم محمد بن حبان فقال في كتاب الثقات ولد النبي عام الفيل يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير وهذا هو المشهور عند الجمهور اهـ فيكون مولده يوم الاثنين من شهر ربيع الاول من عام الفيل هو المعتمد القائم على الإجماع وكونه الثاني عشر هو ما يُعَيَّنُهُ الأثر ويعضده جزم أئمة من الأوائل والشهرة المنتشرة فهو الذي يطمئن إليه القلب ويعرض عما خالفه اهـ.

وأما مكان ولادته ففي المكان المعروف إلى الان في مكة وكان عقيل بن أبي طالب أخذه حين هاجر النبي ﷺ فبقت الدار بيده ويده حتى باعه ولده من محمد بن يوسف الثقفي فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء فلم يزل ذلك البيت في الدار حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون فجعلته مسجدا يصل في فيه وأخرجته من الدار وأشرعته في الزقاق التي في أصل تلك الدار يقال لها زقاق المولد ولا اختلاف في ذلك عند أهل مكة اهـ.

وكانت أمه ءامنه أتيت وهي حامل به وقيل لها أن تسميه أحمد ومحمدا وعق عنه جده في السابع

من ولادته وسماه محمدا فلما سئل عن ذلك وأنه ليس هو من أسماء آبائه أجاب بأنه أراد أن يحمد في السماء والأرض اهـ

ولم يجمع أحد بين الاسمين أي أحمد ومحمد قبله ولا ادعى أحد من القليل الذين تسموا قبله باسمه النبوة ولا ادعاها منهم أحد حتى تحققت السماتان له ولم ينازع فيهما اهـ

ومن الآيات التي ظهرت بمولده أن إبليس اللعين حُجب عن خبر السماء وصاح ورنّ رنة عظيمة كما رنّ حين لُعن وحين أخرج من الجنة وحين وُلد النبي ﷺ وحين نزلت الفاتحة ذكر ذلك الحافظ العراقي في المورد الهني عن بقي بن مخلد اهـ

وهاكم أحاديث وعائار في مولد سيد المرسلين قوية الأسانيد صحيحة أو حسنة أو مصححة من قبل بعض أهل الشأن من الحفاظ وقد أضمنها بعض الضعيف مما ينضوى تحت أصل من أصول الشريعة ولا يخالف حديثا ثابتا ولا يشتد ضعفه بل يجد من الشواهد والمرويات ما يشده بحيث لا يشتبهع إيراده في المناقب ولا تنتقد روايته في الفضائل ولا يكون عورة تتوجه إليها سهام أهل الابتداع وقد روى عباس الدورى عن الإمام أحمد رضي الله عنه التسهيل في رواية الضعيف في المغازي وأشباهاها حين سئل عن الرواية عن محمد بن اسحاق وكان كثير التدليس فقال أما في المغازي وأشباهاها فيكتب وأما في الحلال والحرام فيحتاج إلى مثل هذا ومدّ يده وضمّ أصابعه اهـ

#### (فصل) أربعة عائارٍ في ما ظهر من الآيات عند مولده ﷺ

**أخبرني** شيخي سمير بن سامي ابن القاضي الشاميّ أخبرني شيخ الحديث محمد بن المفتي محمد سراج الجبرتي الرايّي الحبشيّ إجازة عن المسند أحمد بن موسى الموريسيّ عن الشيخ فالح بن محمد الظاهري وهو سماعا عن الإمام محمد بن علي السنوسي وهو عاليا جدا بالإجازة عن المعمر عبد العزيز الشريف الحبشي عن الحافظ أحمد بن بن علي بن حجر العسقلاني وهو عن شيخه الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي عن عز الدين أبي الفضل محمد بن إسماعيل بن عمر الحموي عن الفخر ابن البخاري عن منصور بن عبد المنعم القراوى عن محمد بن إسماعيل الفارسي النيسابوري عن الحافظ أبي بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة قال أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد المقرئ قال أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحق قال حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي قال حدثنا محمد بن أبي بكر قال حدثنا عمرو بن علي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن يعني ابن حاطب عن أسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة قال خرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بأعلى الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فقال النبي ﷺ يا عم مالي أرى قومك قد شنفوك أي أبغضوك قال أما والله إنّ ذلك بغير نائرة كانت منّي إليهم ولكنّي أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين حتى أتيت على شيخ بالجزيرة فأخبرته بالذي خرجت له فقال من أنت قلت من أهل بيت الله من أهل الشوك والقِرْطَة قال فإنه قد خرج في بلدك نبيّ أو هو خارج قد طلع نجمه فارجع فصدّقه وعامن به اهـ

قال ابن كثير في سيرته وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا

وهب بن بقية حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد قال قال زيد بن عمرو بن نفيل قال لي حبر من أحبار الشام قد خرج في بلدك نبياً أو هو خارج قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه اهـ.

**وبالإسناد** المتقدم إلى محمد بن إسحق صاحب السيرة قال حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري قال حدثني مَنْ شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال والله إنني لغلّام يَفَعُّهُ ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت وسمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطم يثرب يا معشؤ يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا ويلك ما لك قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به قال ابن اسحاق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن ثابت فقلت كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله ﷺ المدينة قال ابن السنين وقدمها رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وخمسين فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين اهـ وأخرجه اسحق بن راهويه في مسنده والحاكم في المستدرک وأبو نعيم في الدلائل وغيرهم اهـ.

**وبالإسناد** المتقدم إلى الإمام البيهقي في دلائل النبوة له قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء وقراءة قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير عن ابن اسحق قال حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا يا رسول الله ﷺ أخبرنا عن نفسك قال دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام اهـ. قال الحافظ ابن كثير هذا إسناد جيد قوي اهـ. وفيه ذكر خروج النور عند الحمل وهو يخالف ما اشتهر من خروج النور عند الولادة قال الحافظ العراقي في مولده المسمى المورد الهني في المولد السنّي يجوز أن يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته ولا مانع من ذلك ولا يكون بين الحديثي تعارض اهـ وأراد بقوله دعوة أبي إبراهيم ما ذكره الله عز وجل في سورة البقرة حكاية عنه ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وأراد بقوله وبشارة عيسى ما أخبر الله تعالى به في القرءان عنه ﷺ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ اهـ.

**وأخبرني** شيخي سمير بن سامي ابن القاضي الشامي أخبرني المسند السيد عبد الرحمن بن عبد الحكي الكتاني الإدريسي الحسنی الأشعري المالکی قراءة عليه وهو بإسناده إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي المجد عن المسند الطيب المؤرخ أبي محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن عساكر عن أبي محمد عبد الله بن عمر ابن حمويه الجويني عن حافظ الدنيا أبي القاسم علي ابن الحسن بن عساكر الأشعري الشافعي رحمه الله عن أبي الحسن علي بن مسلم بن محمد بن الفتاح الفقيه ومحدث صور وخطيبها المفيد أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام الصوري والمسند الثقة أبي محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمی الدمشقي ثلاثتهم عن الشيخ العدل أبي الحسن أحمد بن عبد الواحد ابن أبي الحديد السلمی عن جده مسند

دمشق الثقة أبي بكر محمد ابن أحمد بن عثمان عن الحافظ المصنف المشهور أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي قال حدثنا علي بن حرب يعني المحدث النسابة الثقة أبا الحسن الطائي الموصلي عن أبي أيوب يعلى بن عمران من آل جرير بن عبد الله البجلي قال حدثني مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه وأنت له خمسون ومائة سنة يعني أبا مخزوم المخزومي ممن هد حجة الوداع قال (ح) وبالإسناد المتقدم إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الأشعري الشافعي رحمه الله قال أخبرنا أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد رحمه الله قال أخبرنا أبو أحمد عن حسين بن علي التميمي (ح) وبالإسناد إلى الحافظ البيهقي قال حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي قال أخبرنا الحسين بن علي بن محمد بن يحيى ومحمد بن محمد بن داود وإبراهيم بن محمد النضراباذي واللفظ للحسين قالوا حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس قال حدثنا علي بن حرب الموصلي قال حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران من ولد جرير بن عبد الله البجلي قال حدثنا مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه وأنت عليه مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخذت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك وتصبر عليه تشجعاً ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن وزرائه ومرازبته حين عيّل صبره فجمعهم ولبس تاجه وقعد على سريه ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيم بعثت إليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك بذلك فبينما هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس فازداد غماً إلى غمه ثم أخبرهم بما هاله فقال الموبذان وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة ثم قص عليه رؤياه في الإبل قال أي شيء يكون هذا يا موبذان وكان أعلمهم في أنفسهم قال حدث حدث من ناحية العرب فكتب كسرى عند ذلك من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلى رجل عالم بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو ابن حيان بن بقليلة الغساني فلما قدم عليه قال ألك علم بما أريد أن أسألك عنه قال يسألني أو يخبرني الملك فإن كان عندي منه علم أخبرته وإلا دلتته على من يعلمه قال فأخبره بما رأى قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فاذهب إليه فاسأله وأتني بتأويل ما عنده فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت فسلم عليه وحيّاه فلم يحل جواباً فأشد يقول

أَصَمَّ أَمْ يَسْمَعُ غُظْرِيْفُ الْيَمَنِ  
يا فاصل الحظّة أعيث من ومن  
أتاك شيخ الحي من آل سبن  
أزرّق بهم الناب صوّار الأذن  
رسول قيل العجم يسرى بالرّسن  
تجوب بي الأرض علنداء شرن  
حتى أتى عارى الجاجى والقطن  
أَمْ فادَ فازلَمَ به شأُ العنن  
وكاشف الكربة عن وجه غضن  
وأمه من آل ذئب بن حجن  
أبيض فضفاض الرداء والبذن  
لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن  
ترفعني وجناً وتهوي بي وجن  
تلقه في الريح بوغاء الدمن

كأنما حُجِّتَ من حِضْنِي ثَكَنُ



قال ففتح سطّيح عينيه ثم قال عبد المسيح على جمل مشيخ إلى سطّيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك من بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبدان رأى إبلا صعبا تقود خيلا عربا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاضت ماء السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطّيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطّيح مكانه فنهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

شَمْرُ فَإِنَّكَ ماضِي الهَمِّ شَمِير	لا يُفْزَعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ
إِنْ يُمَسِّسْ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ	فَإِنَّ ذَلِكَ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ	يَهَابُ صَوْلَتَهَا الْأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ	وَالهَرْمُزَانُ وَسَابورُ وَسَابورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا	أَنْ قَدْ أَقْلَلْ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجورُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا	فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنِ	وَالْخَيْرُ مَتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطّيح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة في أربع سنين والباقيون إلى أن قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اهـ.

أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في دلائل النبوة وغيرهم وهو حديث غريب لا يعرف إلا من حديث مخزوم بن هانئ المخزومي تفرد به أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي وله شاهد مرسل من حديث بشير بن تميم أخرجه عبدان في الصحابة كما في الإصابة للحافظ من طريق سعيد بن مزاحم عن معروف بن خربوذ عن بشير بن تميم قال لما كان ليلة مولد النبي رأى موبدان كسرى خيلا وإبلا قطعت دجلة القصة بطولها اهـ قال الحافظ في الإصابة وبشير بن تميم شيخ مكّي يروي عن التابعين وأدركه سفيان بن عيينة ذكره البخاري وابن أبي حاتم اهـ.

فليلة مولد الرسول ﷺ ليلة شريفة عظيمة مباركة ظاهرة الأنوار جليلة المقدار أبرز الله تعالى فيها سيدنا محمدا إلى الوجود فولدته آمنة في هذه الليلة الشريفة من نكاح لا من سفاح فظهر له من الفضل والخير والبركة ما أبهر العقول والأبصار كما شهدت بذلك الأحاديث والأخبار.

## تطبيق القيام الوسطية علي منهج الدعوة فائزة علي شبرامالسي

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فمن نعمة الله على هذه الأمة وتشريفه لها أن جعلها أمة وسطا خيارا عدولا فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. إن الوسطية هي أحد الخصائص الهامة التي تميزت بها هذه الأمة عن الأديان الأخرى. فلما جاء الإسلام كانت سمة الوسطية والاعتدال في كل الآفاق والنواحي. فالتوسط والاعتدال بين بواعث الدين، ومطالب الدنيا، التوسط والاعتدال بين العمل لهذه الحياة والعمل ما بعد الحياة، إلا أن رسالته التي تتسم بالوسطية والسمة تتعرض اليوم لهجمة شرسة من القوي المعادية وتهدد هويتها والنيل من مقدساتها، ولقد حاولت تشويه صورة الإسلام في المجتمعات الإنسانية المعاصرة وبخاصة في المجالات الفكرية والثقافية. فاتهموا الإسلام بالغلو والإرهاب.

إن ما يتعرض له الإسلام من تشويه لصورته المشرقة يدعو إلى القلق الشديد وانتشار ظاهرة معاداة الإسلام (إسلاموفوبيا) التي يستهدف تلويث سمعة المسلمين، ووصمهم بالإرهاب، وبألوان من التعصب الأعمى، بغية إظهار الإسلام على غير حقيقته. وإن هذا الأمر ينبغي أن يحظى باهتمام الجميع، وخاصة مجلس العلماء الذي يمثل القلعة العلمية العالمية والذي تمثل الوسطية والاعتدال ويبذل جهودا حثيثة من أجل أن ينعم العالم بالأمن والسلام. إذ لا يجوز تجاهل هذه الحملة التي تسيء إلى تحقق خير الإنسانية. لذا فإنه من الأهمية بمكان العمل على تصحيح هذه الصورة بجهود متواصلة وآليات متعددة وواجب الدعوة والحرص على الحقيقة وتقديم وسطية الإسلام للمجتمعات الإنسانية كما انزله سبحانه ديناً خاتماً جاء لتحقيق خير الناس ومصالحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع ومسيس الحاجة إليه فأقدم بحثي تحت موضوع يتعلق بالوسطية وهو «تطبيق القيام الوسطية علي الدعوة» من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث، مستوعبا ما كتبه المفسرون حول تقرير القرآن لمنهج الوسطي.

### مفهوم الوسطية

مادة (وسط): تدل على معانٍ متقاربة كما يقول ابن فارس: (الواو والسين والطاء بناء صحيح

يدل على: العدل، والنصف وأعدل الشيء أو وسطه ووسطه..<sup>١</sup> (وسط) بفتح السين. وتأتي لمعان متعددة متقاربة،. وفي لسان العرب: (ووسط الشيء وأوسطه أعدلته).<sup>٢</sup> وسط: بمعنى: الشيء بين الجيد والردىء قال الجوهري: (ويقال أيضاً شيء وسط: أي بين الجيد والردىء<sup>٣</sup> ويقول ابن منظور: «وسط الشيء وأوسطه: أعدلته» وتوسط الشَّخْصُ المكانَ: صار في وسطه «توسط أرض النَّادي- توسط الحاضرين: جلس في وسطهم» وتوسط في الأمر: اعتدل فيه وأخذ موقف الوَسَط «يتوسط في آرائه فلا يتطرف»<sup>٤</sup>

وردت مادة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع في توضيح معاني كلمة الوسط. منها وردت في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقد ورد تفسير هذه الكلمة، كما ذكر لها المفسرون وفي السنة النبوية، ذلك كما يلي: قال محمد رشيد رضا في تفسيره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، هو تصريح بما فهم من قوله: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢١٣). أي على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطا. وقيل في تفسيره لهذه الآية: (وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو الوسط بمعناه المادي والحسي، أمة وسطا في التصور والاعتقاد، أمة وسطا في التفكير والشعور، أمة وسطا في التنظيم والتنسيق، أمة وسطا في الارتباطات والعلاقات، أمة وسطا في الزمان، أمة وسطا في المكان.

وبالنظر الى التعريف نجد أن مدلولات الوسطية تدل على العدل والإعتدال والفضل والخيرية والموازنة فيما بين الأمور وبين الجيد والردىء والمستجدات بعيدا عن الجفاء والغلو لأن الوسطية هي الطريق الجامع الى كل فضيلة والبعد عن كل رذيلة بإتباع منهج النبي ﷺ.

### مفهوم الدعوة

تنوعت تعاريف أهل العلم للدعوة وذلك لعظم أمرها ولشدة اهتمام علماء هذه الأمة وكتابتهم في هذا العلم الواسع. ومما يلي بعض التعريفات القريبة في مضمونها إلى مانريد الحديث عنه من الوسطية وتطبيقها على الدعوة الإسلامية

مادة الدعوة من الدال والعين والحرف المعتل (دعو) أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، يدل عليه قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ **آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**)<sup>٥</sup> فذكر الدعوة مقابل الصمت، وتداعت الحيطان، إذا سقط واحد وآخر بعده. والدعوة: (دعا إلى الشيء حثه على قصده)<sup>٦</sup> والدعوة ما دعوت إليه من طعام وشراب، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيت<sup>٧</sup>. وقال أيضا في تعريف آخر لها: (الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني،

١ معجم مقاييس اللغة: كتاب الواو، باب (الواو والسين): (١٠٨ / ٦).

٢ نفس المصدر السابق: (٤٣٠ / ٧).

٣ نفس المصدر: (١١٦٧ / ٣).

٤ لسان العرب لابن منظور (٤٣٠ / ٧).

٥ معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٤٣٦ / ٣).

٦ سورة آل عمران الآية ١٩٣.

٧ معجم الوسيط مادة (دع و) (٢٨٦ / ١).

٨ معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص ٢٣٧، ولسان العرب لابن منظور، ص ٢٦٠ / ١٤.

وتقرير الواجبات) يقول الشيخ على محفوظ هي: حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل<sup>١</sup>.

فالدعوة إلى الله تبارك وتعالى هي أعظم مهمات رسولنا ﷺ، وهي وسيلة وسبيل لتحقيق توحيد الله تعالى. وهي الميزة التي فضل الله تعالى بها هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>٢</sup>، وقال تبارك وتعالى آمراً بها وحائثاً عباده على القيام بها: (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>٣</sup>؛ فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. لذا كان الداعية إلى الله تعالى من أحسن الناس قولاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>٤</sup>.

ومن خلال ما ذكرنا يتبين لنا أن كلمة (الدعوة) يراد بها في اللغة عدة معانٍ وهي: النداء والحث والحض والطلب وأنها تشمل الاستمالة إلى الخير وإلى الشر وذلك ببيان استخدام الوسطية في الدعوة إلى الله من خلال إتباع المنهج القويم الهادي إلى سبيل الرشاد والبعد عن الغلو والتطرف وتعطيل مقاصد الشريعة الإسلامية.

### أساليب الدعوة

لقد بحث علماء التفسير والدعوة وعلماء الإسلام قاطبة الأساليب والمناهج التي تضمن بقاء الدعوة واشتمارها وتيسير قبولها في الأوساط جميعها والعصور المتعاقبة. وكما قلنا سابقاً أن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى هي أعظم مهمات رسولنا ﷺ، وهي وسيلة وسبيل لتحقيق توحيد الله تعالى. فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

وقيل أيضاً: الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن.

بعد التأمل مما تحويه الآية السابقة تبين أن فيها أساليب الدعوة الثابتة بالقرآن والسنة ومن ذلك:

قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾

الآية الكريمة واضحة الدلالة في بيان أن الدعوة المراد فيها دعوة إلى سبيل الله. لا لشخص الداعي

١ المرجع السابق ص (٤).  
٢ هداية المرشدين، للشيخ على محفوظ ص (١٧).  
٣ آل عمران آية ١١٠.  
٤ آل عمران آية ١٠٤.  
٥ فصلت آية ٣٣.

ولا لقومه. فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله. وهي دعوة الرسل جميعاً، فكلهم دعا قومه إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة الطاغوت، وكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت.

وهذا حديث تزيد الأمر وضوحاً: فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: «كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده على الخط الأوسط، فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾<sup>١</sup>. (الأنعام: ١٥٣) ونحو ذلك.

بين الحديث أن قوله سبحانه ﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ يعني سبيل الله فهو الصراط المستقيم. وإنما بدون فهم معنى (الصراط المستقيم)، وتحديد مدلوله لا نستطيع فهم الوسطية على معناها الصحيح. وقد ورد لفظ الصراط المستقيم في القرآن الكريم عشرات المرات، وفسره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أهدنا الصراط المستقيم يعني الإسلام، قال: هو أوسع مما بين السماء والأرض، وقال ابن عباس: ذلك الإسلام. وقال ابن عباس: قال جبريل لسيدنا محمد ﷺ: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾: يقول أهدنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له<sup>٢</sup>.

إذا سأل سائل أين الصلة بين الوسطية والصراط المستقيم؟ فنجيب عنه بأن مما تقدم يتضح أن معنى «<sup>٣</sup>» وهو الصراط المستقيم وهو دين الله يدل على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي الذي سبق تقريره، وبخاصة أن ما جعلته لازماً لمفهوم الوسطية وإطلاقها قد تحقق في معنى الصراط المستقيم، فالخيرية والبينية ظاهرتان في هذا الأمر، فنجد في سورة الفاتحة لما قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٥) ثم حدده فقال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧) فجعل الصراط المستقيم طريق الأخيار، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضالين. وكذلك في سورة البقرة قال تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢) فقال بعدها مباشرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقد تحدث المفسرون عن الكاف في هذه الآية، وذكر غير واحد (الكاف) للربط بين جعلهم أمة وسطاً وهدايتهم للصراط المستقيم.

## ٢. قوله سبحانه: بالحكمة

قال عبد الرحمن بن سعدي (الحكمة: هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، ثم قال: وجميع الأمور لا تصح إلا بالحكمة التي هي وضع الأشياء في مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام).<sup>٤</sup>

وقيل (الحكمة هي القصد والاعتدال وإدراك العلل والغايات، والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال). بالنظر إلى معنى الحكمة تبين أنها في غاية الدلالة على

١ أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع رسول الله ﷺ (١ / ٦ رقم ١١) وله شواهد، وحسنه

٢ انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٢٧).

٣ انظر: تفسير الطبري (١ / ٧٤).

٤ انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢ / ١٥ / ١) والطبري (٢ / ٦).

٥ انظر: تفسير السعدي (١ / ٣٣٢).

صلتها يعني الحكمة بالوسطية.

ولا يمكن لأي دعوة أو داعية أن يتخلى عن الحكمة أو يقصر في تحقيقها. والدعوة بالحكمة يعني النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

ونخلص مما سبق: أن الحكمة لا بد من اعتبارها عند تحديد معنى الوسطية؛ بل إن الالتزام بالوسطية وعدم الجروح إلى الإفراط أو التفريط هو عين الحكمة وجوهرها، وذلك أن الخروج عن الوسطية له آثاره السلبية، إما عاجلاً، أو آجلاً، وهذا يخالف الحكمة وينافيها.

### ٣. وقوله سبحانه: بالموعظة الحسنة

والدعوة إلى الله تكون بالحسنى وبالقول اللين. قال تعالى أمرنا نبيه ﷺ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب. ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

### ٤. قوله سبحانه: وجادلهم بالتي هي أحسن

أما الأسلوب الرابعة للدعوة هي الجدل بالتي هي أحسن وذلك بمراعاة أحوال المدعويين واتخاذ مايناسب كل حال من الحالات المناسبة كما بين الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

الجدل بالتي هي أحسن يعني بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة.

قال الرازي: «ومن لطائف هذه الآية أنه قال: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة، أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام ولهذا السبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهاً على أنه لا يحصل الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر».

بهذه الأساليب الراقية في الدعوة إلى الله وبمضامين الوسطية في الدعوة والتعامل مع مجتمع الدعوة

وفق ما تقرره الشريعة وطبقه الرسول ﷺ وما يجمع بين الثوابت والأصالة ومواكبة العصر ومتطلباته ومستجداته. تمثل هذه الأساليب ضمانة من ضمانات عدم انحراف طريق الدعوة وضمانة للحصول على أفضل النتائج دون تطرف أو انحراف يذكر.

ويتضح لنا مما سبق من أساليب الدعوة ان الدعوة الإسلامية لا بد ان تكون دعوة وسطية تهتم بتربية الأجيال على التزام العقيدة الإسلامية وحث الناس للخير وحب الخير لهم والسعي إلى ما يسعدهم في معاشهم في الدنيا والآخرة. ولا يتأتى ذلك إلا بالحرص على الالتزام.

بعض مظاهر تطبيق القيام الوسطية علي منهج الدعوة ما يلي:

هناك المبادئ والقيم التي تحتويها الوسطية وتمثل تطبيق بعض القيام الوسطية في شخصية الداعية والدعوة من خلال الأمور الآتية :

### الأول: الوسطية في الدعوة.

إن أول من حمل مشعل الدعوة الى الله تعالى هم انبياء ورسله الذين اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ان يحملوا هم الدعوة الإسلامية الوسطية والتي تجلت في دعوة النبي ﷺ. وذلك من خلال النظر في المقاصد التي أرادها ﷺ من بناء الفرد والمجتمع والحرص على اصلاح الناس في جميع أحوالهم بتوجيههم لإتباع المنهج الوسطي في الدعوة الإسلامية، للوصول للمقاصد والغايات التي أراد الشارع الوصول إليها ، ولذلك فقد بين الله سبحانه وتعالى وسطية هذه الأمة وخيريتها عن غيرها من الأمم كما جاء في وصف القرآن لهذه الأمة بقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.

وفي هذا دلالة على أهمية دراسة سيرة النبي ﷺ وكان صحابته رضوان الله عليهم ملتزمين الوسطية في الدعوة والسياسة والحكم وفي كافة شؤون حياتهم المختلفة وتبعهم من بعد ذلك السلف الصالح رضوان الله عليهم . لأنه لا يمكن ان تكون الوسطية في الدعوة بالتشدد المطلق أو التهاون المطلق وانما تكون بالتوازن والتوسط فيما بين الأمرين وذلك بالالتزام بالأساليب والوسائل الدعوية يعني مراعاة جانب الحكمة والموعظة والمجادلة التي هي أحسن وذلك بمراعاة أحوال المدعوين واتخاذ مايناسب كل حال من الحالات المناسبة كما بين الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

### الثاني: الوسطية في العلاقات الإنسانية مع الآخرين

إن الإنسان بطبعه يحتاج إلى مخالطة الناس ومشاركتهم في هذه الحياة لعدم استطاعته العيش بمعزل عن الآخرين فهو بحاجة اليهم لتحقيق مصالح حياته ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم بين ذلك الرابط القوي لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يقول الامام السعدي تعليقا علي هذه الآية- هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها،

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم<sup>١</sup>.

نجد أن القرآن الكريم بين الغاية التي جعل الله الناس لأجلها شعوبا وقبائل وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>٢</sup> وذلك للقيام بالتعارف والتعاون على البر والتقوى، والمحافظة على رابطة الأخوة الإيمانية. وقال ﷺ: «إن المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه<sup>٣</sup> ويقول ﷺ: «أكمل الناس إيمانا أحاسنهم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»<sup>٤</sup>.

وبالنظر في ادلة القرآن الكريم وأقوال النبي ﷺ عن أهمية تحقيق العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وان الحياة لا تستقيم إلا بالإعتصام بالكتاب والسنة لزوم نهجها في الحياة بالتعاقد والتواد والتراحم التي تؤدي الى تحقيق الأمن النفسي والفكري والاجتماعي بعيداً كل البعد عن التشدد والتطرف وذلك بتدبير بيئة مشجعه على نبذ كافة السلبيات وعزلها عن المجتمع ليصبح مجتمعا قائما على الوسطية.

### الثالث: اليسر ورفع الحرج

إن من أبرز سمات الوسطية: التيسير ورفع الحرج. وقد تقرر فيما مضى أن هذا الدين هو دين (الوسط) فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط. واليسر ورفع الحرج مرتبة عالية بين الإفراط والتفريط، وبين التشدد والتنطع وبين الإهمال والتضييع. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، فالوسط هو منبع الكمالات، والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة هو في سلوك طريق الوسط والعدل<sup>٥</sup>.

يقول الدكتور صالح بن حميد: (إن رفع الحرج والسماحة والسهولة راجع إلى الوسطية والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح وعدم تحقيق مصالح الشرع)<sup>٦</sup>.

فيما يلي أحاديث يبين أن الدين كله يسر: أخرج البخاري في صحيحه تعليقا: «قيل يا رسول الله: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: «الحنيفية السمحة»<sup>٧</sup>. أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ عندما أرسل معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال لهما: «يسراً ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا»<sup>٨</sup>. وفي مسند الإمام أحمد، قال ﷺ: «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»<sup>٩</sup>.

١ تفسير السعدي ص (٢٤٠).

٢ سورة الحجرات آية (١٠).

٣ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ح (٤٨١)، (١/١٠٣).

٤ سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٤٢٦)، (١/٧٨٧).

٥ المرجع السابق (١٣).

٦ رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (١٣).

٧ البخاري، فتح الباري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١/١١٦).

٨ البخاري، فتح الباري، كتاب الآداب، باب يسروا ولا تعسروا (١/٥٤١).

٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٨)، رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.



ومن هنا ندرك غضبه ﷺ على هؤلاء الذين حاولوا سلوك منهج التعمق والتشدد ظنا منهم أن ذلك طريق النجاة، وإذا فلا غرابة أن رأيناه ﷺ يتعقب الذين يلتزمون التشديد والأخذ بالأشق.

### الرابع: سماحة الإسلام

وقد وجه الإسلام أتباعه الى معاملة الناس جميعا وفق منظومة الأخلاق الفاضلة، من معاملة حسنة، وحسن معايشة، ومشاركة بالمشاعر الإنسانية في البر والرحمة والإحسان وهي أمور يومية وشخصية وحساسة وذات تأثير نفسي كبير، ولم تقتصر سماحة الإسلام مع المسلمين فقط، بل شملت أهل الكتاب والمشركين أثناء الحرب، بل برزت إنسانية النبي وسماحته حتى مع أعدائه من اليهود. ولبيان عناية الإسلام بهذا الجانب وتأكيد عليه، فسأذكر بعض ما ورد في ذلك من أحاديث يبين أن الدين كله يسر لا عسر فيه ولا حرج، منها:

وأخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا». وفي السنن عن عقبة بن عامر أن أخته نذرت أن تمشي إلى البيت فقال النبي ﷺ: «إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئا فتركب» وفي رواية: «إن الله لغني عن مشيها مروها فتركب».

### خامسا: الوسطية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونعني بالوسطية في هذا الباب: السماحة والتيسير والأخذ بالرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التشدد على الناس وعدم التضييق عليهم فيما وسع الله فيه، فلا يحرم عليهم ما أحل الله لهم، ولا يظالبهم بما يثقل عليهم، وأن يعلمهم ويزيل جهالتهم، برفق ولين حكمة، وألا يساوي بين الواجب والمندوب، وبين الحرام والمكروه، ولا بين المباح والمحظور، بل يضع كل شيء في موضعه، وليجعل منهجه في الدعوة إلى الخير. وقال تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩) قال الرازي: قوله: ﴿خذ العفو﴾ يدخل فيه ترك الغلظة والفظاظة، ويدخل فيه دعوة الخلق إلى دين الحق باللين والرفق. وانظر إلى موقف النبي ﷺ مع معاوية عندما شتم معاوية عاطسا في الصلاة جهلا منه بعدم مشروعية هذا الفعل فلم ينهره النبي ﷺ بل وجه بكل رفق ولطف بقوله: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير والتهليل)، وعندما دخل رجل أعرابي المسجد ورسوله ﷺ جالس فصلى ركعتين ثم قال اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا، فقال النبي ﷺ (لقد تججرت واسعا)، ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد وأسرع الناس إليه فنهاهم النبي ﷺ وقال: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، صبوا عليه سجلا من ماء، أوقال، ذنوبا من ماء؟)

### سادسا: الوسطية في العدل

وجوب العدل على هذه الأمة وصور من قيامها به العدل من الأسس والقيم التي جاءت بها

١ انظر: رفع الحرج في الشريعة (٨٣).

٢ محمد أحمد محمد العزازي، الاعتدال في الإسلام مفهومه ومظاهره، في المجلة الأرخييل السنة السادسة عشرة - العدد السابع عشر رجب ١٤٢٣ هـ، يوليو ٢٠١٢ م ص ٣٤

جميع الشرائع السماوية، فأنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، أي العدل، فما من كتاب أنزل ولا رسول إلا أمر أمته بالعدل، وأوجبه عليها، والأمم بين طائع آخذ منه بنصيب، وحائد مائل عن العدل والقسط بجهل أو هوى، والرسل ما تزال تجدد ما نسيت الأجيال، وتذكر الناس بما نسوا إلى أن ختمت الرسالات بخاتم الأنبياء محمد ﷺ.

وقال الحافظ ابن كثير: (أي: كونوا قائمين بالحق لله - عز وجل - لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا شهداء بالقسط، أي بالعدل لا بالجور) ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقا كان أو عدوا.

فالعدل الذي أمرت به هذه الأمة، حق عام لكل أحد من الناس، لا يجبهه عن مستحقه شنان ولا عداوة، ولا يحول دونه اختلاف لون ولا جنس ولا دين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨).

فالعدل حق لكل الناس وجميع الناس، لا عدلا بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلا مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو لكل إنسان بوصفه (إنسان) فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة التي يلتقي عليها البشر جميعا، مؤمنين وكفاراء، أصدقاء وأعداء، سودا وبيضا، عربا وعجماء، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت في أمرهم -.

وبهذا فمننا ببيان وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام من خلال القيام الوسطية وتطبيقها علي الدعوة وعلي شخصية الداعي. فنحن علي يقين أن الأمة اليوم بأمس الحاجة إلى منهج الوسطية وخاصة في مجال الدعوة.

### التوصية:

١. ضرورة العمل على وسطية الإسلام، وهذا بيان يجب أن يوجه لكل المجتمعات الإنسانية، وطريقة تستفيد من أساليب العصر في الإعلام والاتصال وتقنيات المعلومات، ويقع على رأس ذلك، إقامة الفضائيات الإسلامية المتنورة، ومواقع الإنترنت وشبكة التواصل الاجتماعي اللازمة لمخاطبة العقل الإنساني المعاصر، باللغة التي يفهمها.

٢. تطوير مناهج إعداد الدعوة بهدف التأكد من إدراكهم لروح الإسلام يعني الوسطية، ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية، بالإضافة إلى اطلاعهم على الثقافة المعاصرة، بحيث يكون تعاملهم مع المجتمعات المعاصرة ومخاطبتهم لها عن وعي وبصيرة.

٣. الحرص على هداية الناس وبذل كل جهد ممكن في التوضيح والبيان والإقناع. ومنهج

الدعوة يقوم على الرفق واللين والحرص على هداية الناس ويرفض الغلظة والخشونة وقسوة الكلام وعنف التوجيه. لأن من أبرز صور التساهل في الدعوة نتيجة فقه ساذج ونظر ضعيف، وعدم معرفة بطبيعة الدعوة وشروطه.

## المصادر والمراجع

- \* أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد العزيز غنيم، وحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البناء، مطبعة الشعب القاهرة.
- \* ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري تصحيح وتعقيب عبد العزيز بن باز، دار الفكر، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- \* ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، مكتبة الحلواني، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ/١٩٣٢م.
- \* ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الفكر ١٤٠٥هـ.
- \* ابن فارس أبي الحسين بن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب الواو، باب (الواو والسين) تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، إيران: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- \* أبي عيسى الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان، تحقيق أحمد شاكر، (القاهرة: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨).
- \* جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، فصل الواو، باب (وسط)، بيروت: دار صادر
- \* شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م الطبعة الثانية).
- \* صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، بالأزهر: المطبعة المصرية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م،
- \* عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الطبعة الأولى
- \* عبد الستار فتح الله سعد، المنهاج القرآني في التشريع، د، مطابع دار الطباعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- \* علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة التابعين، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى
- \* محمد أحمد محمد العزازي، الاعتدال في الإسلام مفهومه ومظاهره، في المجة الأرخييل السنة السادسة عشرة - العدد السابع عشرة رجب ١٤٢٣هـ
- \* محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر، ١٤١١هـ/١٩٩١م (الطبعة الأولى).

\* محمد صالح عبد الله بن حميد، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، دار الاستقامة، ١٤١٢هـ،  
الطبعة الثانية.

\* محمد باكريم محمد باعبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، الرياض: دار الراية، ١٤١٥هـ  
/ ١٩٩٤م، الطبعة الأولى

وسطية الإسلام في منظور الحديث النبوي  
من المنهج إلى التطبيق

Prof. Dr. H. Abdullah Syah, MA  
Ketua Umum MUI Provinsi Sumatera Utara  
DR. ARDIANSYAH, LC. M.A  
GENERAL SECRETARY OF MUI NORTH SUMATRA  
LECTUR AT UIN NORTH SUMATRA MEDAN

إن مثل الإسلام كمنهج ومثل الأمة كأتباعه كمثّل جانبين لعملية لا ينفكان. عندما تبدأ الدراسة والبحث عن منهج معين، أصبح سلوك أتباعه غالباً ما يستخدم كعينة للمنهج نفسه. على الرغم من أن سلوك الأتباع ليس بالضرورة توضح منهجهم تماماً. وهكذا حال الإسلام باعتباره كأكثر الأديان أتباعاً في العالم بعد المسيحية، غالباً ما تكون مرتبطة بسلوك أتباعه. وموقف عدم التسامح في الآونة الأخيرة الذي يظهر من بعض الجماعات التي تدعي الانتساب إلى الإسلام يسبب إلى تهميش الأمة الإسلامية في المعاملة العالمية. صار النقاش حول مفهوم الوسطية يتحدث عنه الكثير من العلماء والخبراء في معالجة مشاكل الأمة المختلفة. ومن ثم، فإن منهج الوسطية (القصد) كروح التعاليم الإسلامية كما وضحت الأحاديث النبوية أصبح حاجة ملحة وإستراتيجية ليس فقط كنظرية مفاهيمية ولكن أيضاً يجب أن يتحقق كموقف عقلي. إن تطوير الأساليب والتأكيد على خصائص ومبادئ الوسطية في مختلف النقاشات واللقاءات أصبح حاجة لا يستغنى عنها في الأيام الأخيرة من أجل تحقيق الإسلام الموصوف بأنه رحمة للعالمين. وفي هذا الصدد، فقد تم تسجيل خصائص حياة نبينا محمد ﷺ من خلال الأحاديث وأن لها موقفاً مركزياً بصفتها ميزاناً مرجعياً في هذا البحث، فإنه قدوة لتفعيل معنى الوسطية الحقيقية.

### ب. مفهوم الوسطية

الوسطية مشتقة من « وَسَطٌ يَسُطُّ - سِطَّةٌ ». توجد هذه الكلمة في القرآن الكريم على صيغة المصدر والفعل والصفة. أما على صيغة المصدر ففي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴾ (البقرة: ١٤٣). من المثير للاهتمام أننا نلاحظ أن سورة البقرة تتألف من ٢٨٦ آية، في حين أن الآية التي تصف الوسطية تقع في الآية ١٤٣، بحيث أنها تقع في منتصف السورة بالضبط. وهذا يدل على أنه ليس فقط نصاً لآية الذي يؤكد موقف وسطية الإسلام ولكن أيضاً موقفاً لآية في منتصف السورة. وهذا لم يحصل صدفة بل أنه يؤكد إعجاز القرآن وأنه كلام رب العالمين تبارك وتعالى.

وعلى صيغة الفعل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم ٢٨) فمعنى أوسطهم في هذه الآية هو أفضلهم رأياً. وعلى وزن الصفة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَكَفَّارْتُهُ إِطْعَامٌ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (المائدة ٨٩). الآية تبين أن كلمة الأوسط تعني الوسط، وأن الطعام الذي يدفعه الحانث كفارة لليمين هو الغذاء المعتاد أكله عند أفراد الأسرة، غير مكلف للغاية وليس من النوع المتدني. فبالنظر إلى تنوع معاني الوسط في الآيات السابقة فإن تنوع دور المسلمين في وسط الأمة يرجي حصوله. فتواجد المسلمين محقق للخير وناشر للسلام ومنور للبشرية.

عند البحث عن معنى كلمة وسط وأوسط، وجدنا أن لها عدة المعاني. فعند ابن منظور، كلمة وسط وأوسط (اسم التفضيل) لديه العديد من المعاني، منها: وَسَطُ الشَّيْءِ: ما بين طَرَفَيْهِ وهو

منه، والخيار والأفضل والأعلى والعدالة والقوة والثبات<sup>١</sup>. وعند الراغب الأصفهاني كلمة الوسط تعني المنتصف والمتوازن لا إفراط ولا تفريط ويشمل معنى العدالة والاستقامة والخير والأمن والقوة<sup>٢</sup>. وعند ابن الأثير ذكر بأن كل صفة ممدوحة لها وجهان من الصفات المذمومة مثل الكرم، فالبخل والإسراف مذمومان. وأيضا الشجاعة، فالخوف والتساهل مذمومان. الإنسان مأمور باجتنب الوجهين من الصفات المذمومة. وعندما يقف موقف الوسط بين هذين الصفتين المذمومتين، وهذا يعني أنه يقف بعيدا عن كليهما<sup>٣</sup>.

وفي اللغة الإندونيسية، كلمة "moderat" هي المرادفة نسبيا لمعنى الوسطية. عند المعجم الكبير للغة الإندونيسية كلمة "moderat" تعني اجتناب السلوك والتعبير المتطرف والميل إلى جهة البعد أو الطريق الوسط<sup>٤</sup>.

أما تعريف الوسطية اصطلاحا فهي الموقف أو السلوك الذي يفضل القيم المعتدلة من غير إفراط ولا تفريط. وبعبارة أخرى، أن الوسطية هي التسامح والتوفيق بين الآراء والخلافات. ولكن هذا لا يعني أنه ليس لدى الإنسان أي موقف وبالتالي يبرراً ويقبل جميعا لخلافات بدون حدود. وهذا بالتأكيد ليس موقفا وسطيا بل مجاوزة الحدود. باختصار، فإن الوسطية هي موقف اختيار الطريق الوسط من خلال تعزيز مبادئ التسامح والتوفيق بدون إكراه في تسوية المسائل المختلف فيها. هذا الموقف يؤدي إلى موقف الثبات والاستقامة في التوصل إلى الطريق الوسط لتسوية الخلافات القائمة في مختلف جوانب الحياة البشرية. وعلاوة على ذلك، من أجل تحقيق معنى الوسطية لا بد من شرطين أساسيين؛ أولا، أن مفهوم الوسطية مستمدة من الدين. وثانيا، أنه موقف وسلوك الأمة الإسلامية. إذا اكتمل الشرطان عندئذ تكون الوسطية ليست مجرد نظرية بل تتحقق كموقف عقلي.

إن لمفهوم الوسطية معانیا متقاربة لمفاهيم أخرى مثل مفهوم العدالة ومفهوم التوازن. وقد جاء في حديث النبي ﷺ الذي يفسر معنى الوسط بمعنى العدالة. كما رواه الإمام أحمد والبخاري في كتابيهما. والعدالة في حد ذاته هو موقف الحياد وعدم الميل إلى طرف من طرفين أو أكثر من الفرق التي تتنازع أو تختلف. وبعبارة أخرى، فإن هذا الموقف يدل على التوازن في المسافات ووجهات النظر في القضايا من خلال إعطاء كل فرقة حقها دون ظلم لأي طرف.

وعلى هذا، إن فهم وتنفيذ مفهوم الوسطية في الحياة الحديثة اليوم يصبح أمرا لا محيص عنه لأنه غالبا ما توجد خلافات حادة بين فرقتين متنازعتين. إذا تم الحفاظ على الخلافات والنزاعات بين الفرقتين فمن المحتمل أن يحصل اشتباكات قاتلة، لأن كل فرقة مصرة على رأيها. إدراكا لهذا الواقع، فإن محاولة التوفيق بين الرأيين التي يتبناها مفهوم الوسطية أصبحت حلا للمشاكل التي يواجهها

١ ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، بدون سنة الإصدار)، مجلد السابع، ص. ٤٢٦  
٢ الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، مجلد الأول، ص. ٥٢٢  
٣ ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك، النهاية في غريب الأثر، (بيروت: مكتبة العلمية، ١٩٧٩)، مجلد الخامس، ص. ٣٩٩  
٤ Tim Penyusun Kamus Besar Bahasa Indonesia, Kamus Besar Bahasa Indonesia, (Jakarta: Balai Pustaka 2001) h. 751



المسلمون.

فالوسطية المراد بها ليست روحا للتساهل في الشريعة أو تخفيفها، ولكن المراد بها كما هو معروف بعبارة «من غير إفراط ولا تفريط». وبعبارة أخرى، لا التطرف إلى اليمين ولا التطرف إلى اليسار. ولا ننكر أن بعض المسلمين فهم معنى الوسطية بأنها حركة التساهل في الشرع. فمعرفة معنى الوسطية وخصائصها أمر مهم للغاية كيلا نخطئ في فهمها.

فالوسطية في الدين هي عدم الغلو فيه المتجاوز لحدود الله سبحانه وتعالى. كما قال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة ٧٧). فلا يجوز لنا أن نقصر بحيث نتقص حدا من حدود الله سبحانه وتعالى. وأما تعريف الوسط في الدين فهو التمسك بالسنة والسيرة النبوية. ج. الوسطية في منظور الحديث.

لا تكاد تذكر كلمة الوسط أو الوسطية في الأحاديث النبوية. فهي إن وجدت، ففي الحديث الذي ذكره الإمام ابن الأثير في كتابه جامع الأصول في أحاديث الرسول: «خير الأمور أوسطها». ومع ذلك، فإن المحدثين يرون أنه ليس مجديث، ولكنه قول التابعي المعروف بمطرف بن عبد الله الشخير.

رغم ذلك، هذا لا يعني أن الوسطية لا تعرف في السنة، ولكن المعروف بأنها تعبر «بالقصد» الذي يرادف معنى التوسط والاعتدال يعني الوسط. كما وجدت أيضا استعمال كلمة القصد في القرآن الكريم في نصيحة لقمان لابنه ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ (لقمان ١٩). ومعناه عند أبي حيان: لا تسرع سرعة عند المشي كمن تابعه الخوف ولا تبطئ بطئا كالتكبر.

أما حديث النبي ﷺ الذي ذكره فيه لفظ القصد الذي يعني التوسط فهو ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه كما يلي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ) ٣.

بالإضافة إلى ذلك، حديث النبي ﷺ عندما رأى بعض الناس الذي يطيل إطالة في العبادة: عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا فَإِذَا مَحْنُ بَيْنَ أَيْدِينَا بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَرَاهُ يُرَائِي فَقُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَتَرَكَ يَدِي مِنْ يَدِهِ ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يُصَوِّبُهُمَا وَيَرْفَعُهُمَا وَيَقُولُ: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ».

١ ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك، جامع الأصول في أحاديث الرسول، (بيروت: مكتبة دار البيان، ١٩٧٢)، مجلد العاشر، ص. ١٣٠. وكذا روى البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الحرساني، كتاب شعب الإيمان، (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣)، مجلد الخامس، ص. ٣٩٦. وأيضاً روى ابن سعد محمد بن سعد البصري الزهري، طبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، دون سنة الاصدار)، مجلد السابع، ص. ٦٢٣. وكذا الطبري محمد جرير بن يزيد الأمالي، جامع البيان في تأويل القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠)، مجلد الثالث، ص. ١٤٣.

٢ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي النحوي الأندلسي، تفسير البحر المحيط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١)، مجلد السابع، ص. ١٨٣.

٣ رواه الإمام البخاري في صحيحه عند كتاب الرقائق باب القصد والمداومة على العمل، رقم حديث ٦٤٦٣.

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ وَسَكَتَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ)١.

وفي هذا المعنى، شهادة الصحابي جابر بن سمرة رضي الله عنه لخطبة النبي ﷺ يوم الجمعة: عَنِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «كُنْتُ أَصِلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَاةَ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)٢. ومعنى القصد هنا التوسط في الصلاة والخطبة لا طويلة مرهقة ولا قصيرة مزيلة للمعنى. هكذا صلاة النبي ﷺ وخطبته في صلاة الجمعة.

كما يوجد لفظ الغلو المضاد للتوسط في حديث النبي ﷺ كما يلي: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ» (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ)٣.

في هذا الحديث تنبيه صريح من النبي ﷺ لتجنب الغلو المجاوز للحدود في الدين. فكل شيء يتجاوز الحد ليس فيه خير. وقد نبه النبي ﷺ أمته لعدم التنطع المؤدي إلى الهلاك. ففي الحديث: عَنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)٤. ومعنى التنطع في هذا الحديث هو مجاوزة الحدود في القول والعمل.

#### د. مبادئ وخصائص الوسطية في الحديث النبوي

من أبرز خصائص تعاليم الدين الإسلامي هي الوسطية، يعني الاعتدال والقصد واتخاذ السبيل الأمثل. أما الغلو والتطرف في تطبيق المظاهر الإسلامية لا تجدي الا الفوضى والمشاكل. ذلك ما لا يريده الشرع لأن الغاية من الدين تحليل المشاكيل المتداولة بين المجتمع. وتطور حياة الإنسان في الحين من سنن الله العظيم حيث نجد الفرقات بين المجتمع المدني الذين يعيشون جنباً بجنب. وبهذه الاختلافات والفرقات بالمعنى الأوسع قد أدت تفاعل ومشاركة بين أعضاء المجتمع لمساعدة بعض بعضاً. ولذلك، فإن فهم معاني الوسطية وخصائصها من خلال أخلاق النبي ﷺ في غاية المهام. الإسلام كدين ونظام الحياة البشرية في دورها تؤكد أهمية خلافة الناس في الأرض. كنظام الحياة، فإن الوسطية (أو القصد) لها مبادئ أساسية التي يجب أخذها والإهتمام بها. فمع تطبيق هذه المبادئ كما علمنا المصطفى فإن الوسطية يمكن لنا تحقيقها. وفيما يلي بعض تلك المبادئ:

١. الخيرية (الأفضل والمجتبي)؛ كما أوضحنا سابقاً بأن من أحد المعاني للوسطية هي الخيرية أو أفضل الأمة. قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره الذي يمثل معنى «أمة وسطاً» هو الخيرية والأفضلية، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١١٠). فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيتم مسار السلام للأمة من المخالفات والضلالات. وهذا من العمل والرسالة التي جاء بها جميع الأنبياء

١ رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية بريدة الأسلمي، حديث رقم ٢٢٩٦٣. وكذا رواه الحاكم في المستدرک عند كتاب صلاة التطوع، حديث رقم ١١٧٦. والبيهقي في شعب الإيمان عند كتاب الصيام باب القصد في العبادة، حديث رقم ٣٦٠٠.

٢ رواه مسلم في صحيحه عند كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم حديث ٨٦٦.

٣ رواه النسائي في سننه عند كتاب الحج باب التقاط الحصى، حديث رقم ٣٠٥٧. وروى ابن ماجه في سننه عند كتاب الحج باب قدر الحصى، حديث رقم ٣٠٢٩.

٤ رواه مسلم في صحيحه عند كتاب العلم باب هلك المنتطعون، رقم حديث ٦٩٥٥.

٥ الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسن الرازي الشافعي، تفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث، بدون سنة الإصدار)، مجلد الأول، ص. ٦٣١.

والمسلمين. فالأمة الإسلامية رائد لذلك وفي القيام بهذا المهام يحتاج إلى الحكمة وحسن التطلعات لتحقيق قيم السلام. وقد مارست ذلك النبي ﷺ في دعوة الإسلام بين الكفار يعني الدعوة المتعاطفة والسلمية. الدعوة بالقُدوة الحسنة أبلغ في توصيل مفاهيم حول الإسلام حتى لمست القلوب وجلبت البركة للكون<sup>١</sup>.

٢. العدالة أو الإنصاف؛ تطبيق العدالة بين الناس من أوامر الله كما قال في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ٨). العدالة ينبغي أن تقام بين المسلمين وغيرهم. والتمسك بشعار العدالة تظهر بالصدق والأمانة والرفق والرحمة بين الناس. لقد فسر النبي ﷺ الوسطية بمعنى العدالة كقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه<sup>٢</sup>. مفهوم العدالة كما جاء في القرآن تبدأ من العدالة في التوحيد إلى المعتقدات عن قيام الساعة وعن الإمامة حتى القضايا المعاصرة حول المعاملة الاقتصادية. العدالة في الاعتقاد بمعنى أن لا يشرك بالله شيئاً كوصية لقمان لابنه (لقمان ١٣)، والعدالة في الأسرة تظهر بتوفير العيش الكريم والقيام بأفضل الوجه لخدمة أبناء الأسرة (البقرة ٢٨٢-٢٨٣)، والعدالة في الحكم والقانون. بشكل عام.

٣. التوازن هو إعطاء كل ذي حق حقه، من غير اسراف ولا تضييق. والتوازن لا يجدى الا مع التنظيم كما قال تعالى في سورة الرحمن الآية ٧. ويتمثل كمال الشريعة الإسلامية في توازنه بين الأمور الدنيوية والأخروية. التوازن هو ضرورة اجتماعية، ولذا فإن أمور الحياة لا يستقيم إما الحياة الفردية والاجتماعية إلا بالتوازن. وسوف تتضرر في التفاعل الاجتماعي<sup>٣</sup>.

٤. التسامح: فالتعصب المفرط أدى إلى انغلاق النفس للآراء الغير وبتهم كل رأي غير موافق لرأيه من الضلالات والواهيات. في حين لقد قال السلف الصالح بأن كل واحد منا تؤخذ وترفض أقواله إلا النبي ﷺ.

٥. الاستقامة؛ يعني الإستقامة في الدفاع عن الحق والنهي عن المنكرات والمخالفات.

٦. رفع الحرج يعني بقضاء على مشاكل؛ الإسلام هو دين يسر. وذلك بأن الله يريد اليسر ولا يريد العسر على عباده. والدين لا ترهق الحياة الإنسانية، بل لتوجيه الحياة أسهل وأيسر. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة ١٨٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج ٨٧). وقال النبي ﷺ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ» (رواه البخاري ومسلم وأبو داود). وقال رسول الله ﷺ أمرا بالتيسير:

١. د. علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، (بيروت: دار الفاتس، ١٩٩٧)، ص. ٢٢٤.  
٢. رواه البخاري في صحيحه عند كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: «إنا أرسلنا نوحا...»، حديث رقم ٣٠٩١.  
٣. المرجع السابق

«يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْقِرُوا» (رواه البخاري ومسلم). واختصار القول، يوجّه النبي ﷺ الأمة بالتيسير ويأمرهم به، لأن حياة الأمة الإسلامية بين يدي المجتمع تعطيهم الطمأنينة ونشر المنفعة فضلا عن توفير الحلول للمشاكل التي يواجهونها وليس مصدرا للمشاكل نفسها.

### هـ. تطبيقات مفهوم الأحاديث النبوية حول الوسطية.

الحديث هو المصدر الرئيسي للإسلام بعد القرآن. والوسطية هي من أبرز وأهم المميزات التي يمكن لنا أن نتأصلها من حياة النبي ﷺ. وتطبيق معالم الوسطية أساس ناجح لإظهار وجه الإسلام الهادئ والسلمي في وسط المجتمع الدولي. وفي تطبيق هذه المعالم بحاجة الى ان نتفحص من الأحاديث النبوية بطريقة المقارنة الشمولية. حتى نتبين لنا الحقائق من حياة النبي محمد ﷺ التي تصور فهما دقيقا لمفهوم الوسطية نفسها. وكانت حياة النبي محمد ﷺ وممارسته لشيء ما، بيانا وتفسير المعان القرآن. إذا أخذ أحد حديثا ما من أحاديث النبي ﷺ واختار جزئيا منه فقط ويترك حديث آخر، سوف يؤدي إلى الأخطاء في الفهم ويؤدي إلى الأخطاء في التطبيق.

وبالإضافة إلى ذلك، يعتبر خطوة هامة أخرى في فهم الحديث هي معرفة أسباب ورود الحديث. ولذلك فمعرفة أسباب ورود الحديث أصبح بابا خاصا وهاما جدا في مباحث علوم الحديث ومصطلحاته. لأنه، مع العلم بأسباب الورد يمكن له فهم العلة والحكمة الواردة والمضمونة في الحديث. ومع ذلك، يجب أن يكون لفهم أحاديث النبي ﷺ الرجوع إلى شرح العلماء وشرح الحديث. وكذلك فهم الإصطلاحات الغريبة مع الرجوع إلى كتاب غريب الحديث لاستكشاف المعاني الواردة في الحديث محاولة مهمة لفهم معنى الحديث. ومع ذلك يتبنى فهما جيدا وصحيحا لفهم ممارسة حياة النبي ﷺ.

مثال على موقف الاعتدال في العبادة. كما يمكن أن يرى في الحديث التالي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوبًا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ لِكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَصَلِّي وَأَرْفُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

ويوضح من خلال الحديث حياة الاعتدال من حياة النبي محمد ﷺ كالبحر في العبادة. تحقيق معنى التوازن بين الأمور الدنيوية والآخروية. ونحن جميعا نعرف من خلال كلمته أنه أكثر وأتقى الناس إلى الله عزوجل. ومع ذلك، فإنه يتزوج النساء، ويأكل ويشرب وينام في الليل كما يفعل غيره. هذا هو أفضل وأحسن قدوة وأسوة حسنة لجميع المسلمين على الإطلاق.

١ رواه البخاري في صحيحه عند كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا، حديث رقم ٥٦٦٠. وكذا روى مسلم في صحيحه عند كتاب الجهاد باب الأمر بالتأسي، حديث رقم ٣٢٦٤.

٢ روى إمام البخاري في صحيحه عند كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح، حديث رقم ٥٠٦٣. وكذا روى مسلم في صحيحه عند النكاح باب استحباب النكاح، حديث رقم ١٤٠١.

الشريعة الإسلامية هي قانون الحياة ، لم تتغير على ممر العصور، لأنه يأتي من عند الله سبحانه وتعالى. والله عليم بما كان وما يكون وكيف كان وسوف يكون من الأمور الماضية والآتية حتى يرث الأرض من عليها. لذلك شرع الله الشريعة الإسلامية وفقا للظروف والواقع للحياة البشرية. على عكس القوانين الوضعية عُرضة للتغيير والتبديل والتحريف والتضاد، وذلك لقصر المعرفة الإنسانية وقدرتهم المحدودة للماضي والمستقبل، ما أصدروا من القوانين اليوم، وغدا قد لا تعد مناسبة ويحتاج من تجديده. فإن شريعة الله لن يتغير إلى الأبد، ومناسبة لجميع الأزمان والأماكن. وكما نعلم أيضا بأن الشريعة الإسلامية لديها مرونة قادرة على مواجهة تحديات العصور في أي حالة.

## ز. الخاتمة

من الشرح المتقدم نلخص بأن الخصائص الكامنة في تعاليم الإسلام هي الوسطية (القصد) كما مارس النبي محمد ﷺ وبينه في الحديث. من خلال مفهوم مبادئ الوسطية تظهر وجه الإسلام سلاما ورحمة. وعكس ذلك، من المواقف المبالغة في الدين يسبب من الإفراط والتفريط سببت الانحرافات في الفهم والممارسة أحكام الدين مما تسيء مظهر الإسلام كدين السلام والرحمة. ولذلك، فإن جميع عناصر المسلمين لزمهم العودة إلى مبادئ وخصائص الوسطية (ويطلق في الأحاديث بالقصد) وهي الخيرية، العدالة، التسامح، التوازن، الاستقامة (الثبات) ورفع الحرج. عسى الله يوفق هذه الأمة أفضل الطريقة لإظهار وإقامة شعار الوسطية. والله أعلم والحمد لله.

مفهوم الرحمة وأثرها في الدعوة القراءانية  
دراسة واقعية في سومطرة الشمالية، إندونيسيا

بقلم: الدكتور زين العارفين

نائب رئيس العلاقة الخارجية لمجلس العلماء الإندونيسي

خريج جامعة الأزهر من كلية أصول الدين سنة ١٩٩٣  
حصل الماجستير من جامعة أم درمان السودان  
حصل الدكتوراه في جامعة مالايا  
محاضر في جامعة سومطرة الشمالية الإسلامية الحكومية

[tafsirinspirasi@gmail.com](mailto:tafsirinspirasi@gmail.com)

## ملخص البحث: مفهوم الرحمة

يسعى هذا البحث في مساهمة تحقيق ذلك الهدف بتحديد الدراسة على ضوء تنزيل القرآن وصياغة مفهوم نظام قيم الدعوة القرآنية المعاصرة وتتبع الحياة الاجتماعية للمجتمع وفق التفكير المعاصر وتطبيقه في سومطرة الشمالية إندونيسيا. يعرض هذا البحث أن **الرحمة** صفة الله وهو الرحمن الرحيم، والإسلام دين الرحمة، والأنبياء رسل الرحمة، والقرآن كتاب الرحمة.

الكلمات الرئيسية: الرحمة، القرآن، المعاصرة، التفسير

## التقديم

إن الرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، وكف العسف والظلم، ومنع التعدي والبغي. وقد أراد الإسلام من جانب أن يطبع المسلمين بها حتى تمتلئ قلوبهم خيراً وبراً وتفيض على العالمين رجاء وأملاً، إن طبيعة الإسلام سهلة سمحة رحيمة، وهو يريد أن يطبع النفوس بطابع الرحمة، وأن ينشئهم على هذه الفضيلة حتى ينعم العالمون في ظلها الوارف، ويعيشوا في كنفها آمنين، وينزل عليهم سلام الله ورحمته وبركاته.

أضف إلى ذلك، وجد الباحث الذين يتلون القرآن ولا يفهمون ما قرأوه، ولا تؤثر هذه التلاوة في نفوسهم ولا تنجذب إليه أفئدتهم ولا يعملون بأوامره ولا يجتنبون مناهيه ولا يتأدّبون بأدابه العالية. هم أشبه شيء بأصحاب التوراة الذين قال الله في حقهم **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾** شبه الله أصحاب التوراة الذين يتلونونها ويحفظونها ولا يعملون بما فيها بالحمار الذي يحمل كتباً ولا ينتفع بما فيها من علم وفن وإدراك.

فلكي يبعد الباحث عن هذا المثل ويأتي الرحمة كما أراد القرآن الكريم كتب الباحث هذا البحث ليتناول عن **مفهوم الرحمة أثرها في الدعوة القرائية**. وهذا البحث يدور حول دراسة واقعية في سومطرة الشمالية، إندونيسيا، أو كيفية إيجاد **الرحمة** في تطوير الدعوة القرآنية المعاصرة في سومطرة الشمالية، إندونيسيا.

## مفهوم الرحمة في منظور علماء اللغة والقرآن

قبل أن يدخل الباحث إلى **أثر الرحمة في الدعوة القرائية** يتحدث الباحث عن مفهوم **الرحمة** في المنظور القرآني لغة واصطلاحاً، وكيف يفهمه المفسرون. لفظ الرحمة مفهوم إسلامي أصيل، ورد ذكره في القرآن الكريم في نحو ثمانية وستين ومائتي (٢٦٨) موضع، وقد ورد في أكثر مواضعه بصيغة الاسم، نحو قوله سبحانه: **﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**، وورد في أربعة عشر موضعاً بصيغة الفعل، نحو قوله سبحانه: **﴿قَالُوا لَنْ نَمُنَّ بِرَحْمَتِ رَبِّنَا﴾**.

الرَّحْمَةُ الرَّيْقَةُ وَالرَّحْمَةُ، والمرحمة مثله، وقد رَحِمْتُهُ وَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ، وَتَرَحَّمَتِ الْقَوْمُ رَحِمَ بَعْضُهُمْ

بعضاً، والرَّحْمَةُ المغفرة<sup>١</sup>. والرَّحْم والمرحمة والرحمة بمعنى واحد. والرَّحِم: علاقة القرابة. وسميت رحم الأنثى رحماً من هذا؛ لأن منها ما يكون ما يرحم ويرزق له من ولد.

ولفظ الرحمة في القرآن ورد على عدة معان:

\* **أولاً**، الرحمة التي هي **صفة الله** جل وعلا، تثبت له على ما يليق بجلاله وعظمته، من ذلك قوله عز وجل: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾<sup>٢</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وربك الغني ذو الرحمة﴾<sup>٣</sup>. والرحمة كصفة لله سبحانه هي الأكثر وروداً في القرآن الكريم. وسيتحدث الباحث عن مضمون صفة رحمة الله بعد هذا.

\* **ثانياً**، الرحمة بمعنى **الجنة**، من ذلك قوله تعالى: ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾<sup>٤</sup> أي: يطمعون أن يرحمهم الله، فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم.

\* **ثالثاً**، الرحمة بمعنى **النبوة**، من ذلك قوله سبحانه: ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾<sup>٥</sup>، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿يختص برحمته﴾<sup>٦</sup>، أي بنبوته، خصَّ بها محمداً ﷺ. وهذا على المشهور في تفسير الرحمة في هذه الآية. ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وأتاني رحمة من عنده﴾<sup>٧</sup>، أي: نبوة ورسالة.

\* **رابعاً**، الرحمة بمعنى **العطف والمودة**، من ذلك قوله سبحانه: ﴿محمد رسول الله ﷺ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾<sup>٨</sup>، قال البغوي: متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد. ونحو هذا قوله عز وجل: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾<sup>٩</sup>، أي: مودة فكان يواد بعضهم بعضاً.

\* **خامساً**، الرحمة بمعنى **القرآن**، من ذلك قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾<sup>١٠</sup>. فالرحمة في هذه الآية القرآن. وهذا مروى عن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة.

\* **سادساً**، الرحمة بمعنى **المطر**، من ذلك قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾<sup>١١</sup>، قال الطبري: والرحمة التي ذكرها جل ثناؤها في هذا الموضع: المطر. ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾<sup>١٢</sup>.

ويندرج من إنعام الله:

١	لسان العرب، ج ٢٣، ص ٢٠٧٨
٢	سورة الأعراف: ١٥٦
٣	سورة الأنعام: ١٣٣
٤	سورة البقرة: ٢١٨
٥	سورة البقرة: ١٠٥
٦	سورة هود: ٢٨
٧	سورة الفتح: ٢٩
٨	سورة الحديد: ٢٧
٩	سورة يونس: ٥٨
١٠	سورة الأعراف: ٥٧
١١	سورة الروم: ٥٠



\* أولاً، الرحمة بمعنى **النعمة والرزق** من الله، من ذلك قوله سبحانه: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾، قال الشوكاني: الرحمة: النعمة والرزق. ومن هذا القبيل قوله عز من قائل: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾، قال البيضاوي: أي، خزائن رزقه، وسائر نعمه. ومنه قوله عز وجل: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾.<sup>٣</sup>

\* ثانياً، الرحمة بمعنى **النصر** من الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، قال القرطبي: أي، خيراً ونصراً وعافية.

\* ثالثاً، الرحمة بمعنى **المغفرة والعفو** من الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ بِكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، أي، أنه سبحانه يقبل من عباده الإنابة والتوبة. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، أي: لا تيأسوا من مغفرته وعفوه.

\* رابعاً، الرحمة بمعنى **العصمة** من الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، قال ابن كثير: أي: إلا من عصمه الله تعالى.

\* خامساً، الرحمة بمعنى **الثواب** من الله، من ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال سعيد بن جبير: الرحمة هنا الثواب.

\* سادساً، الرحمة بمعنى **إجابة الدعاء**، من ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾، قال الشوكاني: يعني إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد.

وعلى الجملة، فإن معنى لفظ الرحمة **العطف والمودة**، وهي من الألفاظ العامة والشاملة، التي يدخل في معناها كل خير ونفع يعود إلى الإنسان في دنياه وآخرته؛ ومن هنا فلا غرابة أن يجد الباحث في كتب التفسير من يفسر لفظ الرحمة في موضع بمعنى من معانيه، ويفسره آخر بمعنى آخر، ويحكم ذلك كله في النهاية سياق الكلام وعلم المفسر.

معاني الرحمة في القرآن					
صفة الله	الجنة	النبوة	العطف	القرآن	المطر
الرزق	النصر	المغفرة	العصمة	الثواب	إجابة الدعاء

١	سورة الزمر: ٣٨
٢	سورة الإسراء: ١٠٠
٣	سورة فاطر: ٢
٤	سورة الأحزاب: ١٧
٥	سورة الأنعام: ٥٤
٦	سورة الزمر: ٥٣
٧	سورة يوسف: ٥٣
٨	سورة الأعراف: ٥٦
٩	سورة مريم: ٢

أما المفكرون المعاصرون فقد رأوا منهم أن الرحمة عامة وشاملة لجميع الخلائق، بما فيه الكافرون. على سبيل المثال: قول م. مروان الفاعوري -رئيسا لمنتدى الوسطية للفكر والثقافة - والشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله شاه - الرئيس العام لمجلس العلماء الإندونيسي فرع سومطرة الشمالية إندونيسيا في حوار مع الباحث بعد هذا.

قال مروان الفاعوري: «يأتي الحديث عن الرحمة التي ينبغي أن تسود بين المؤمنين أنفسهم. فالعلاقة بين المؤمنين رحمة، وهذه الرحمة هي التي تقودهم في المجموع إلى أن يكونوا رحماء على الناس جميعا، لأن الرسالة الإسلامية في جوهرها رحمة للعالمين، كما وصف الله رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. وهذه أمور ينبغي التأكيد عليها. فالرحمة بين المسلمين كأمة مسلمة ينبغي أن تكون واقعا معيشيا لا مجرد شعارات، وما قد يكون بين المسلمين من خلافات وخصومات لا تصل إلى درجة الشدة على أنفسنا. ومن جانب آخر، لا بد أن نتدرج في شعور الرحمة على الناس جميعا، حين نتذكر أننا ندعاة لنخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأن غير المسلمين ليسوا في درجة واحدة، فهناك من يعاديني وهناك من هو مسالم.»

### تطوير الدعوة القرآنية في سومطرة الشمالية، إندونيسيا

إذا سرح أعضاء المنظمة العالمية لخريجي الأزهر فرع إندونيسيا في سومطرة الشمالية النظر في مسلمي إندونيسيين وتأمل في شؤونهم تجاه القرآن الكريم يجدهم يتلونهم وتمرّب بهم آيات الحث على التوحيد وإخلاص العبادة على الطاعة لرسوله والاستمسك بعروة سنته الوثقى وعلى الرحمة والمرحمة، فلا تحرك منهم ساكناً ولا تردهم عن خرافات وثنية غرقوا فيها لأذقانهم؛ ولا عن أخلاق ذميمة طرحتهم في الحضيض ولا عن شهوات قتلت كل فضيلة فيهم، كما تمرّب بهم آيات الزجر عن المعاصي وارتكاب ما ظهر منها وما بطن فلا ينزجرون به ولا تحدث في نفوسهم أي تأثير. ومنشأ ذلك اهتمامهم بتجويد ألفاظه وإتقان تلاوته؛ دون أن يكون مع ذلك تدبر لمعانيه أو تفكر في مراميه.

قال أحمد محيي الدين العجوز: «يجب أن تعمل بالقرآن وتحذر كل الحذر مخالفته في أمره أو نهييه كي لا تفوت الغاية الشريفة التي نزل من أجلها وبنيت عليها العقيدة الإسلامية المقدسة. قال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً.» أجل والله، وإن القرآن بلا تدبر كجسد بلا روح، وشجر بلا ثمر، وإن قراءة آية واحدة بفهم جيد وعمل مطابق خير بكثير من قراءة القرآن كله بدون فهم ولا انتفاع ولا عمل، فما أحوجنا اليوم إلى ذلك التدبر وذلك التفهم؟.

وعلى هذا، يطور أعضاء المنظمة العالمية لخريجي الأزهر فرع إندونيسيا في سومطرة الشمالية الدعوة الإسلامية على منهج القرآن الكريم ويركز على ذلك.

على سبيل المثال وضع الكاتب في العنوان الرئيسي في سورة الفاتحة «سبع طرق لإيجاد الحياة السعيدة»، وفي العناوين الفرعية للآية الأولى «الصبر والبدء على كل شيء باسم الله»، وللآية الثانية

١ سورة الأنبياء: ١٠٧

٢ أحمد محيي الدين العجوز، الرجوع إلى القرآن الكريم.

«الشكر والعمل المتقن»، وللآية الثالثة «الإحسان والتراحم»، وللآية الرابعة «العفو، والعمل لما بعد الموت»، وللآية الخامسة «العبادة لله وحده»، وللآية السادسة «الدعاء للسعادة: الثبات على الإسلام»، وللآية السابعة «تيسير المسألة». أجل إن الرحمة واقعة في أم الكتاب ومنتشرة في القرآن.

ولسهولة الدعوة القرآنية أضاف الكاتب هذا التفسير ٢٥٨ باور بوينت لشاشة كمبيوتر وعرضه على المشاهدين والمستمعين. بجانب هذا لقد نشر هذا التفسير وقفنا لله تعالى للسجناء والمؤلفة قلوبهم والطلاب في الجامعات والمدارس، بلغ عدد هذا الوقف عشرة آلاف كتاب.

**ثانياً، الإعلام عبر قناة الإذاعة ووسائل واتس أب ولاين.** رأى أعضاء المنظمة العالمية لخريجي الأزهر فرع إندونيسيا في سومطرة الشمالية أن للأعلام دوراً فعالاً ضرورياً في نشر الأخبار والآراء والمعلومات الثقافية الإسلامية على الجماهير، أي أنه يساهم في تنمية الثقافة الإسلامية لدى أفراد المجتمع. وللإعلام دور مهم في الحفاظ على هوية الأمة وثقافتها والحث على ممارستها عن طريق الدعوة القرآنية. كما أن الإعلام الإسلامي يساهم أو يهدف في نشر تعاليم الدين الإسلامي ومعالجة القضايا الدينية ونشر ثقافة الرحمة بين أفراد المجتمع، وكذلك العمل على إعداد رأي عام منصف تجاه الدين وحقائقه، لا كما يحاول البعض تصويره بأنه دين يحث على العنف والتطرف والإرهاب وغيرها من الصفات الذميمة. أي تلك التي تعمل على تفرقة أبناء المجتمع وعزلهم عن بعضهم البعض.

ومن هنا كانت الدعوة القرآنية تبدأ عملياتها منذ سنة ٢٠٠٦م كل يوم لعشر دقائق قبيل المغرب في قناة إذاعة جمهورية إندونيسيا تحت برنامج «يوم واحد لآية واحدة»<sup>٣</sup>. وحين كتب هذا البحث (٢٠١٧) كانت الدعوة القرآنية في هذه الإذاعة بلغ إلى سورة فصلت أي أربعة آلاف حلقة. وقد ألقى هذه النشرة داغيتان أو أكثر من أعضاء المنظمة العالمية لخريجي الأزهر فرع إندونيسيا في سومطرة الشمالية. يتكلم كل منهم لفهم آية واحدة نحو ثلاث دقائق إلى خمس دقائق. وبدأ هذه النشرة بعد البسملة والتحميد بقراءة عنوان فرعي لكل آية أو آيتين.

وقد كتب هذا التفسير يومياً منذ سنة ٢٠١٥ من أول سورة الفاتحة، وفي يوم الثلاثاء، ١٩ سبتمبر ٢٠١٧ بلغ إلى حلقة ٦٧٥ أي في سورة الأنبياء بدأ من آية ٨٣ إلى آية ٨٨. وعنوان هذه الدعوة المنقولة من القرآن هو «سبعة أشياء عن قوة الصبر». في آية ٨٣ كتب في واتس أب ولاين كما هو مكتوب في تفسير إنسفراسي «الصبر من رحمة الله والدعاء طريق إليه». ثانياً في آية ٨٤، الصبر هو استجواب التدرج العملي. ثالثاً ورابعاً في آية ٨٥، الصبر هو فعال ومطابقة الواقع. خامساً، الصبر هو صالح لكل زمان ومكان. سادساً في آية ٨٧ الصبر عدم الغضب. وأخيراً في آية ٨٨ من سورة الأنبياء،

١ زين العارفين بن زكريا، تفسير إنسفراسي، ص ١ و ٢.

٢ ١١٤ باور بوينت تحت ملف «١١٤ إنسفراسي خلف أسماء السور من القرآن الكريم». ١٩ باور بوينت تحت ملف سورة الإسراء، سورة السابعة عشرة. و ٢٠ باور بوينت تحت ملف سورة الكهف، سورة الثامنة عشرة. و ١٨ باور بوينت تحت ملف سورة مريم، سورة التاسعة عشرة. و ١٩ باور بوينت تحت ملف سورة الإسراء، سورة السابعة عشرة. و ٢٥ باور بوينت تحت ملف سورة طه، سورة العشرون. و ٩ باور بوينت تحت ملف سورة السجدة، سورة الثانية والثلاثون. و ١٤ باور بوينت تحت ملف سورة يس، سورة السادسة والثلاثون. و ٨ باور بوينت تحت ملف سورة الواقعة، سورة السادسة والخمسون. و ٦ باور بوينت تحت ملف سورة الملك، سورة السابعة والثلاثون. و ٦ باور بوينت تحت ملف سورة الإنسان، سورة السادسة والسبعون.

٣ زين العارفين بن زكريا، الخبرة من الدعوة القرآنية في إذاعة جمهورية إندونيسيا

٤ ومن أعضاء المنظمة للدعوة القرآنية عبر الإذاعة هم: الشيخ الدكتور زين العارفين، الشيخ الدكتور أريهان شاه، الشيخ الدكتور محمد سفيان، الشيخ الدكتور صيام مانورونج، والشيخ رجال شمس الدين الماجستير، والشيخ مخلص مبارك الماجستير، والشيخ أسرار بوهان الماجستير، والشيخ روديان سبتوروس الماجستير، والشيخ أمر ترميذي الماجستير، والشيخ فضل سوديرو البكلوريوس، والشيخ أن أفريشاه البكلوريوس، والشيخ صبر الدين البكلوريوس، والشيخ عبد الواحد سليمان الماجستير.

الصبر هو الثقة بالله. ومن المعروف أن الصبر من السلم بمعنى الخير ومن الأفعال المحمودة.

**ثالثاً، الدعوة القرآنية والتشجيع على ذلك.** وجد أعضاء المنظمة العالمية لخريج الأزهر فرع إندونيسيا في سومطرة الشمالية المسجد والزوايا والجمعيات الخيرية ذات الطابع الديني والأحزاب الدينية. فالهدف الأساسي الذي تسعى إليه هذه المنظمة هو نشر الثقافة الدينية وتنمية الوعي الديني وبث روح التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع، وبعبارة أخرى للمؤسسة الدينية بعد روعي أكثر منه مادي. وهذه العملية لا تتم إلا عن طريق قرب أفراد المجتمع إلى قرآنه. فالدعوة القرآنية أمر ضروري.

وفي كثير من المناسبات، قد دعى عضو من أعضاء المنظمة أمام طلاب الجامعات في سومطرة الشمالية (سواء كان بالجامعة الإسلامية الحكومية أو بالجامعة الأهلية ميدان أريا أو بجامعة سومطرة الشمالية) نحو عملية فهم القرآن الكريم.

إنّ التطبيق العملي في إندونيسيا الذي أجراه الباحث من خلال سنة ٢٠٠٦ إلى اليوم في الجامعة والمسجد وعبر قناة الإذاعة، وخصوصاً أمام مائة طالب، تؤكد أن الآية ٢٤ من سورة محمد قاطعة وتفرض التدبر بأي شكل من الأشكال، ولو كان غير قادر على اللغة العربية، بشرط عدم الزيغ في قلوبهم. الآية ١٩٥ من سورة الشعراء القائلة «بلسان عربي مبين» ليس من إحدى شروط التدبر، بل هو من إحدى طرق الترجمة التفسيرية الصحيحة<sup>١</sup>.

\* **أولاً،** لإدراك معاني القرآن واتباع هداياته.

\* **ثانياً،** تيسير فهم القرآن الكريم على المسلمين من غير العرب.

\* **ثالثاً،** إطاعة الداعية إلى الله تعالى أن يقوم بواجب الدعوة والتبليغ.

\* **رابعاً،** إقامة الحجة على غير المسلمين الذين يريدون معرفة الإسلام بعيداً عن المؤثرات والشبهات التي يثيرها أعداؤه؟ والخلاصة هي أن المسلم يفهم آيات القرآن كوسيلة لنيل الهداية من الله وعلى العلماء المفسرين أن يفهموا اللغة العربية كوسيلة لترجمة معاني القرآن على وجهها الصحيح<sup>٢</sup>.

### تطور الدعوة القرآنية بطرق ثلاثة

طباعة التفسير الإندونيسي	الإعلام عبر قناة الإذاعة والوسائل الاجتماعية واتس أب ولان	الدعوة القرآنية والتشجيع على ذلك
--------------------------	---	----------------------------------

١ زين العارفين بن زكريا، تطوير الدعوة القرآنية المعاصرة من أجل السلام دراسة واقعية في سومطرة الشمالية، إندونيسيا، مقالة ألقاها الباحث في المنتدى الرابع للمنظمة العالمية لخريج الأزهر الشريف في مدينة لمبوك أندونيسيا، تاريخ ١٧ - ٢٠ أكتوبر ٢٠١٧

٢ فتحي محمد الزغبى، ترجمة القرآن الكريم.

٣ زين العارفين بن زكريا، تدبر آيات القرآن الكريم من الترجمة الإندونيسية دون العربية: دراسة واقعية في جامعة سومطرة الشمالية الإسلامية الحكومية، إندونيسيا.

## الدعوة القرآنية في مساهمة تنمية ثقافة الرحمة

إن الدعوة القرآنية التي أجزاها أعضاء المنظمة في سومطرة الشمالية مطابقة على منهج الأزهر الشريف.. إن الوسطية التي علمها الأزهر الشريف من مذهب الأشعري أدى أعضاء المنظمة يؤيد ثقافة الرحمة وينشرها. أضف إلى ذلك، إن حركة فهم القرآن عبر ترجمة المعاني تنمي ثقافة الرحمة وتساهم المنظمة على ذلك.

رحمة الإسلام واضحة كل الوضوح إذا فهم الجميع القرآن الكريم. والحوار الذي أجراه الباحث مع الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله شاه - الرئيس العام لمجلس العلماء الإندونيسي فرع سومطرة الشمالية وفي نفس الوقت الرئيس العام للمنظمة العالمية لخريجي الأزهر فرع إندونيسيا في سومطرة الشمالية- دليل على ذلك.

ومسلمو إندونيسيا أولى بوسائل التجميع والاحترام. فمقومات جمع الأمة أكثر بكثير من أسباب تفرقتها، وحري بالمسلمين أن يترفعا عن كل ما يفرقهم، وحري بالعلماء والدعاة وملتزمي الجماعات أن يترفعا عن المسائل التي لا تزيدنا إلا كرها لبعضنا. فما يزال مسلمو إندونيسيا في خلافات متعلقة بالعبادات والسياسة وخلافات متعلقة ببعض المعاملات.

كم يحتاج مسلمو إندونيسيا إلى هذه المرونة في الفهم والاحترام والتأكيد على الثوابت، فالتعصب لا يأتي بخير أبدا، وربما يقضي أول ما يقضي على صاحبه. والمسلمون مطالبون أكثر من غيرهم بتوسيع آفاقهم وتذكر أن رسالتهم عالمية. وفي الإسلام من التنوع في الفتوى وبجوحه الاجتهاد الصحيح، ما يغنيان عن كثير من هذا التوتر والتعصب. وليذكر الباحث أن الأمة في تاريخها ما تفهقت وانهمزمت إلا حين تعصبت والتهت عن العمل والدعوة، واكتفت بالتنظير والتعصب لأفكار جزئية.

إن هدف الدعوة القرآنية لما فيها من قصص الأنبياء والأمم السالفة ألقاها عضو المنظمة هو دعوة الرحمة، الرحمة من الله. الرحمان والرحيم اسمان من أسماء الله أو الرحمة بمعنى الدخول إلى الجنة. أي الرحمة كما بين الباحث وفهمه علماء اللغة والمفسرون في أول هذا البحث.

ومن الملاحظ أن الدعوة القرآنية في هذا السياق تريد للمجتمعات البشرية أن ترتفع كما تريدها أن تكافح من أجل استمرار ثقافة الرحمة وتنميتها والابتعاد عن الشدة والمنكرات والصراعات والحروب، وذلك ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>١</sup> كما أن الدعوة القرآنية رفضت أشكال العنف الممقوت ودعت إلى المحبة والرفق واللين والإخاء، كما يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>٢</sup>

١ سورة الحج الآية ٤١

٢ سورة النحل الآية ١٢٥

## الختام

استنتج الباحث من هذا البحث أن الإسلام هو دين الرحمة، والأصل في الإسلام هو الرحمة وليس الشدة. الله هو الرحمن الرحيم، أو الرحمة هي الجنة، والأنبياء هم رسل الرحمة، والقرآن الكريم كتاب الرحمة. وتطور الدعوة القرآنية التي أجراها أعضاء المنظمة في سومطرة الشمالية بطرق ثلاثة:

\* **أولاً**، طباعة التفسير الإندونيسي نحو السلام. ولهذا التفسير ألف عنوان رئيسي وستة آلاف عنوان فرعي. وهذه العناوين لها أهميتها للدعوة القرآنية نحو الرحمة. ولسهولة الدعوة القرآنية أضاف كاتب هذا التفسير ٢٥٨ باور بوينت لشاشة كمبيوتر وعرضها على المشاهدين والمستمعين.

\* **ثانياً**، الإعلام عبر قناة الإذاعة والوسائل الاجتماعية واتس أب ولاين.

\* **ثالثاً**، الدعوة القرآنية والتشجيع علي ذلك. إن للدعوة القرآنية دوراً هاماً في مساهمة تنمية ثقافة الرحمة.

يوصي هذا البحث على تقوية الدعوة القرآنية وتشجيع الحكومة على ذلك. وتعزيز مضامين تعليم ثقافة الرحمة واللاعنف والمهارات والقيم والمواقف والتصرفات التي تعبر عن التفاعل والتكامل الاجتماعيين، وأن تنبذ الشدة وتسعى إلى منع نشوب المنازعات، كبناء مراكز لدراسات القرآن في محافظات رئيسية بإندونيسيا بالتعاون بين مجلس العلماء الإندونيسيين والمنظمة العالمية لخريجي الأزهر في الأزهر الشريف بالقاهرة وفرع إندونيسيا ودار الفتوى بأستراليا. وينبغي للمجلس والمنظمة أن توجه كل المؤسسات الرسمية والشعبية نحو تدبر آية القرآن الصحيح بما فيه من أمر الرحمة كما يمكنهما أن تشغلان أجهزتهما لإخماد كل نشاط شدة ويؤثر على الرحمن الاجتماعي.

## المراجع

- \* ابن المنظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- \* أحمد محيي الدين العجوز، الرجوع إلى القرآن الكريم:  
<http://www.alukah.net/sharia/0/77332/#ixzz4ro2glal2>
- \* البيهقي، شعب الإيمان، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
- \* زين العارفين بن زكريا، تفسير إنسفراسي، دوتا أزهر، ميدان، ٢٠١٦.
- \* زين العارفين بن زكريا، الرحمة في القرآن الكريم على ضوء المفكرين المسلمين، رسالة دكتوراة في جامعة مالايا، ٢٠١٠.
- \* زين العارفين بن زكريا، الخبرة من الدعوة القرآنية في إذاعة جمهورية إندونيسيا، حلوية كلية الدعوة الإسلامية، رقم ٢ سنة ٢٠١٤
- \* سفير الأزهر، تقرير سنوي لسفير الأزهر الشريف، سنة ٢٠١٤
- \* علاء ناجي، دور الدين في تنمية ثقافة السلام بالمجتمع العراقي  
<http://annabaa.org/arabic/studies/11189>
- \* الأستاذ الدكتور فتحي محمد الزغبى، ترجمة القرآن الكريم، مقالة في أنترنيت، 25 مارس 2015  
<http://www.alukah.net>
- \* فخر الدين الرازي، تفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.
- \* محمد بن جرير الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مؤسسة الرسالة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠.

سمات الوسطية في الدين

أندي هاديانتو

قسم الدراسات الإسلامية-جامعة جاكرتا الحكومية



## ١- التوطئة

عندما نتكلم عن الدين فإنه يعتبر من سبل السلام والمحبة للإنسانية من جانب ولكنه في جانب آخر قد يقول البعض إنه سبب للهلاك والمأساة التي تتعرض لها الإنسانية على مدار التاريخ. ومع مرور الزمن يزداد إظهار البعض للدين وكأنه سلمي والصاق أشياء فيه ولاسيما بعد الحادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها حصل عداوة ومعاملات بالعنف.

ويترتب على ذلك ظهور النظرة السلبية إلى الدين باعتبار بعض له أنه مصدر المشكلات الإنسانية. بل قد يتشاءم البعض من إحياء الدور الإيجابي للدين لأن كل الكوارث الإنسانية في أنظارهم وراءها الدين. فأصبح الدين عند البعض سلاحاً فاتكاً يستخدمه البعض وفقاً لهواه من أجل تهميش الآخر المختلف منه بتهمة الضلال والانحراف والدعاوي الأخرى.

ومن هنا أصبح من الضروري بمكان التمييز بين الدين والتدين. الدين في معناه الأصيل هو الخضوع والانقياد، مصدر للسلام والأمن والمصلحة والرحمة للعالمين. رحلة روحانية يقوم بها كل إنسان مدة حياته في الدنيا. يشارك فيها جميع الناس مع اختلاف مداركهم ومشاربهم. وأما التدين فهو عبارة عن كيفية تعبير الإنسان عن إيمانه وفهمه وتطبيقه.

إن النزاعات والصراعات التي تتعرض إليها الإنسانية، كثيراً ما تصطبغ بالصبغة الدينية يمينا أو يسارا. ويكمن الغلو في عدم التدين بالطريقة الصحيحة وليس في الدين. والتطرف كان وما زال سبباً لظهور التفرق والاختلاف الذي أدى بالناس إلى عدم الاستقرار والأمن والسلام. ومن هنا فما أحوجنا إلى التدين الوسطي الذي يعتبر وسيلة مثلى لتحقيق السلام العادل الشاملة للإنسانية الجمعاء، إلا أن كلمة الوسطية كثيراً ما تستغل استغلالاً يخدم غرضاً معيناً للمغرضين بالدين. فمن هنا لا بد من تحديد معنى الوسطية وخصائصها وكيفية تطبيقاتها في التدين.

## ٢- مفهوم الوسطية

الوسط في لغة العرب يأتي بمعنى العدل والخيار يقول ابن فارس في بيان معناها: الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والصف. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣. قال ابن منظور: «أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خيرٌ من طرفيه وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب، ومنه الحديث خيارُ الأمور أوسطها ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي على شكٍّ فهو على طرفٍ من دينه غير مُتَوَسِّطٍ فيه ولا مُتَمَكِّنٍ فلما كان وسطُ الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة وذلك في مثل قوله تعالى وتقدس ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً﴾ أي عدلاً فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه وأنه اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه». قال الإصفيهاني عن الوسط: «فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به نحو السواء والعدل والتّصفّة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾».

١ لسان العرب لابن منظور/٦/٤٨٣٢  
٢ مفردات القرآن/١/٨٦٩.

وبالنظر الى التعريف اللغوي نجد أن مدلولات الوسطية تدل على العدل والإنصاف وتوسط الشيء والإستقامة والاعتدال والفضل والخيرية والموازنة فيما بين الأمور والمستجدات بعيداً عن الجفاء والغلو والإفراط والتفريط لأن الوسطية هي الطريق الجامع الى كل فضيلة والبعد عن كل رذيلة باتباع منهج النبي ﷺ.

ومدلولات الوسطية في الشرع ليست بعيدة عن مدلولاتها في اللغة فهي تدور حولها. فمن منظور الدعوة الإسلامية تطلق الوسطية على تطبيق شرع الله المطهر وفق منهاجه الذي وضعه وفق منهاجه الذي وضعه لعباده، وبلغه رسوله محمد لأمته، تطبيقاً عادلاً قواماً، لا غلو فيه ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط. كذلك يمكن تعريفها اصطلاحاً بأنها: اشتغال منهج الدعوة والتربية الإسلامية على كل أوصاف الخير ومحمود الصفات وعلو القيمة وفضل الهدف، والتزام الطريق المستقيم في دلالة الناس على الدين وطلب دخولهم فيه، مع البعد تماماً عن أي انحراف أو شطط أو غلو.

فالوسطية تدل على الاعتدال في منهج الدعوة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامي بناءً بعيداً عن الإفراط والتفريط والغلو والتشدد والإرهاب البغيض والتطرف الممقوت وذلك باتباع التوجيه الرباني من خلال ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ومنهج السلف الصالح من خلال التوسط في كل ما يلامس حاجيات الناس سواء في العقيدة والعبادات أو المعاملات أو السياسة وغيرها مما يستجد في حياة الناس.

فالوسطية منهج شرعي، بعث الله به نبينا محمداً للأمة كافة، ولكن العديد من أبناء الإسلام ابتعدوا عن هذا المنهج وسلكوا مسلك التساهل أو الغلو، والإفراط أو التفريط، لذلك كان لا بد من التركيز على أهمية تفعيل هذه الخبيصة في حياتنا المعاصرة، والتي من خلالها يتم تحقيق مبدأ التوازن والاعتدال في أمورنا كلها محافظين على الأصول والثوابت من جهة، ومتكيفين مع المستجد المعاصر من جهة أخرى.

وخلص القول فالوسطية تعني الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، المتصف بالخيرية والأفضلية. وقصد الشارع منها حمل المكلف على التوسط من غير إفراط ولا تفريط. ووسطية المسلم تجعله في حالة اعتدال وتوازن وتآلف في عبادة ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع البشر، وعلاقته مع الكون حوله، وتجنبه المشقة والتشدد والإفراط أو التفريط، وتدفع عنه الحرج في جميع أموره. فالمسلم يسلك مسلك الوسطية في كل أموره، بعيداً عن التشدد أو التساهل في غير محله.

### ٣- تطبيقات الوسطية في الدين

وقد تجلت مظاهر الوسطية في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وجميع سيرته، فكان عليه الصلاة والسلام داعية إلى الوسطية ومطبقة لها في جميع أمره، وأمراً أصحابه بالعمل بها في نواحي حياتهم كلها. فسيرة النبي ﷺ تشهد بأنه عليه الصلاة والسلام قد نهج في جوانب حياته العامة كلها منهج الشمول بحيث لا يُغفل جانب على حساب جانب، ونهج منهج التوازن والاعتدال وعمل بمبدأ العدل،

والتيسير، وابتعد عن التشدد والتنطع والتكليف بما فيه مشقة، كما رفع الحرج عن أمته، وذم العصبية ومقتها. وقد شكلت هذه المبادئ بمجموعها خصيصة الوسطية التي تميزت بها الأمة الإسلامية.

اهتداء بالقرآن واقتداء بالسنة النبوية المطهرة يتجلى التدين الوسطي في النواحي الكثيرة منها:

\* التوازن في العقيدة والتصوير

تتميز العقيدة الإسلامية بالإيمان بالله واحد وهو الله الخالق الذي ليس كمثل شيء. فالإسلام يبين قدرة الله وإرادته إلا أنه يبين أيضاً أن الإنسان له إرادة واختيار قال تعالى ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾. فالنظرة الوسطية في العقيدة ترى أن الإسلام ينكر على القدرية ومن الناحية الأخرى ينكر الجبرية أيضاً. فالعبد مختار تحت مشيئة الله وهو له إرادة واختيار يحاسب عليها، ويستحق على فعله إما الجنة وإما النار.

\* الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها مصالح الخلق

إن في الوسطية ظهور حكمة الشريعة وسموها وتضمنها ما يحتاج إليه الخلق. وما ينفعهم ويرقي بهم. ولهذا فالوسطية تظهر بأن الشريعة الإسلامية تتضمن كل ما فيه رحمة بالعباد وتيسير عليهم وتخفيف عنهم. وبأن كل حكم شرعي له حكمة ومقصد من تشريعه. وما أنزل الله شرعاً إلا وفيه خير ومصلحة للعباد في الدنيا والآخرة.

\* النظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا

الوسطية تنظر إلى شؤون الدين والحياة نظرة متوازنة معتدلة لا غلو ولا تفريط، لا طغيان في الميزان ولا إخسار فيه. يفهم مثله كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ألا تظغوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ سورة الرحمن ۸-۹.

يسمح التدين الوسطي من التمتع والتلذذ بالنعم الحلال التي أعطاها الله لنا، كما يبحثنا الإسلام على الانتشار على وجه الأرض ابتغاء مرضاة الله، وذلك كله بشرط أن لا تلهينا الدنيا عن ذكر الله. فمادام انشغالنا بالدنيا في حدود الشرع فلا ضرر في ذلك.

\* التوازن في التعامل مع النص والواقع

إن الحضارة الإسلامية حضارة النص إذ أنها تنبعث من النصوص. فجاء القرآن لدعوة الناس إلى القيم المثلى من أجل الحياة الأفضل. وبدون القرآن والسنة لما كانت الحضارة الإسلامية. والثقافة والحضارة الإسلامية فيما ورد في القرآن والسنة وأيضاً في المستحدثات الحسنة الموافقة لضوابط الشريعة وكذا التعامل مع مسائل ومستجدات العصر بضوابط وسعة الشرع، وهناك تدرج التشريع وقضية الناسخ والمنسوخ ثم تحري أسباب النزول في فهم القرآن كلها دليل على أنه هناك عوامل أخرى لا بد من الاهتمام بها عند قراءة القرآن والسنة. ويعني ذلك أن النص في أساليبه وسياقاته

والمواقف التي نزل فيها القرآن والسنة له اعتبار.

فالتدين الوسطي يجمع بين النص بصيغته والسياق والواقع الذي يفهم في ضوء النص. فتقدم الوسطية التفسير الذي يقوم على النص مع الفهم الشامل والمستفيض مع فهم السياقات التاريخية التي كانت وقت النزول والسياقات الواقعية والمواقف الحية التي يفهم فيها النص حاليا ضمن الضوابط الشرعية.

\* التوازن في التعامل مع الآخر

ومن أهم مجالات وتجليات الوسطية في العصر الراهن التزام العدل في العلاقة مع المسلمين ومع غير المسلمين. ومبنى الوسطية في هذا المجال يشمل عدم السقوط في المحرم شرعا ولا التعدي. بل وإن التعايش الحسن وحسن الخلق في التعامل وإظهار محاسن الإسلام مع الجميع مما يجلب الرحمة والسلام العادل.

\* تبني خط التيسير

الوسطية تتبنى خط التيسير والتخفيف. فالتيسير هو المنهج القرآني والنبوي إذ أوصى النبي ﷺ حين بعث أبا موسى ومعاذا إلى اليمن فقال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطوعا ولا تحتلفا. فالوسطية تتدبر النصوص وتتعمق في فهمها من أجل كشف مواطن اليسر في الدين. فالتدين الوسطي هو التدين الذي يتمتع بالمرونة في التطبيق بدون التساهل والتهاون في العمل بمتطلبات الشرع.

ومن أجل تطبيق الوسطية في التدين فينبغي لنا اتخاذ الآليات الآتية:

\* البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم من أهله

إن معرفة مقصد الشارع وهدف التشريع سيسعف على تحديد الحكم الصحيح للقضية. فالأحكام الشرعية ليست نتاج التشريع العشوائي.

\* فهم النص في ضوء أسبابه وملايساته

أي فالوسطية تربط النص بالسياقات التي تحيط بزمن الوحي. لأن القرآن نزل إما مجيبا لسؤال أو حالا لقضية أو غير ذلك. بالإضافة إلى أن القرآن نزل في بيئة تأثرت بها عقلية شعبها. أو باختصار يمكن القول بأن فهم النص يتطلب من القارئ فهم السياق التاريخي والموقف المعاش وقت نزول الوحي.

\* التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة

لا بد من التمييز بين ما هو المقصد الثابت وما هي الوسيلة المتغيرة في استنباط الحكم. فالمقصد الثابت هو المعيار للحكم. والحكم باعتباره وسيلة لنيل المقصد قد يتغير بتغير الزمن والمكان بشروطه، هنا يمكن اعتبار المقصد أصلا والحكم فرعا، فالفرع لا أن يتحكم بالأصل وهو مثل

الأداة التي يمكن تغييرها حسب متطلبات الواقع مادامت تتفق مع الأصل والنص.

\* التمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات

قال الشاطبي ومن وافقه من العلماء الأصل في العادات والمعاملات الالتفات إلى المعاني والمقاصد والحكم، والأصل في العبادة التعبد دون الالتفات إلى المعاني والمقاصد، نعم كل ما يشرع لا يخلو من الحكم والمقاصد والأهداف إلا أن الإنسان قد يجهلها بسبب ضعف تفكيره أو تقصيره في التأمل والتدبر لحكم العبادات. في العبادة من الوسطية وجوب الالتزام بها مع انكشاف مقاصده وحكمه أو لا.

تنمية التربية الإسلامية في الجامعة لتنمية الوسطية في الدين

الخاتمة

من التوضيحات السابقة يمكن التلخيص بأن التدين الوسطي هو التدين الذي يحفظ للإسلام صلاحيته لكل مكان وزمن. ومن خلال الوسطية تبرز قابلية الشريعة الإسلامية لأن تواكب تطورات الزمن وملابسات الحياة. وما أوجنا اليوم إلى الأعمال الدعوية والتربوية التي تنبني على التدين الوسطي من أجل تحقيق السلام والرحمة والبركة في حياتنا الفردية والاجتماعية والدينية.

## المراجع

١. محمد عمارة، مقالات الغلو الديني واللاديني، القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠٤
  ٢. علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، عمان: دار النفاثس، ١٩٩٩
  ٣. محمد يتيم، الوسطية والاعتدال، بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١١
  ٤. عبد اللطيف الهرماسي، ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسة، ٢٠١٠
  ٥. محمود حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢
  ٦. مركز البحوث والدراسات، فقه الوفاق، الرياض: مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ١٤٣٥
- Charles Kimball Kala Agama Jadi Bencana Jakarta: Mizan 2013
  - Irwan Masduqi Berislam Secara Toleran Jakarta: Mizan 2011

الوسطية الإسلامية وثقافة الحوار

الشيخ شريف الدين عبد الغني

رئيس مجلس علماء إندونيسيا جاكرتا

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الوسطية خصيصة هذه الأمة الإسلامية فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله عز وجل شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعده،

من سنن الله في خلقه أنهم موجدون في مجتمعات شتى ويتفاوتون في أمور كثيرة منها اللون والعرق والدين والفكر والمعتقد والعادات والتقاليد وأسلوب التفكير ونمط الحياة ومكان العيش واللغة، وهذا يدعو للاختلاف والتضاد مما قد يؤدي للاصطدام والتناحر. وهذا يجعلنا نفكر في إيجاد مساحات مشتركة ونقاط للتلاقي بين كافة أصناف الحضارات والمجتمعات بغية التلاقي والتعاون على كل ما هو خير والابتعاد والتقليل من كل ما هو شر والدين الإسلامي خير معين بوسطيته السمحة في التعايش مع كافة المجتمعات، والتي تكفل الحقوق العادلة ومصالح جميع أفراد المجتمعات.

تعتبر إندونيسيا بلادا كبيرة من حيث المساحة الجغرافية وتعداد السكان. وقد قدر الله لإندونيسيا أنها متعددة من حيث الأديان والثقافات واللغات والتقاليد والأعراف. وقد اتفق شعب إندونيسيا على اتخاذ «بانجاسيلا» المبادئ الخمسة ميثاقاً غليظاً لهم في سبيل الحفاظ على الوحدة والتناغم بين عناصر البلاد. وبسبب «المبادئ الخمسة» يعيش أصحاب الديانات والمعتقدات والعادات المختلفة في سلم و سلام و انسجام، ولن يتأتى هذا التناغم إلا بحضور مفهوم التوسط والاعتدال في حياتهم. فالتوسط والاعتدال يؤثران على انخفاض نسبة النزاعات الاجتماعية الدينية وازدياد التعاون الاجتماعي بين أصحاب الديانات المختلفة<sup>١</sup>

إن التوسط والاعتدال من سمات الإسلام التي تؤثر في كل شأن من شؤون الحياة في العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق والآداب، ومن أهم مجالات و تجليات الوسطية في العصر الراهن التزام المسلمين الوسطية والعدل في علاقتهم مع الآخرين. وفي عصر يزداد اتصال المسلمين بغيرهم ومن أجل إقامة العلاقة المنسجمة نحتاج إلى الحوار البناء المستمر. إن الحوار يكتسب أهمية بالغة لتمهيد طريق التواصل وإرساء ودعم وتعزيز منهج التقارب والتعاون بين الحضارات المختلفة تحت عدل الشريعة، كما أنه يساهم في البحث عن إيجاد الإطار الحضاري الذي يقوم على عناصر القوة المستمدة من خلاصة التجارب الحضارية للبشرية جمعاء.

ولقد أصبح من المفيد تسليط الضوء على دور الوسطية الإسلامية في ترسيخ ثقافة الحوار لدى المسلمين.

## مفهوم الوسطية

١ Bahrul Hayat, Mengelola Kemajemukan Umat Beragama. (Jakarta: SCM, 2012), h. 175

٢ عبد الله بن إبراهيم اللحاني، الوسطية في دعوة غير المسلمين، (الرياض: مكتبة الكلك فهد، ١٤٣١هـ) ص ٦٠.



جاءت كلمة «وسط» في اللغة بعدة معان ولكنها متقاربة في مدلولها. ونجمل معاني كلمة وسط في ٦ معان منها:

أ) وسط بسكون السين يعني ظرف مكان بمعنى «بين» على سبيل المثال: جلست وسط القوم أي بينهم و بفتح السين فـ «وسط» تعني

ب) اسم لما بين ظرفي الشيء وهو منه مثلاً: جلست وسط البيت أي في جزء وسط منه

ج) تأتي صفة بمعنى «أخير» و«أفضل» و«أجود». فرجل وسط أي رجل حسن

هـ) بمعنى «عدل» وسط الرجال أي أعدلهم و ن تأتي لتدل على الشيء بين الجيد والرديء

و) ما بين - وهو الغالب السالم من الذم مثلاً السخاء وهو الوسط بين البخل والتبذير.

فما سبق فيمكن تلخيص معنى الوسط بالعدل والفضل والخيرية والنصف والبينية والتوسط.

ووردت مادة «وسط» في القرآن الكريم ومشتقاتها في خمسة مواضع وهي:

أ) وسطاً ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ سورة البقرة ١٤٣ « وكلمة وسطا هنا بمعنى العدل فأمة وسطا هنا تعني قوما عدولا»

ب) الوسطى في سورة البقرة ٢٣٨ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ولقد ذهب بعض المفسرين إلى أنها تعني الخيرية والفضل فالصلاة الوسطى أي أفضلها وخيرها،

ج) كلمة «أوسط» في قوله تعالى في سورة المائدة ٨٩ ﴿مِن أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ وكلمة أوسط هنا يوحى إلى معنى العدل أي أعدلهم

د) في سورة القلم ٢٨ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ وهنا تأتي كلمة «أوسط» بمعنى أمثل أو أعقل ولا يمكن لشخص أن يتحلى بهذه الصفة إلا وقد اتصف بالاستقامة على الدين المقرونة بالحرية والاستقلالية

هـ) كما ورد في سورة العاديات ٥ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فيعني التوسط وحل بالجزء الوسط من جمع الأعداء.

وأما المصطلح «الوسطية» فتوحي إلى اتخاذ موقف وسط بين الطرفين الإفراط والتفريط، وهو التوسط بالموازنة بين العقل والنقل والجمع في التوازن بين الدين والدنيا، الدنيا والآخرة وعمران الأرض وتزكية النفس والاستمتاع بالطيبات الدنيوية الحلال للسعادة الأخروية وبين الفرد

١ محمد يتييم، الوسطية والاعتدال، (بيروت: صناعة الفكر، ٢٠١١) ص. ١٢٠-١٣ وانظر أيضا علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، عمان: دار البيارق: ١٩٩٩

ص. ١٦-١٧

٢ علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص. ٢٠-٢١

٣ محمد يتييم، الوسطية والاعتدال، ص. ١٥

٤ علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص. ٢٤-٢٥

والمجتمع. وإذا ألصقنا صفة الوسطية للتدين فالتدين الوسطي هو التدين العادل المنصف في استعمال العقل والنقل، وتحقيق المصلحة الفردية أو الجماعية وذلك كله من أجل كسب السعادة الدنيوية والأخروية.

والوسطية هي الصراط المستقيم الذي يتصف بخاصيتي البينية والخيرية. ويوضح الغزالي ماهية الوسطية كما نقله عمارة أن أهل السنة قد اطلعوا على طريق الجمع بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول. لذلك يرشد الغزالي المسلمين لملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم. إن الوسطية إذن هي التوسط بين الإفراط والتفريط وهما كلمتان توحيان إلى معنى تجاوز الحد في التدين. تشير كلمة الإفراط إلى ما يسمى الغيرة الدينية المتزايدة التي تقود صاحبها إلى التشدد والتنطع في التعبير عن عاطفته الدينية. وأما التفريط فيتمثل في التقصير والإهمال والتضييع للأحكام والقيم الشرعية مما يدعو إلى التسبب واتباع الأهواء.

### ٣- مفهوم الحوار

إن الحوار يقال هو الأداة الحضارية لتبادل الآراء ومناقشة الأفكار والتعرف على المواقف المتباينة، والبحث عن فهم أو أرضية مشتركة. ولقد أصبح الحوار في عالم اليوم لغة للتعايش وتحقيق التعايش بين الشعوب والأمم وإدارة الاختلاف والتنوع بين التجمعات والقوات والتيارات المختلفة.

جاء في لسان العرب لابن منظور أن الحوار أو الحور في الأصل بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حورا ومحارا ومحارة وحورا رجع عنه وإليه. وأحار عليه جوابه: رده وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة والاسم من المحاورة والحوير يقول سمعت حويرهما وحوارهما، وأضاف أن المحاورة بمعنى المجاورة والتحاور بمعنى التجاوب. حاورته راجعته الكلام، وهو حسن الحوار وكلمته فما رد علي محورة، وما أحار جواباً أي ما رجع وفي محيط المحيط حاوره محاورة جاوبه وراجعته في الكلام وتحاور القوم تجاوبوا وتراجعوا الكلام بينهم (ابن منظور - دت). ومن خلال هذه التعريفات يتبين أن كلمة الحوار في اللغة العربية تدل على معاني المحاورة ورد الجواب. ومراجعة المنطق في الكلام عند المخاطبة أو المجاورة تقتضي أطراف تتبادل الآراء والأفكار وتنطلق من اثنين فأكثر.

وأما اصطلاحات وتعريفات الحوار فكثيرة، منها بأنه إدارة الفكرة بين طرفين مختلفين أو أطراف متنازعة وذلك عن طريق الأخذ والرد في الكلام وطرح الحجة والرد عليها وبيان الرأي والرأي المضاد. وعرفه الأستاذ مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي بأنه تفاعل لفظي بين اثنين أو أكثر من البشر بهدف التواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملها. وعرفه الدكتور محمد زرمان بأنه عملية اتصال بين طرفين أو أكثر وهي تعتمد المخاطبة والمساءلة حول شأن من الشؤون. ومن هذه التعاريف والاصطلاحات يتبين أن الحوار هو عملية تواصلية متكافئة بين اثنين أو أكثر بهدف الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب (محمد القدوري- ٢٠٠٦).

وقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، اثنان منها في صيغة الفعل وهما قوله

تعالى، في سورة الكهف: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ (الكهف: ٣٤)، وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ (الكهف: ٣٧)، والثالث في صيغة المصدر في قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ (المجادلة: ١) (محمد القدوري-٢٠٠٦).

ومما سلف فيمكن تعريف الحوار بأنه عملية متكافئة بين الأطراف بهدف الوصول إلى الحقيقة. وهنا يمكن اعتبارها نتائج توصل إليها الحوار بغية تحقيق المصلحة للجميع.

#### ٤- ضوابط الحوار مع الآخر

ومما يساعد لنجاح الحوار مراعاة الأمور التالية:

\* فهم الآخر (المخالف)

\* حسن القول و تجنب استثارة مشاعر العداة: بتجنب عبارات السخرية وبتفادي استعمال عبارات التكفير أو التضليل

\* صحة البرهان والاستدلال: باعتماد العلم و البرهان في الدفاع عن الرأي أو دحض الرأي المخالف، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا (الأنعام: ١٤٨). ويقول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥) ولا يكون ذلك إلا باعتماد القواعد العقلية المتفق عليها بين الناس و الشواهد الكونية العلمية المحسوسة.

\* الإنصاف والموضوعية: بالإذعان للحق والاعتراف به متى دلت عليه الحجج ولو كان مع مخالفه. هذا ولا يكفي مجرد التسليم الجدلي بإمكانية صواب الخصم، بل لا بد من التعهد والالتزام باتباع الحق إن ظهر على يديه، وكله بضوابط الشرع.

\* الابتداء بنقاط الاتفاق أو القضايا المشتركة: وذلك بالانطلاق من نقط مشتركة تعتبر مبادئ لكل طرف من أطراف الحوار، هذه النقاط التي يظن أنها موجودة بين سائر البشر. وأن ينطلق الحوار من القيم والمعاني الصحيحة المتفق عليها. وفي هذا الصدد حاول الإسلام بشق الوسائل الانطلاق في حوار مع الآخر من أرضية مشتركة يتفقان عليها يقول تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشركه شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران: ٦٤). (محمد بن عبدالغفار الشريف-٢٠٠٦).

\* قبول النتائج: باستعداد قبول رأي المخالف الحق وترك رأيه. حيث يتطلب من أطراف الحوار الالتزام بما توصل إليه من نتائج إيجابية، وذلك بترك التعصب للرأي الذي اعتمد عليه كل من أطراف الحوار. كما أن قبول النتائج يوضح مدى حسن نية المتحاورين.

\* أهمية نتيجة الحوار للآخرين: فإن هذا الإحساس من أكبر العوامل الدافعة للمتداولين إلى إجابة موضوع حوارهم وبذل قصارى جهدهم لإنجاحه والتعمق.

\* تحديد نقاط الاتفاق في نهاية كل حوار: فلا بد من التأكيد والتذكير لنقاط الاتفاق التي توصل إليها الحوار. كما يمكن الاستفادة من نقاط الاتفاق في الحوارات الأخرى ولكي تكون محط بداية كذلك. وينبغي أن تكون النقاط المتفقة نقاطا عملية يسهل تنفيذه.

## ٥- مظاهر وسطية الإسلام في الحوار

تتمثل الوسطية في الحوار والتعامل مع الآخر في ثلاثة معالم هي العدل والإحسان والرحمة.

### أولا- العدل

من معالم الوسطية في التعامل مع الآخر العدل في القول والفعل وبه تغلغلت نفوس كثيرين إلى الإسلام. وتتعدد مظاهر العدل هنا ومنه أن يعدل في أقواله مع كل أحد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الأنعام ١٥٢) ويعدل في المعاملة قال سبحانه: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة ٨). و يبرهن لنا التاريخ على أن الإسلام فيه العدل للمسلمين ولغير المسلمين في الأمور الثقافية والعلمية والمهنية.

ومن العدل ما جاء في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي لما قدم على النبي ﷺ هو وأصحابه فقالوا: يا رسول الله ﷺ إن دوسا قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس ظنا بأن النبي ﷺ إنما يرفع يديه للدعاء عليها فقال: (اللَّهُمَّ اهد دوسا وأت بهم) (صحيح مسلم). إن الدعاء لغير المسلمين بالهداية وفق ضوابط الشرع من عدل الإسلام مع غير المسلمين، وفي الدعاء استمالة ظاهرة لقلب المدعو فكل أحد يتمنى من الناس الدعاء له بالخير!

### ثانيا- الإحسان

يعم الإحسان صورا عديدة من آداب معاشرة الخلق فالعفو في مكانه من الإحسان إذ يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران ١٣٤) ويتجلى ذلك في سيرة النبي ﷺ في تجاوزه عن مخالفه ممن ناصبوا له العدا. ولقد بنى الإسلام شريعة التسامح في علاقاته مع الآخرين على أسس راسخة متوافقة مع سنن الله في خلقه، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة رقيق الجانب، لين القول مع المسلمين وغير المسلمين فيحسن إليهم في حوارهم

إن الإسلام يأبى أن يصبح الدين مفهوما ضيقا يتميز بالحقد والعداء ويبعث على النزاع والشحناء و ينتهي إلى الفتن و سفك الدماء. ولهذا فإن التاريخ لا يزال شاهدا للمسلمين على أعظم صور السلام والتسامح العادل مع المخالفين وأمثلة ذلك كثيرة.

١ عبد الله بن إبراهيم اللحياني، الوسطية في دعوة غير المسلمين، (الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤٣١ هـ) ص ٣٢٠-٤١

٢ عبد الله بن إبراهيم اللحياني، الوسطية في دعوة غير المسلمين، ص ٤٢

مما سبق يمكننا القول بأن العدل و الإحسان من أصول دين الإسلام الراسخة وبهما أمر الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ٩٠). ووسطية الدعوة إلى دين الإسلام لا تستقيم إلا بالعدل والإحسان على نحو ما تقدم ذكره.

### ثالثا- الرحمة

ولقد بعث الله نبيه رحمة للعالمين وهي مثال للكمال البشري في حياته كلها، ومفهوم الرحمة في الإسلام مفهوم عام وشامل فالمسلم مأمور بأن يرحم نفسه و يرحم كل حي.

أمة الإسلام أمة الرحمة ونبيها نبي الرحمة فهو رحمة الله إلى العالمين فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧). لذلك حث الرسول ﷺ على رحمة الخلق كلهم بقوله ﷺ: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) (صحيح البخاري) وكلمة الناس هنا تشمل جميع هم دون اعتبار جنسهم أو دينهم، فجاءت النصوص مطلقة.

يسعى الإسلام في دعوته وعلاقاته مع الآخرين إلى الرحمة. قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ﴾ (آل عمران ١٥٩). وكان الرسول ﷺ يدعو الناس برفق ولين و يحث على ذلك. وكان يقول: (إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف) (رواه مسلم).

إن الذين يسعون إلى تقرير التكافل الاجتماعي وبيان صورته لن يجدوا أعظم من هذه الصورة في الإسلام مع مخالفه، صورة تتحقق بها وسطية الدعوة عدلا وإنصافا ورحمة وإحسانا فهو يتسامى بمن يعيشون في كنفه ويحوظهم برحمته وإحسانه عندما يحتاجون إلى مواساة لأي سبب من الاسباب ١.

### ٨- رسالة جاكارتا و مبادرة مجلس العلماء لتنمية ثقافة الحوار

إن الحوار الدؤوب بين الأطراف المختلفة من نتائجه الشعور بالحاجة إلى التقريب و توسيع وجوه التشابه بين الأمم. والدعوة إلى توسيع نقاط التشابه لا يعني تسوية الآراء أو توحيدها، وإنما هي الدعوة إلى التركيز على الجوانب الإنسانية من أجل تحقيق السلام و التوحد الاجتماعي.

إن لمجلس العلماء جاكارتا اهتماما بالغاً لغرس تنمية ثقافة الحوار لدى المسلمين في جاكارتا خاصة وفي جميع عواصم البلدان الإسلامية عامة. ولقد حاول المجلس من خلال أنشطته الدعوية والتربوية والثقافية لتهيئة جسر حضاري لتحقيق هدفه وهو تحقيق التناغم في الحياة الاجتماعية.

ومن المشاريع التي تبناها المجلس بغية تنمية ثقافة الحوار والتواصل المستمرين ما يسمى بمبادرة جاكارتا التي تنص على النقاط المهمة ألا وهي:

\* عقد الشراكة التعاونية بين عواصم الدول المشاركة و مدنها الكبرى الأخرى في مجال الدعوة

١ عبد الله بن إبراهيم اللحاني، الوسطية في دعوة غير المسلمين، ص ٥٢-٥٥

- \* توجيه الدعوة إلى تفهيم الأمة عن الإسلام فهما سليما وصحيحا ينبني على النظرة الواعية في تعدد الثقافات والتقاليد، بصدد توطيد الوحدة الإسلامية داخل كل بلد وفي جميع أنحاء المعمورة.
- \* تمكين الأمة من القيام بواجب الدعوة وترقية قدرتهم على المساهمة الفعالة في إثرائها من شتى جوانبها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وذلك بغية تحقيق التنمية محليا وإقليميا وعالميا.
- \* إعداد الخطط المشتركة في إيجاد الحلول على مشاكل تواجهها الأمة المسلمة في محاولاتهم لتحقيق الرخاء والأمن والأمان ظاهرا وباطنا وصولا إلى تحقيق السلام الشامل.
- \* عقد الملتقيات المشتركة بشكل منظم ودوري تتناوب لعقدها الدول المشاركة في هذا المؤتمر بهدف توسيع الشبكات الدعوية والبحث عن أمثل نماذج الدعوة وحل مشاكلها من أجل تحقيق الرقي الحضاري المناسب.
- \* عمل المنتدى المشترك لعلماء عواصم الدول المشاركة ومدنها الكبرى الأخرى الذي يعتبر محفلا من محافل العلماء العاملين في مجال الدعوة وتكون مهمته إقامة جسر التواصل بينهم للرفق بالحضارة الإنسانية المناسبة.

#### ٩- الخاتمة

و مما سبق فتتلخص المقالة على النقاط التالية:

- \* التعايش السلمي والتلاحم والتضامن الاجتماعي ينتج عنه حياة مستقرة. ومما يحقق ذلك تكثيف الحوارات التي يشترك فيها الأطراف المتباينة.
- \* تتمثل الوسطية في الحوار والتعامل مع الآخر في ثلاثة معالم هي العدل والإحسان والرحمة
- \* ويترتب على ما وصلت إليه المقالة عمل منتدى أو جمعية تعنى بتكثيف الحوار والتواصل بين العلماء والدعاة والملمين بقضايا الأمة والإنسانية من أجل تعزيز قيم التوسط والاعتدال مرورا إلى تحقيق الحياة الأفضل والعادلة لشعوب العالم.

## ٩- المراجع

- محمد عمارة، مقالات الغلو الديني واللاديني، القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠٤
- علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، عمان: دار النفائس، ١٩٩٩
- محمد يتييم، الوسطية والاعتدال، بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١١
- عبد اللطيف الهرماسي، ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسة، ٢٠١٠
- محمود حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢
- مركز البحوث والدراسات، فقه الوفاق، الرياض: مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ١٤٣٥هـ
- من أساليب الحوار في القرآن الكريم و السنة النبوية
- مفهوم التعددية في خطاب الجماعات الدينية في الخليج - فؤاد ابراهيم ٢٠٠٢
- أسئلة التعددية والتنوع في الفكر السياسي المعاصر - عامر حسن فياض ٢٠٠٦
- مفهوم التعددية في الفكر الإسلامي المعاصر - الشيخ عبد الله أحمد اليوسف ٢٠٠٥
- Abu Ahmadi, Psikologi Sosial, Jakarta: Rineka Cipta, 2002
  - Antonius Atosokhi Gea, Relasi Dengan Tuhan, Jakarta: Alex Media Komputindo, 2004
  - J Dwi Narwoko, Sosiologi Teks Pengantar dan Terapan, Jakarta: Prenada Media, 2004
  - Moh. Nazir, Metode Penelitian, Jakarta: Ghalia Indonesia, 1985
  - Nurcholish Madjid, Fiqh Lintas Agama, Jakarta: yayasan Waqaf Paramadina, 2004
  - RA Santoso Sastro Poetro, Pendapat Publik, Pendapat Umum, dan Pendapat Khalayak Dalam Komunikasi Sosial, Bandung: Remadja Karya, 1987
  - Robert.C. Bogdan, Riset Kualitatif Untuk Pendidikan. Pengantar Teori dan Metode, Jakarta: Ditjen Dikti Depdikbud, 1990

جهود جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

في نشر الوسطية والاعتدال

في بروناي دار السلام

د. عزمي بن الحاج متالي

azme.hjmatali@unissa.edu.bn



تتعدد أنماط التفكير المعاصر بسبب انتشار المعرفة والثقافة؛ مما كان لها تأثيراً قوياً على الأفراد والمجتمعات وسائر بلدان العالم الإسلامي، ومن ثم زرع أنماط التفكير الإسلامي الصحيح لتوسيع التفكير لدى الأفراد من أجل مواجهة مشكلات الحياة والتعامل معها بشكل صحيح. وبالتالي، فإن جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية تلعب دوراً هاماً في نشر وسطية وتعزيز الإسلام؛ كي تكون قادرة على زيادة قدرتها التنافسية سواء محلياً أو عالمياً. وعلى الرغم من أن البلاد تواجه اقتصاداً غير مستقر، فينبغي على جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية مواصلة النضال في تخريج علماء المسلمين القادرين على التعامل مع المشكلات الأساسية المتعلقة بالدين الإسلامي. وتمشيًا مع دستور دولة بروناي سنة ١٩٥٩، الفصل الثالث (مادة ١) «أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة وفقًا لعقيدة أهل السنة والجماعة مع التمسك بالمذهب الشافعي». تلعب جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية دوراً هاماً في الحفاظ على جوهر المذهب الشافعي وأسسها، لشرحها على المجتمع المسلم في البلاد، وذلك من خلال تقديم دورات في الدراسات الإسلامية في القنوات المناسبة للحفاظ على مفهوم الوسطية والاعتدال في الإسلام. وهذا البحث يلقي الضوء على الأهمية العالمية لهذه الثقة النبيلة من خلال تسليط الضوء على أساليب الدفاع عن المذهب الشافعي من أجل الحفاظ على استمرارية تطبيقه في بروناي دار السلام. ومنهجية هذا البحث تستند إلى دراسة جمع المعلومات من أعضاء هيئة التدريس بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية وباستخدام هذا المنهج الدراسي للطلبة، إن جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية قادرة على تقوية عقيدة أهل السنة والجماعة؛ وفقًا للمذهب الشافعي بشكل صحيح، حيث إن المجتمع الإسلامي في بروناي دار السلام يحافظ عليه بثبات في الإيمان والتقوى والممارسة في الحياة اليومية.

**الكلمات المفتاحية:** الوسطية - الاعتدال - جهود - جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية - بروناي دار السلام.

في أول يناير سنة ٢٠٠٧م كانت لحظة تاريخية في تاريخ بروناي دار السلام، حيث قرّر جلالته السلطان الحاج حسن البلقية إنشاء أول جامعة إسلامية في ذلك التاريخ. لقد مرّ عقد من الزمان، وقد أثبتت جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بالفعل نتيجة التقدم والجودة الفخورة جدًا من إدارتها، وأعضاء هيئة التدريس، وكلياتها ومراكزها، وحتى أصولها الرئيسية أي طلابها وطلّاباتها.

وفي هذا البحث سوف أشرح مفهوم مبدأ «الوسطية والاعتدال» في تنمية الإسلام في بروناي دار السلام، وذلك ببيان تعريف الوسطية أولاً، ثم تاريخ دخول الإسلام إلى بروناي دار السلام وتطوره. وتاريخ إنشاء جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، يليه تطبيق وتنفيذ البرامج الأكاديمية للجامعة، وممارسة الدراسات الشرعية في الجامعة، وبعدها الخاتمة وتتضمن النتائج، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع.

### مبدأ الوسطية والاعتدال في التنمية الإسلامية في بروناي دار السلام

المبدأ هو أساس العيش، وهو يتطلب جهدًا أو عملية للتعبير عن وجودها في واقع الحياة التي يمكن الشعور بها وتعقبها. ومن ثم فإن مبادئ الوسطية والاعتدال تتطلب من يحثون عليها، وإلى من يدعو الناس إلى خير هذا المبدأ حتى تستفيد منه الأمة الإسلامية.

إن المجتمعات المسلمة في الأرخبيل يمارسون مفهوم الوسطية في حياتهم منذ فترة طويلة. ومن ثم، فإن هذا المفهوم يحتاج إلى توسيع وإحياء في مختلف الميادين مثل: الدين، والتعليم، والاقتصاد، والتنمية الاجتماعية، والثقافية، والمجتمعات المحلية وغيرها.

### تعريف الوسطية

من حيث اللغة، كلمة «وسطية» هي كلمة مشتقة من العربية، وأصلها كلمة و-س-ط. فهو يعني الشعور بالرفاهية والوساطة والعدالة واللطف والشفاعة<sup>١</sup>.

كلمة أخرى في اللغة العربية تعادلها وهي: «الاعتدال» تعني عدم التطرف، وعدم الفوضى والإهمال.

قال الله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

المعنى: وهكذا جعلنا أمة الإسلام أمة وسط، أمة معتدلة؛ لتكون شهودًا على الناس، ورسول الله ﷺ يكون شاهدًا عليكم.

الله سبحانه وتعالى وصف المسلمين بصفة «أمة وسطًا» أي الأمة المعتدلة، العادلة والرائعة. وهناك تعاريف مختلفة لتوضيح معنى «أمة وسطًا» في هذه الآية من وجهات نظر المفسرين القدامى

١ ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف. ص: ٤٢٦.

والمفسرين المعاصرين في العصر الحديث.

علماء التفسير القدامى أعطوا لنا تعريفاً حرفياً لمعنى «وسط» في الآية. من هؤلاء، الإمام الطبري<sup>١</sup>، ابن كثير<sup>٢</sup>، الرازي<sup>٣</sup>، وغيرهم... فقد فسروا معنى «الوسطية» في نطاق الآية، الأفضل، أعلى مرتبة، المعتدل والوسط. ويفسر الرازي معاني «الوسطية والاعتدال» بأربعة معانٍ، وهي:

\* أولاً: بعيداً عن طرفين؛

\* ثانياً: عدم تفضيل أي طرف متضارب،

\* ثالثاً: المجاملات الجيدة و(العدالة)، رابعاً: عدم المساواة في صالح طرف واحد فقط مع عدم وجود طرف آخر.

ويفهم تعريف «الوسطية» أيضاً من بعض أحاديث رسول الله ﷺ التي تشير إلى امتيازات ومزايا النبي ﷺ محمد وأُمَّته كأفضل أمة على الأمم الأخرى. وهذه الحقيقة تتضح لنا من قول الله سبحانه وتعالى في سورة يوسف:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٠٨

المعنى: «قل يا محمد: هذا هو طريقي، أنا وأولئك الذين يتبعونني، أدعو إلى الله بحجة واضحة. تعظيماً لله تعالى، وأنا لست من المشركين بل من الموحدين».

عندما يكون الإنسان في شرود العقل ويذهب إلى عبادة الكائنات الأخرى، فإن النبي ﷺ يحفظهم من خلال تقديمهم إلى الخير والاعتدال، أي لعبادة الله سبحانه وتعالى. فعندما ينظر الرجال إلى النساء ويستعبدونهم، يحفظهم رسول الله ﷺ من خلال تقديمهم إلى الخير والعدالة التي تعطي المرأة حقاً أعلى.

أمة الإسلام الوسط هم الناس الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله تعالى، وقد تبين لنا هذا المعنى من قول الله تعالى في سورة آل عمران: ١١٠

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المعنى: «أنتم أفضل الناس الذين ولدوا للبشرية، لأنكم تفعلون الأمور الجيدة وتمنعون الأشياء الخاطئة، وتؤمنوا بالله إيماناً حقيقياً».

وتبين هذه الآية أن الخيرية لأمة النبي ﷺ محمد هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تلکم هي الأمانة التي أتى بها رسول الله ﷺ وسار عليها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. ثم تجنب

١ الطبري. محمد بن جرير. (٢٠٠١). جامع البيان في تأويل القرآن. مصر: دار هجر. ٢: ٦٢٦.  
٢ ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (٢٠٠٠). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار ابن حزم. ٢: ٢١٧.  
٣ الرازي. محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري. (١٩٩٩). التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ٢: ٨٤.  
٤ الرازي. (١٩٩٩). التفسير الكبير. ٢: ٨٤.

الشر وما يجلب إليه من الأشياء السيئة في أمور الدين التي ليست من طبيعته وأصحابه رضي الله عنهم.

وخلاصة القول، فإن «أمة وسطا» تعني أمة رائعة ديناميكية ومتطورة، وتجمع بين كل الصفات الحسنة التي تظهر مجدها. إنها ليست أمة متخلفة، أمة تركت أمور الدنيا وأهتت بشؤون الآخرة فقط، إنها أي أمة الإسلام - أمة وسطا؛ تجمع بين الدنيا والآخرة.

## الإسلام في بروناي دار السلام

### بروناي دار السلام:

كلمة «بروناي» هي الاسم الجديد للمملكة القديمة في أرخبيل الملايو المعروفة باسم «فوني» أو «فولي» مقرها في «قرنق» في منطقة تمبورونغ، بروناي دار السلام، ثم انتقلت إلى «كوتا باتو». وقد حدثت الهجرة قبل عام ١٣٩٧م. وقد استخدمت كلمة «بروناي» كرمز لشجاعة برونايين الذي استخدم المحيط.

ومن بين الأدلة على وجود حكومة المملكة القديمة للمملكة (فوني) في تمبورونغ لا تزال هناك قرية اسمها فوني، وفي تلك المنطقة في مكان ما يسمى «قرنق». هناك أعمدة قديمة من المنازل القديمة من شظايا الفخار، والسكان السابقين من المستوطنات يعطوا انطبعا تاريخيا إلى وجود المملكة القديمة من بروناي.

في حين أن كلمة «دار السلام» هي واحدة من أسماء الجنة في السماء. في القرآن الكريم، سورة الأنعام: ١٢٧، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الآية ١٢٧).

المعنى: «لهم الجنة وهي (دار السلام) عند ربهم، والله يتولى أمرهم فيها، جزاء بما كانوا يفعلونه في الدنيا».

ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة يونس: ٢٥.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الآية ٢٥).

المعنى: «والله يدعو إلى جنة السماء دار السلام، والله يهدي من يشاء إلى الطريق المستقيم».

إطلاق كلمة «دار السلام» بعد كلمة «بروناي» يقصد بها الدعاء بطلب الأجر والشواب لبرونايا؛ وبذلك يتمتع الإنسان دائما في بروناي براحة البال إلى الأبد.

١ انظر: إسماعيل إبراهيم. (د.ت). مفهوم الوسطية في المنظور الإسلامي. اتفاقية الوسطية بالتزامن مع مليون مسلم في العالم. ص: ٥. وانظر: إسماعيل إبراهيم. (٢٠١٢).

٢ حاج محمد زين. حاج سيرودين. (١٩٩٨). نهج الملكية الإسلامية. بروناي دار السلام: ديوان اللغة والكتب. وزارة الشباب والثقافة والرياضة. ص: ١٣٠. المرجع السابق.

٣ حاج محمد زين. حاج سيرودين. (١٩٩٨). نهج الملكية الإسلامية. (المرجع السابق). ص: ٢.

## تاريخ دخول الإسلام إلى بروناي دار السلام وتطوره:

كان الإسلام في بروناي دار السلام عندما اعتنق أوانغ ألاك بتاتار الإسلام ودعاه السلطان محمد شاه في سنة ١٣٦٨م. وهناك أدلة على أن الإسلام كان في بروناي دار السلام قبل ذلك التاريخ. على سبيل المثال من خلال اكتشاف قبر مسلم صيني مشهور سنة ١٢٦٤م. وهذا هو أقرب دليل حتى الآن يظهر وجود المسلمين في بروناي<sup>١</sup>.

وأعقبت ملكيته الأسر المالكة، والقادة الوطنيون، وعدد كبير من الناس العاديين، وخاصة أولئك الذين يعيشون في العاصمة والمناطق المحيطة بها.

وقد استمر الإسلام في النمو بعد وفاة السلطان محمد شاه، خاصة بعد أن عين الشريف علي سلطان بروناي الثالث. وقيل: إنه من أحفاد سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب، حفيد النبي ﷺ. وكان السلطان الشريف علي قادمًا من الطائف.

وبصفته عالما، يدرك أهمية الدعوة إلى الإسلام في حق كل فرد مسلم، وأهميتها في رقي الأمة وقوة الدولة؛ ومن ثم قام السلطان الشريف علي بتعزيز حركة الدعوة الإسلامية إلى المسلمين وغير المسلمين. في الواقع، إنه لم يقتصر الدعوة إلى الإسلام في بروناي فقط، بل كانت دعوته إلى جميع سكان بروناي، وكذلك ذهب إلى جزيرة جاوة؛ لدعوة الملك ماجاباهيت، ودعاه إلى الإسلام، وكذلك الملك بيرابوانجكا ووجايا.

### العصر الذهبي لسلطنة بروناي في تطوير وإدارة الإسلام:

#### السلطان الشريف علي (١٤٢٥ م - ١٤٣٢ م):

وقد نمت الحركة التبشيرية وازدهر النفوذ الإسلامي بسرعة عندما قيل بأن السلطان الشريف علي من سلالة رسول الله ﷺ، لأنه من سلالة سيدنا الحسن أو سيدنا الحسين، ولكن الكثير من الأدلة القوية تدل على أنه من نسل سيدنا الحسين. وجاء مع صديق يدعى سيد علوي الفقيه (المعروف باسم شريف مفاقيه)<sup>٢</sup>.

الدور الذي يلعبه الشريف علي هو الوعظ والدعوة إلى الإسلام وبعد أن نشر الإسلام بنجاح، تزوج من ابنة السلطان أحمد، أميرة راتنا كاسوما. وبعد وفاة السلطان أحمد، تولى الشريف علي عرش السلطنة؛ فكان السلطان الثالث لبروناي دار السلام. وسبب توليه العرش: هو أن السلطان أحمد لم يكن له ابن، فتولى زوج ابنته العرش وهو السلطان الشريف علي.

ويقال بأن السلطان الشريف علي (سلطان بروناي الثالث) وكان سلطانًا قويًا ومباركًا، وقد تم تلقيبه بلقب «سلطان البركات». وكان أول من أقام مسجدًا في بروناي، وأول من قام بتنظيم وتعزيز الدفاع في البلاد من خلال توجيه الشعب لبناء مدينة باتو. كانت إسهاماته مظهرًا من مظاهر

١ المرجع السابق. ص: ٢٢٧.

٢ محمد. حاج عبد الرحمن. (١٩٩٦). دور السلطان في التنمية الإسلامية في بروني دار السلام. مجلة دار السلام ١: ٨٥-٧٧. ص: ١٢٤.

٣ حاج محمد عبد اللطيف. (١٩٩٢). الخلافة الإسلامية في بروناي. بروناي: ديوان اللغة والكتب. ص: ١١٥.

الإسلام الصحيح. وكان أيضًا الإمام والعالم والخطيب الذي يقرأ القرآن ويقوم بقراءة الموعظة الحسنة. وهذا يعني أنه لا يعمل فقط كحاكم، بل يعمل في مجال الدعوة الإسلامية مباشرة، وينقل تعاليم الإسلام للسكان المحليين.

ويقال بأن من بين التراث الموروثة من قبل السلطان الشريف علي أنه قدم للجيل القادم من بروناي عملاً جليلاً وهو إنشاء لافتة لديها ٣ أجنحة وفوق ذلك هو جذع الطبيعة يقف رمزاً للإسلام. ومن بين التفسيرات التي تم التوصل إليها هو أن الأجنحة الثلاثة تحتوي على معنى الإيمان والإسلام والخير. في حين أن قصبة الطبيعة هو رمز لسلطة السلطان الذي يدير البلاد بأمر الله تعالى.

### السلطان عمر علي سيف الدين الثالث (١٩٥٠ م - ١٩٦٧ م):

تولى السلطان عمر علي سيف الدين العرش في ٦ يونيو ١٩٥٠م، وكانت بداية حقبة جديدة في تنمية بروناي. وقد كان رائداً في تطوير بروناي من خلال إجراء بعض التغييرات الرئيسية في الإدارة الإسلامية. وتمت إعادة هيكلة التعليم الديني، وتكثيف الحركة التبشيرية، وزيادة بناء المساجد، وتطبيق تعاليم الإسلام في جميع مجالات الحياة، وزيادة على ذلك، فقد سَنَّ دستور بروناي سنة ١٩٥٩م، الذي وضع الإسلام كدين رسمي للدولة، وقام بإنشاء إدارة الشؤون الدينية في عام ١٩٥٤م، وإنشاء المجلس الإسلامي الديني في عام ١٩٥٥م، كما أنشأ مجلس الشريعة في عام ١٩٥٤م، وأنشأ الرعاية الاجتماعية عام ١٩٥٤م، وقام بإنشاء مؤسسة تعليمية دينية لجميع مستويات المجتمع الإسلامي بما في ذلك تطوير المدرسة العربية للرجل والمرأة... وغيرها الكثير والكثير. وكان السلطان عمر علي سيف الدين يُسمَّى بـ «المهندس المعماري الحديث»<sup>٣</sup>.

وفيما يتعلق بإنشاء المجلس الديني الإسلامي، سَنَّ قانوناً لتوطيد قانون توحيد الملايو ومحكمة العدل والدستور وتنظيم الأحزاب الحاكمة في الدين وتنظيم الشؤون الدينية. إن موقف المجلس الديني الإسلامي مرتفع وله مركزه الخاص وشرفه، وله سلطة وقيادة كبيرتين في وضع وتحديد السياسات المتعلقة بالمشكلات الدينية والإدارية في البلاد. وتتمثل المهمة الرئيسية للمجلس الإسلامي الديني في مساعدة وإسداء المشورة للسلطان في جميع المسائل المتعلقة بدين الإسلام.

### السلطان الحاج حسن بلقية (١٩٦٨ م - حتى الآن):

تولى جلالة السلطان الحاج حسن بلقية معز الدين والدولة العرش في ٤ أكتوبر ١٩٦٨م، بدلاً من والده السلطان عمر علي سيف الدين، وذلك لمواصلة جهوده في التنمية الإسلامية القائمة من قبل. وقد بذل السلطان الحاج حسن بلقية جهوداً عظيمة لتطوير الإسلام في مختلف جوانب الحياة سواء أكانت ذات صلة بالإيمان والعقيدة، أم بالفقه والعبادة والقانون والتعليم، وكذلك الموعظة الحسنة لغير المسلمين.

١ محمد. حاج عبد الرحمن. (١٩٩٦). مرجع سابق. سبق ذكره. ص: ١٢٤.

٢ المرجع السابق. ص: ١٢٥.

٣ محمد. حاج عبد الرحمن. (١٩٩٦). دور السلطان في التنمية الإسلامية في بروني دار السلام. مجلة دار السلام ١: ٨٥-٧٧. ص: ١٣٤.

٤ المرجع السابق. ص: ١٣٥.

وفي افتتاح استقلال بروناي دار السلام صباح يوم ١ يناير ١٩٨٤م، جعل جلالة السلطان «ملايو إسلام براجا» (الملايو الملكية الإسلامية) وتعني: فلسفة وسياسة الأمة وفقًا لمذهب أهل السنة والجماعة. وخلال فترة حكمه، تم رفع مستوى التعليم الديني إلى مستويات متوسطة وعالية مثل بناء كلية المعلمين الدينية، وبناء المعهد الإسلامي في ولاية توتونج، وبناء معهد الدراسات الإسلامية في بروناي دار السلام، وبناء جامعة بروناي دار السلام حيث توجد أيضًا كلية الدراسات الإسلامية، وبناء معهد تحفيظ القرآن وغيرها من المؤسسات الدينية التي تشير جميعها إلى رغبة السلطان الحاج حسن البلقية في رؤية وجودة ورقي مستوى التعليم الديني في بروناي والتي تزدهر من وقت لآخر.

ومن أجل تمكين المؤسسات الدينية من العمل بسلاسة وبشكل تام وفقًا لدستور الإسلام كدين رسمي في البلاد، قام جلالة السلطان الحاج حسن البلقية في عام ١٩٨٦م بتحديث إدارة الشؤون الدينية إلى وزارة مستقلة تعرف باسم وزارة الشؤون الدينية. كما قام بتطبيق المعاملات الإسلامية وذلك من خلال السماح بإنشاء بنك إسلام بروناي دار السلام، وشركة تأمين بروناي الإسلامية (أمانه) (المعروفة باسم)، والتكافل الإسلامي للعمل في البلاد. كما حظر الكحول في بروناي بالكامل في عام ١٩٩٠. كما أمر بكتابة مصحف بروناي دار السلام وطباعته ما يصل إلى ١٥٠ ألف نسخة لاستخدامها من قبل المسلمين في هذا البلد.

### دستور بروناي سنة ١٩٥٩ م :

وقام السلطان الحاج حسن البلقية بوضع دستور بروناي دار السلام سنة ١٩٥٩م، دستور بروناي الذي قرّر «أن الإسلام هو الدين الرسمي للأمة وفقًا لعقيدة أهل السنة والجماعة، والعمل بالمذهب الشافعي». ونتيجة لذلك، فإن بلدنا آمنًا، فإن تطور البلد يسير أيضًا على نحو سلس، حتى يأتي الناس من دول آسيا وغيرها من مختلف بلدان العالم؛ للعمل في بروناي والحصول على أرزاقهم في هذا البلد الآمن.

الفصل الثاني من دستور البلاد، الباب الثالث، المادة (١) ينص على أن الإسلام بوصفه الدين الرسمي في بروناي دار السلام، كما يتيح حرية ممارسة الأديان الأخرى سلميًا ومثاليًا من قبل أتباعها. والمذهب الشافعي هو المذهب الرسمي والمعتمد في بروني دار السلام. وهذا ما ورد بوضوح في دستور بروناي دار السلام:

وينص الفصل الفرعي (٢) من الفصل ٣ على ما يلي:

«الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للأمة، وفقًا لعقيدة أهل السنة والجماعة، ووفقًا للمذهب الشافعي».

### سيطرة أهل السنة والجماعة والمذهب الشافعي:

عقيدة أهل السنة والجماعة هي مرادفة ومهيمنة على المجتمع الإسلامي في جنوب شرق آسيا. جميع

١ المرجع السابق. ص: ١٣٦.

٢ وثائق دستور بروناي دار السلام. (٢٠٠٤). بروني دار السلام: إدارة الطباعة الحكومية. رئيس الوزراء. ص: ٤٠.

سكانها المسلمين تقريباً يتبعون فهم عقيدة أهل السنة والجماعة. والواقع أن دولة بروناي دار السلام قد وضعت دين الإسلام كدين رسمي للبلد وفقاً لعقيدة أهل السنة والجماعة (كما سبق بيانه في دستور بروناي ١٩٥٩، الفصل ٣، المادة ١).

وفي إعلان استقلال دولة بروناي دار السلام في ١ يناير ١٩٨٤م أكد القضية مرة أخرى جلالته السلطان الحاج حسن البلقية، والذي قال في كلمته:

«إن دولة بروناي دار السلام بإذن الله سبحانه وتعالى، سوف تصبح إلى الأبد دولة الملايو المستقلة (الملايو الملكية الإسلامية)، دولة سيادية وديمقراطية الملتزمة بتعاليم الدين الإسلامي وفقاً لمذهب أهل السنة والجماعة، على أساس العدل والثقة والحرية، وبتوجيه من الله سبحانه وتعالى».

ووفقاً للتعريف الوارد في ورقة المجلس الأعلى الإسلامي حول الإسلام:

«الدين الرسمي للبلاد هو دين الإسلام وفقاً لعقيدة أهل السنة والجماعة، والمذهب الشافعي هو المذهب الرسمي الذي يطبق في حياة الناس».

وهذا يعني أن أي معتقدات أخرى غير معتقدات أهل السنة والجماعة، مثل: الشيعة والباطنية والخوارج والمرجئة والقاديانية وما إلى ذلك، والتي تتنافى مع عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لا يتم إدخالها إلى هذا البلد.

إن فهم المسلمين لعقيدة أهل السنة والجماعة فهمًا صحيحًا، يجعل المسلم يعيش في المجتمع الإسلامي في هذا البلد آمنًا، وهذا أعطى تأثيرًا إيجابيًا دائمًا في وحدة الأمة واستقرارها.

وقد تم اعتماد هذا البيان من قبل صاحب الجلالة السلطان الحاج حسن البلقية عندما تحدث في حفل مراسم ذكرى عيد ميلاده الـ ٤٣ في قصر الأستانة نور الإيمان، في ١٥ يوليو ١٩٨٩م، والذي قرأ من بين أمور أخرى:

«في مجال الدين أيضًا، أثبت الانتماء الديني الذي تم الاتفاق عليه والذي نمارسه حتى الآن وفقاً لعقيدة أهل السنة والجماعة، وخاصة مذهب الإمام الشافعي، أنه قادر على منعنا من أي نزاع أو خلاف في الأمور الدينية؛ ولذلك من أجل استمرار التفاهم المتبادل بين إخواننا المؤمنين، ولا سيما في مجال الدين، ثم الاتفاق على توحيد العقيدة الدينية، ولا يجب أن تترك دون مراقبة من أي محاولات لتسليط الأضواء على الأيديولوجيات أو التدفقات الأخرى. وستواصل حكومة بروناي الاهتمام بهذا، ولذلك تتخذ دائماً خطوات وإجراءات لضمان وحدة الأمة وفهم عقيدة الدين الإسلامي وفقاً لعقيدة لأهل السنة والجماعة».

### مجال التعليم:

التعليم الرسمي في بروناي دار السلام لا يركز فقط على تعليم الملايو والإنجليزية من خلال الدورات التي تسيطر عليها بالكامل وزارة التربية والتعليم من خلال قسم المدارس. بل تم تطبيق



التربية الدينية الإسلامية في النظام التعليمي في هذا البلد، وقد أدخله منذ القرن الرابع عشر من قبل المبشرين وكذلك السكان المحليين من خلال المساجد والقاعات والمنازل الخاصة.

وزارة الشؤون الدينية هي الوزارة الحكومية الرسمية المسؤولة عن الشؤون الدينية بما في ذلك تنفيذ التربية الإسلامية في بروناي دار السلام، في حين أن قسم الدراسات الإسلامية هو إدارة متخصصة تدير وترصد الرحلة التعليمية الإسلامية.

إن المجتمعات الإسلامية وغير المسلمة في بروناي دار السلام محظوظة جدًا؛ لأن ممارسة الوسطية والاعتدال مطبقة بالكامل في سياسة التعليم التي تتمتع بميزات عديدة مثل حكومة جلاله السلطان الحاج حسن البلقية سلطان بروناي دار السلام، والذي يولي دائمًا اهتمامًا جادًا لرفاهية الأمة من المسلمين وغيرهم - ولا سيما من حيث الصحة والتعليم والحماية والأمن.

ويُقَدَّم التعليم مجانًا من مستوى منخفض وارتقاء إلى مستوى عال، وبالنسبة للأسر الفقيرة، تحصل على بدل تعليمي يتم توجيهه من خلال إدارة تنمية المجتمع ووزارة الشباب والرياضة والثقافة، وتمنح نفس البدلات والمنح للأيتام الفقراء والمساكين؛ لتمويل التكاليف المتصلة بالتعليم.

إن جهود الحكومة واضحة، لضمان حصول جميع الناس، ولا سيما الأطفال في البلد، على فرصة الحصول على التعليم الكافي، والقدرة على أن يصبحوا قادة البلد في المستقبل.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن إنشاء مؤسسات التعليم العالي لها أيضًا مبادئها الإسلامية الخاصة التي تركز على إنشاء جامعات ومعاهد عليا تركز على مجال الدين الإسلامي وأيضًا على العلوم التقليدية الأخرى. ومن بين هذه الجامعات حاليًا: جامعة بروناي دار السلام (UBD)، وجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية (UNISSA)، وكلية سيرى بيغاوان الدينية الجامعية (KUPU SB)، وجامعة تكنولوجيا بروناي (UTB).

### تاريخ إنشاء جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية (UNISSA) :

بدأت الجهود الرامية إلى إنشاء مراكز للتعليم العالي الإسلامية في دولة بروناي دار السلام بإنشاء معهد الدراسات الإسلامية التابع لوزارة الشؤون الدينية في عام ١٩٨٩م، وإنشاء كلية الدراسات الإسلامية في جامعة بروناي دار السلام في عام ١٩٩٣م، ثم أدرجت مؤسسات التعليم العالي في عام ١٩٩٩م والمعروفة باسم: «معهد الدراسات الإسلامية السلطان حاج عمر علي سيف الدين»، وكان تحت جامعة بروناي دار السلام.

ونظرًا للحاجة والرغبة في إنشاء جامعة إسلامية في بروناي دار السلام، فقد كان هذا المعهد أساسًا لإنشاء جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية (UNISSA)، فكانت الجامعة الثانية في بروناي دار السلام. وكان ذلك بموافقة جلاله السلطان الحاج حسن البلقية على إنشاء جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، في ١١ ذو الحجة ١٤٢٧هـ، الموافق ١ يناير ٢٠٠٧م.

«هذه الجامعة تهدف إلى أن تصبح مَعْلَمًا لعظمة الإسلام في بلادنا، وبإذن الله، سوف تلعب دورًا كبيرًا في تخريج العلماء والمفكرين الموثوق بهم، لتبليغ متطلبات الأمة».

في أول شهر أغسطس سنة ٢٠٠٧م، بدأت الجامعة أول دراسة فيها، وتمكنت من الحصول على ١٠٧ طالب بداية من الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٢٠٠٧/٢٠٠٨، وبدأت الدراسة من خلال تقديم برامج أكاديمية في درجة البكالوريوس، ودرجة الماجستير، والدكتوراه وكذلك دبلوم في القانون الإسلامي ودبلوم في القضاء الشرعي<sup>١</sup>.

وابتداء من شهر أغسطس سنة ٢٠١٢م بدأ العمل ببرنامج الدبلوم في الإسلام، وفي عام ٢٠١٣م بدأ برنامج التربية (برنامج الترقية) وفي عام ٢٠١٧م، تم إنشاء كلية الإدارة والتنمية الإسلامية، ومركز حلالاً طبيًا للبحث العلمي، ومركز التعلم والقيادة مدى الحياة.

### رؤية جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية:

أن تصبح الجامعة الإسلامية العالمية المتقدمة؛ القائمة على أساس القرآن والسنة.

### مهمة جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية:

أن تكون جامعة تتوافق مع المعايير الدولية التي توفر برنامجًا من التلاوة والتحقيق والتوجيه من خلال أساليب شمولية، تتماشى مع أحدث التقنيات وفق تطور العالم؛ لتخرج علماء شرفاء ذو أخلاق كريمة وقيمة؛ للمساهمة في تنمية المجتمع والدولة.

### تطبيق البرامج الأكاديمية لجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية في الحفاظ على الوسطية في بروناي دار السلام:

في عصر التنمية الاقتصادية، بدأ العالم الآن في تقديم الدعم للإسلام لحل مشكلات الحياة البشرية في العالم، وعلى الرغم من أن بعض المشكلات يمكن حلها، لكن تنشأ قضايا أخرى تحتاج إلى حل، وهذه هي فرصة الإسلام لطرح حله لتلك المشكلات، والطريق إلى حل المشكلة يتأكد بالمعرفة والفهم الصحيح الوسطي للإسلام، والواقع أن موقف العلم مهم جدًا في الإسلام، وهذا يتحقق من قول الله - سبحانه وتعالى - في سورة المجادلة:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنشُرُوا فَأَنشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

الآية المذكورة أعلاه تبين بوضوح أن المؤمن صاحب المعرفة سوف يحصل على مكانة عالية. إيمان المرء هو أن يكون القوة الدافعة لمتابعة العلم والمعرفة التي يمتلكها الفرد، وهذا سيجعله يدرك مدى صغر الشخص أمام الله خشية الله إذا فعل أشياء محرمة. ويتضح هذا من قول الله سبحانه وتعالى:

١ المرجع السابق. ص: ٤.

٢ سورة المجادلة: الآية ١١.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

إن دراسة العلم تعتبر من أهم الوسائل لزيادة المعرفة، وهذا المفهوم يجب أن يكون موجوداً في الحياة، حتى نصل إلى نهاية الحياة.

كما أن المؤسسات الإسلامية العليا التابعة إلى وزارة التعليم العالي، لا سيما برامج جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية الخاصة بنشر العلم والبحث العلمي، تهدف إلى نشر المعرفة الإسلامية لكل طالب. وهناك فروع مختلفة من المعرفة التي تقدمها جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية منها: مجالات الشريعة، أصول الدين، اللغة العربية، التنمية والحضارة الإسلامية، علوم القانون، الاقتصاد والتمويل الإسلامي. وكل هذه المعرفة والعلوم مفيدة جداً للأمة الإسلامية ليس في بروناي فحسب، بل في جميع أنحاء العالم. ومما لا شك فيه أن فهم وممارسة المعرفة المكتسبة، تمكنا من حل جميع المشكلات التي تنشأ من وقت لآخر، والتي يمكن استيعابها في الجيل القادم.

### البرامج الأكاديمية لجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية:

إن جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية لديها الآن (خلال العام الجامعي ٢٠١٧/٢٠١٨) خمس كليات، وثمانية مراكز، منها ثلاثة مراكز خاصة بالبحث العلمي، وإليك البيان:

١. كلية أصول الدين.
٢. كلية الشريعة والقانون.
٣. كلية اللغة العربية.
٤. كلية الاقتصاد والتمويل الإسلامي.
٥. كلية الإدارة والتنمية الإسلامية.
٦. مركز تنمية العلوم واللغات.
٧. مركز بحوث المذهب الشافعي.
٨. مركز بحوث حلالاً طيباً.
٩. مركز الدراسات العليا.
١٠. مركز البحوث والنشر.
١١. مركز القيادة والتعلم مدى الحياة.

١٢. مركز العلاقات العامة والدولية.

١٣. مركز تقنية الوسائط المتعددة.

وسوف يركز هذا البحث على بيان وتعريف كلية الشريعة والقانون ومركز بحوث المذهب الشافعي، بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، والتي تضم خيرة من أعضاء هيئة التدريس، ويمكن قبول الطلاب كل عام وخلال مرتين في العام، وتهدف إلى المساهمة في إنتاج علماء موثوق بهم، يكونوا كـ «الذهب» في أصول العلم والمعرفة في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية.

### الأول: كلية الشريعة والقانون

#### نشأة الكلية:

تأسست كلية الشريعة والقانون في عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، لتزويد الطلاب بالتعليم الرسمي في الشريعة والدراسات القانونية. وتضم الكلية ٦٢٢ طالباً و٢١ موظفًا. والكلية تتبع نظام الساعات المعتمدة، والتدريس في برنامج الشريعة بالكلية باستخدام اللغة العربية، وأحياناً نستخدم لغة الملايو أو اللغة الإنجليزية في تدريس عدد محدود من الدورات الأكاديمية. وبالنسبة لتدريس برنامج القانون في الكلية فإن وسيلة التدريس هي اللغة الإنجليزية فقط. ويجب على الطالب إكمال ما لا يقل عن ١٣٠ ساعة معتمدة أو ٦٢ موضوعاً دراسياً؛ للحصول على شهادة جامعية. برامج الكلية لها مكونات نظرية وعملية، فضلاً عن تحفيظ وتلاوة القرآن. تقدم الكلية ثلاثة برامج رئيسية، هي: برنامج الفقه والأصول، برنامج الفقه والقضاء، وبرنامج القانون. كما تقدم الكلية برنامج الدراسات العليا في الشريعة والقانون. إجمالي عدد الطلاب ٤٥ طالباً بالكلية يسعون للالتحاق بدراسة تلك البرنامج. وتشجع الكلية الطلاب على المشاركة في الحلقات الدراسية والمسابقات والرحلات والبحوث.

#### مجالات الشريعة:

تتعامل الشريعة مع العديد من جوانب الحياة اليومية، والتي تتمثل في: مجالات السياسة، والاقتصاد، والمصارف، والأعمال التجارية، والعقود، والأسرة، والحياة الجنسية، والنظافة، والقضايا الاجتماعية.

#### مجالات القانون:

القانون هو نظام من القواعد، وعادة ما يتم فرضه من خلال مجموعة من المؤسسات. ومجالات القانون تشكل: السياسة والاقتصاد والمجتمع، بطرق عديدة، كما أنه يعمل كوسيط اجتماعي أساسي للعلاقات بين الناس.

#### مهمة الكلية:

١. تثقيف الطالب للحصول على الأخلاق السامية والمعرفة الواسعة والمهارات اللازمة لاستخدام التكنولوجيا الحديثة.

٢. تخريج الطلاب الذين سيقومون ببناء المجتمع البروناوي، وتوفير احتياجات المجتمع في مجال الشريعة والقانون.

٣. إنتاج بحوث علمية عالية الجودة، تعود بالنفع على المجتمع البروناوي على وجه الخصوص، والأمة الإسلامية بصفة عامة.

### رؤية الكلية:

١. إنتاج خريجين متميزين ومتخصصين، قادرين على استخدام التكنولوجيا الحديثة، وتلبية احتياجات المجتمع البروناوي في مجال الشريعة والقانون.

٢. إنتاج بحوث علمية عالية الجودة، بحيث تجعل الكلية مؤسسة بحثية عالمية المستوى في مجال الشريعة والقانون.

المواد في الكلية الشريعة والقانون (قسم الفقه والقضاء قسم الفقه والأصول)، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية.

### أولاً: مستوى البكالوريوس

رقم	أسماء المواد	كتب المقرر - المراجع
١	أصول الفقه ١، ٢، ٣	زيدان، عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨ م) الغزالي، أبو حامد، المستصفي من علم الأصول (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، د. ت) البيانوني، محمد أبو الفتح، الحكم التكليفي في الشريعة الإسلامية (دمشق: دار القلم، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م) أبو زهرة، محمد، أصول الفقه (القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول في علم أصول الفقه، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨ م). ابن السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، قواطع الأدلة في الأصول، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م).
٢	فقه العبادات ١ و ٢	الخن، مصطفى، وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط ٣، (دمشق: دار القلم، ١٩٩١ م) الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧ م). النووي، يحيى بن شرف، المجموع، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، د. ت). الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، (القاهرة: مصطفى الحلبي، د. ت).
٣	القواعد الفقهية	البورنو، محمد صدقي، الوجيز في القواعد الفقهية الكلية، ط ٤، (بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، تحقيق تيسير فائق، المنشور في القواعد، ط ٢، (الكويت: شركة دار الكويت للصحافة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٣ م) ابن نجيم: زين العابدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، د. ت) الندوي، علي أحمد، القواعد الفقهية، ط ٣، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٤ م). الهيتمي، ابن حجر، تحفة المحتاج شرح المنهاج، (القاهرة: مصطفى الحلبي، د. ت).
٤	الفقه المقارن ١	الجزيري، عبدالرحمن، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦ م). ابن رشد، محمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٠ م). عقله، محمد، دراسات في الفقه المقارن، (عمان: مكتبة الرسالة، ١٩٨٣ م). ابن قدامة، عبدالرحمن بن محمد، المغني، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤ م). النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، د. ت).

رقم	أسماء المواد	كتب المقرر - المراجع
٥	فقه الأطعمة والأشربة	الخن، مصطفى وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط ٧، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٦م). أبو سريع، محمد عبد الهادي، الأطعمة والذبائح في الفقه الإسلامي، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٥م) الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار الفكر. د.ت). أبو فارس، محمد عبد القادر، أحكام الذبائح في الإسلام: الذبح، الصيد، الأضحية، العقيقة، (الزرقاء: مكتبة المنارة، ١٩٨٠م) النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، د.ت)
٦	دراسات نصية في كتب الفقه الشافعي	محمد بن إدريس، الأم (بيروت: دار الكتب العلمية) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، الروضة (بيروت: دار الكتب العلمية) مالك بن أنس / سحنون التنوخي، المدونة الكبرى (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود، بدائع الصنائع (بيروت: دار الكتب العلمية) ابن قدامة المقدسي، المغني (الرياض: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)
٧	مقاصد الشريعة	الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي (عمان: دار النفائس) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات، الجزء الثاني (بيروت: دار الكتب العلمية) النجار، عبد المجيد، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م) عطية، جمال الدين، نحو تفعيل مقاصد الشريعة (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م)
٨	الاقتصاد الإسلامي	الجمال، د. محمد عبد المنعم، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ودراسات مقارنة، (القاهرة: دار الكتاب المصري وبيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩١م) الفتنجري، محمد شوقي، نحو اقتصاد إسلامي (جده: شركة مكتبة عكاظ، د.ت) الفتنجري، محمد شوقي، المذهب الاقتصادي في ضوء الشريعة الإسلامية (الرياض: شركة عكاظ، ١٩٨١م) قره داغي، علي محي الدين علي، بحوث الاقتصاد الإسلامي (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م)
٩	المصارف الإسلامية	حمود، سامي حسن احمد، تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الإسلامية، (مصر: دار التراث، ١٩٩١م) المصري، رفيق يونس، المصارف الإسلامية: دراسة شرعية، (سوريا: دار المكتبي، ٢٠٠١م) المصري، عبد السميع، المصرف الإسلامي علميا وعمليا، (مصر: مكتبة وهبة، ١٩٨٨م) المهمشري، مصطفى عبدالله، الاعمال المصرفية والاسلام، (القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر، د.ت) عطية، جمال الدين، البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم التقويم والاجتهاد النظرية والتطبيق (بيروت: المؤسسة العلمية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م)
١٠	أصول الاجتهاد والفتوى	الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) الغزالي، أبو حامد، المستصفي من علم الأصول (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، د.ت) الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار الفكر. د.ت).
١١	فقه المناكحات	الخن، مصطفى، وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط ٧، (دمشق: دار القلم، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م). النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب. (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، د.ت)
١٢	فقه المعاملات	الخن، مصطفى، وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط ٧، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٦م). الزرقاء، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٨م) الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار الفكر. د.ت). محمصاني، صبحي، النظرية العامة للموجبات والعقود، ط ٣، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م) موسى، كامل، أحكام المعاملات، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).
١٣	فقه القضاء وطرق الإثبات	الخن، مصطفى سعيد وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الامام الشافعي، (دمشق: دار العلوم، ١٩٨٩م) الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، المهذب، (القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٣٣هـ) الضبياني، صالح بن عبد الله، القضاء والإثبات الشرعي في الفقه الإسلامي والقانون اليمني، (صنعاء: دن، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).

رقم	أسماء المواد	كتب المقرر - المراجع
١٤	معاملات مالية معاصرة	شبير، محمد عثمان، بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة، (الأردن: دار النفائس، ١٩٩٨م) القره داغى، على محى الدين، مبدأ الرضا في العقود، دراسة فقهية مقارنة، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٥م) قلعة جى، محمد رواس، المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الفقه والشريعة، (عمان: دار النفائس، ١٩٩٩م) الكبي، سعد الدين محمد المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الإسلام، (بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٢م)
١٥	فقه الميراث	الزاط، محمد منصور، توضيح علم الميراث، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢) الشربيني، محمد الخطيب، معنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (القاهرة: مصطفى الحلبي البابي، ١٩٥٨م) الصابوني، محمد بن علي، الموارث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، (مدينته نصر: دار الصابوني، ٢٠٠٢م) غالب، أحمد عيسى، علم الميراث، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م) محمي الدين، محمد، أحكام الموارث في الشريعة الإسلامية (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م)
١٦	فقه الوصية والوقف والهبة	الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمرو، أحكام الأوقاف، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م). الدسوقي، محمد، الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي، (القاهرة: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٠) السريتي، عبد الودود محمد، الوصايا والأوقاف والموارث في الشريعة الإسلامية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٧م). الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، الأم، (القاهرة: مطبعة مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م).
١٧	فقه الجنايات	أبو زهرة، محمد، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٦م) بهنسي، أحمد فتحي العقوبة في الفقه الإسلامي، (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣) عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م) محمصاني، صبحي، تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م)
١٨	مسائل فقهية معاصرة	ياسين، محمد نعيم: أبحاث فقهية في قضايا فقهية معاصرة ط ١، (عمان، دار النفائس، ١٩٩٦م) القره داغى، على محى الدين، المحمدى، على يوسف، فقه القضايا الطبية المعاصرة ط ١، (بيروت: دار البشائر، ٢٠٠٥م) السالوس، علي أحمد، موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، (دوحة: دار الثقافة، ١٩٩٦م) الشافعي، محمد فريد، خلف، عبد الجواد، دراسات في قضايا الفقه المعاصرة (مصر: دار البيان، ٢٠٠٦م) مصباح، عبد الهادي، الاستنساخ بين العلم والدين، ط ١ (مصر، نشر الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧)

### ثانياً: مستوى الماجستير

رقم	أسماء المواد	كتب المقرر - المراجع
١	نظرية العقد	الزرقاء، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، ط ١، (دمشق، دار القلم، ١٩٩٨م) الشال، إبراهيم علي أحمد محمد، القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في المعاملات المالية، (عمان: دار النفائس، ٢٠٠٢م). شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، (عمان: دار النفائس، ١٩٩٩م).
٢	نظام الحكم في الإسلام	أحمد، عبد المنعم، أصول نظام الحكم في الإسلام، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩١م). التاج، عبد الرحمن، السياسة الشرعية والفقه الإسلامي، (القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٩٥٣م). خلاف، عبد الوهاب، السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٨م). المواردي، علي بن حبيب، الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م)..
٣	الفقه المعاصر للزكاة	الأشقر، محمد سليمان، والأشقر، عمر سليمان، وياسين، محمد نعيم، وشبير، محمد عثمان، أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة، الطبعة الثانية، الأردن: دار النفائس، ٢٠٠٠م. الزيباري، عامر سعيد، أجوبة عن أسئلتك في الزكاة، بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٤م. شحاته، شوقي إسماعيل، التطبيق المعاصر للزكاة، جدة: دار الشروق، ١٩٧٧م.

رقم	أسماء المواد	كتب المقرر - المراجع
٤	دراسات في علم أصول الفقه	الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السؤل شرح منهاج الأصول، (القاهرة: طبعة محمد علي صبيح، دت). الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول من علم الأصول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م). الشوكاني، محمد علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، (القاهرة: طبعة دار السلام، د.ت.). الغزالي، أبو حامد بن محمد، المستصقى من علم الأصول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م). القرافي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول، (مكة: مكتبة نذار مصطفى الباز، ١٩٩٩م).
٥	فقه القضاء وطرق الإثبات	الطرابلسي، علي بن خليل، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٧٣م). عليان، شوكت محمد، السلطة القضائية في الإسلام، (الرياض: دار الرشيد، ١٩٨٢م). ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن القاسم، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الحكام، (القاهرة: المطبعة الحديثة، ١٩٨٦م). واصل، نصر فريد محمد، السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام، (القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٩٧٧م).
٦	المصارف الإسلامية	ارشيد، أحمد ومحمود، عبد الكريم، الشامل في معاملات وعمليات المصارف الإسلامية، ط ١، (الأردن: دار النفائس، ٢٠٠١م). التركمان، عدنان خالد، السياسة النقدية والمصرفية في الإسلام، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م). المصري، رفيق، مصرف التنمية الإسلامي ومحاوله جديدة في الربا والفائدة والبنك، ط ٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م). النمر، رفعت صدقي، في المصارف والاقتصاد: مقالات ومقابلات، ط ١، (بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٠م). يسري، عبد الرحمن، قضايا إسلامية معاصرة في النقود والبنوك والتمويل، د.ط (د.م: الدار الجامعية، ٢٠٠١م).
٧	فقه الوصايا والأوقاف	الخطاب، محمد بن عبد الرحمن، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م). أبو زهرة، محمد، شرح قانون الوصية، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨م). الشربيني، محمد بن الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار الفكر، د.ت.). القاسمي، مجاهد الإسلام، الوقف: بحوث مختارة مقدمة في الندوة الفقهية العاشرة لمجمع الفقه الإسلامي في الهند، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).
٨	العلاقات الدولية في الإسلام	الحسن، محمد علي، العلاقات الدولية في القرآن والسنة، (عمان: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، د.ت). أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، (مصر: الدار القومية للطباعة، د.ت.). السرخسي، محمد بن محمد، شرح السير الكبير، (مصر: د. ن. د.ت.). محمصاني، صبحي، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت.). حماد، نزيه، قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠١م).
٩	النظام المالي في الإسلام	شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، (الأردن: دار النفائس، ١٩٩٩م). قحف، منذر، السياسات المالية: دورها ووظائفها في الاقتصاد الإسلامي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م). هارون، محمد صبري، أحكام الأسواق المالية، (الأردن: دار النفائس، ١٩٩٩م). الوادي، محمود حسين، وعزام، زكريا أحمد، المالية العامة والنظام المالي في الإسلام، (الأردن: دار المسيرة، ٢٠٠٠م).
١٠	دراسات في النصوص الفقهية	خليل، ابن إسحاق المالكي، مختصر خليل: في الفقه المالكي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.). أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم، منهج البحث في الفقه الإسلامي خصائصه ونقائصه. ط ٢. (مكة المكرمة: المكتبة المكية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م وبيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م). الشيرازي، إبراهيم بن علي، المهذب: في فقه الإمام الشافعي، (بيروت: دار المعرفة، د.ت.). ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني: في الفقه الحنبلي، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨٧م). الكاساني، علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (القاهرة: مطبعة الإمام، د.ت.).
١١	دراسات في القواعد الفقهية	البورنو، محمد صدقي، الوجيز في القواعد الفقهية الكلية، ط ٤، (بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، تحقيق تيسير فائق، المنشور في القواعد، ط ٢، (الكويت: شركة دار الكويت للصحافة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م). السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٣م). ابن نجيم: زين العابدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، د.ت.). الندوي، علي أحمد، القواعد الفقهية، ط ٣، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٤م).



رقم	أسماء المواد	كتب المقرر - المراجع
١٢	دراسات في فقه النكاح	الرملي، محمد بن أحمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م). زيدان، عبد الكريم، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م). الشربيني، محمد بن الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار الفكر، دت).

### ثالثاً: المراجع المذهب الشافعي.

١. الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، د.ت)
٢. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول في علم أصول الفقه، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
٣. ابن السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، قواطع الأدلة في الأصول، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).
٤. الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧م).
٥. النووي، يحيى بن شرف، المجموع، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.).
٦. النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
٧. الهيثمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، (القاهرة: مصطفى الحلبي، د.ت.).
٨. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٣م)
٩. الخن، مصطفى، وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط٣، (دمشق: دار القلم، ١٩٩١م)
١٠. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، تحقيق تيسير فائق، المنشور في القواعد، ط٢، (الكويت: شركة دار الكويت للصحافة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)
١١. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم (بيروت: دار الكتب العلمية)
١٢. الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، المهذب، (القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٣٣هـ)
١٣. الماوردي، علي بن حبيب، الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م).
١٤. الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السؤل شرح منهاج الأصول، (القاهرة:

طبعة محمد علي صبيح، دت).

١٥. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول من علم الأصول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).

١٦. الرمي، محمد بن أحمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م).

### الثاني: مركز بحوث المذهب الشافعي

تم إنشاء مركز بحوث المذهب الشافعي في ١ يناير ٢٠٠٧م تمشياً مع إنشاء جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية. ويعتبر أحد مراكز الدراسة والبحث، تحت إدارة جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، وتهدف إدارة المركز إلى إعداد المشاريع البحثية والتي تكون على قدر المسؤولية من الأهمية للأمة والمجتمع وتكون أهدافها نبيلة؛ لتتوافق مع دستور بروناي دار السلام الذي يجعل المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي للبلاد، والذي يتم تطبيقه في حياة الناس.

وقد بدأ المركز في تقديم منح لدراسة درجة الماجستير في المذهب الشافعي، والدكتوراه في المذهب الشافعي في العام الجامعي ٢٠١٦/٢٠١٧؛ وذلك تلبية لرغبة جلالة السلطان الحاج حسن البلقية سلطان بروناي دار السلام؛ لجعل هذا المركز، مركزاً مرجعياً للمذهب الشافعي، وتكون بحوثه مرجعاً أصيلاً للمذهب الشافعي للدول الإقليمية في جنوب شرق آسيا خصوصاً، وفي جميع بلدان العالم الإسلامي عموماً.

### رؤية مركز بحوث المذهب الشافعي

أن يكون مركز بحوث المذهب الشافعي مركزاً رائداً وقيادياً للبحوث، وأن يكون المرجعية الإسلامية في منطقة جنوب شرق آسيا في مجال البحوث المتعلقة بالمذهب الشافعي.

### مهمة مركز بحوث المذهب الشافعي:

إجراء البحوث وتوثيق ونشر نتائج البحوث المتعلقة بالمذهب الشافعي بهدف توسيع وتعزيز النفوذ الإسلامي للمذهب الشافعي في منطقة جنوب شرق آسيا، فضلاً عن الالتزام بتحقيق رؤية جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية لتكون جامعة إسلامية عالمية متقدمة؛ قائمة على أساس القرآن والسنة.

### البرامج الأكاديمية في مركز بحوث المذهب الشافعي:

\* برامج الماجستير والدكتوراه، في المذهب الشافعي.

يقدم مركز بحوث المذهب الشافعي برامج الدراسات العليا للطلاب الذين يسعون لمزيد من الدراسة على مستوى درجة الماجستير والدكتوراه. ومن المأمول أن يؤدي البرنامج الأكاديمي المتزايد في البرامج التعليمية والبحث العلمي لجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، وخاصة برنامج الدراسة المقدم في مركز بحوث المذهب الشافعي إلى فتح مساحة وفرص قيمة إلى جانب استكشاف المعرفة

وخاصة فيما يتعلق بالمذهب الشافعي وعلومه. فضلاً عن أن هذه البرامج الأكاديمية، تتوافق مع المذهب الرسمي المطبق في هذا البلد؛ تمشيًا مع دستور بروناي عام ١٩٥٩م، الفصل ٣ (باب ١)، الذي يقرر بأن الإسلام هو الدين الرسمي للأمة وفقًا لعقيدة أهل السنة والجماعة، والمذهب الرسمي للدولة هو المذهب الشافعي.

إن الجهد المبذول لإنتاج خريجين ماهرين واستكشاف بحوث جديدة في المذهب الشافعي هو جهد خالص لضمان رؤية الجامعة بأن تكون جامعة إسلامية وسطية، تحقق أهداف جلاله السلطان الحاج حسن البقية سلطان بروناي دار السلام، الذي يريد من الجامعة إنتاج خريجين قادرين على المساهمة في تطوير الأمة والبلاد في المستقبل.

وبالإضافة إلى ذلك، يمكن لهذا البرنامج الأكاديمي في مركز بحوث المذهب الشافعي أيضًا تقديم بحوث أخرى ذات الصلة بالعلوم الإسلامية المتعلقة بالفكر والأخلاق والقانون، لا سيما ونحن في حاجة ماسة إلى البحث العلمي للوصول إلى حلول علمية موثوقة ووسطية ومعتدلة عند علماء أهل السنة والجماعة؛ لتلبية التطور الحالي والعالم الحديث الذي شهد الابتكار المعقد على نحو متزايد، فضلاً عن المبدأ المستمر من خلال منظور الوسطية والاعتدال والذي يمارس بشكل مستمر في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية وفي سلطنة بروناي دار السلام.

#### الخاتمة:

إذا نظرنا إلى الكتب المرجعية والدورات الأكاديمية «إجمالاً» التي يقدمها مركز بحوث المذهب الشافعي في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، يمكننا أن نلاحظ أن هناك الكتب الدراسية التراثية والمعاصرة والمراجع في المذهب الشافعي. وبالرغم من ذلك، فإنه لا يزال الحد الأدنى هو المتوفر لدينا؛ ولذلك، فإن تنوع المراجع في المذهب الشافعي وتعددتها وزيادتها أمرًا لا بُدَّ من القيام به، بحيث تعكس الدراسات الشرعية في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية دراسة وتنفيذ المذهب الشافعي خصوصًا في بروناي دار السلام التي تجعل المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي للدولة، إلى جانب العمل في تعزيز مبدأ الوسطية باعتبارها ممارسة مستمرة وتطبيقاتها الدائمة في سلطنة بروناي دار السلام.

## المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- إسماعيل إبراهيم. (د.ت). مفهوم الوسطية في المنظور الإسلامي. اتفاقية الوسطية بالتزامن مع مليون مسلم في العالم. ماليزيا: إدارة التقدم الإسلامي.
- إسماعيل إبراهيم. (٢٠١٢). الوسطية ركيزة اتحاد الأمة. ماليزيا: إدارة التقدم الإسلامي.
- جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية. الخطة الاستراتيجية لجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، ٢٠٠٩ - ٢٠١٨. بروناي دار السلام.
- حاج محمد زين. حاج سيرودين. (١٩٩٨). نهج الملكية الإسلامية. بروناي دار السلام: ديوان اللغة والكتب. وزارة الشباب والثقافة والرياضة.
- حاج محمد عبد اللطيف. (١٩٩٢). الخلافة الإسلامية في بروناي. بروناي: ديوان اللغة والكتب.
- الرازي. محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري. (١٩٩٩). التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو السعود. محمد بن محمد العمادي. (١٩٩٠). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الطبري. محمد بن جرير. (٢٠٠١). جامع البيان في تأويل القرآن. مصر: دار هجر.
- ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (٢٠٠٠). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار ابن حزم.
- ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
- محمد. حاج عبد الرحمن. (١٩٩٦). دور السلطان في التنمية الإسلامية في بروناي دار السلام. مجلة دار السلام.
- النسفي. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (١٩٩٨). مدارك التنزيل وحقائق التأويل. بيروت: دار الكلم الطيب.
- وثائق دستور بروناي دار السلام. (٢٠٠٤). دستور بروناي. رئاسة الوزراء: إدارة الطباعة الحكومية.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تمهيد

ولد النبي المختار ﷺ، تغشاهُ البهجةُ والأنوار، في عام الفيل عام إنقاذ الكعبة ذات التنويل، والده عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وأمه ءامنة بنت وهب أم النبي ﷺ الخاتم، وقد أرضعته حليلةُ السعدية، وهي به قد غدت رضية، وعندما صار عمره خمسة أعوام، أعادته إلى أمه عليه السلام، وفي السادسة من عمره الطيب، ماتت أمه فرعاه جده عبد المطلب، وفي سن الثامنة مات جده، فتولاه أبو طالب عمه وعضده، وعندما صار عمره اثنتي عشرة سنة، خرج إلى الشام برفقة عمه وغادر وطنه، وفي عمر خمس وعشرين، تزوج بالسيدة خديجة أم المؤمنين، وفي سن الأربعين، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وشرح بالرسالة صدره، ورفع في الشهادتين ذكره، ورفعته إلى المحل الأسنى، فكان قاب قوسين من جبريل أو أدنى، وكان معتدلاً القامة طيبَ الريح والشم، نظيفَ البدن والجسم، أطيّبَ ريحا من العنبر، وأزكى رائحة من المسك الأذفر، جوامعُ كلمه ماثورة، وبدائعُ حكيمه منشورة، عيونُ معانيه منسجمة، ودررُ ألفاظه منتظمة، يصلُ من قطعه، ويُعطي من منعه، ويبدلُ لمن حرمه، ويعفو عمّن ظلمه، لا ينتقم مع القدرة، ويصبر على ما يكره، أوضح الله له الطرائق، وأظهر على يديه الحقائق، وأودعه أسراراً مكنونة، وأطلعته على غرائب مخزونة، وأشهده من عجائب سلطانه وملكوته، وأظهر له إشاراتٍ على جلاله وجبروته، وشمله بالطفاه الخفية، وأدناه دنوا تنزه عن الكيفية، وأنبت له شجرة ليلة الغار، ونسج العنكبوتُ له سترًا من الكفار، وبرك البعير بين يديه وبه استجار، واستجارت الطيبة من صيادها، وسألته إطلاقها لتذهب إلى أولادها، فضمن إلى الصياد عودها، فأطلقها فأرضعت أولادها وأوفت وعدّها، فلما عادت إلى الصياد أوثقها، ثم منّ عليها بإذنه فأعتقها، وانكسرت يوم الخندق ساق ابن الحكم، فتفلّ عليها فكأنه لم يكن به ألم، وركب فرسًا لأبي طلحة غير لاحق، فصار ببركته لا تلحقه السوابق، وقطع أبو جهل يد بعض أصحابه، فبصق عليها وأصقها فشفي مما به، ومن معجزاته القراءانُ المجيدُ، المنزلُ عليه من حكيم حميد، الذي أنار العقول، وفاق بكلامه كلّ مقول، وأخرس بفصاحته بلاغة العرب، وبسيف إعجازه وإيجازه أعناقهم ضرب، وجمع الله له المعارف الوافرة، وأطلعته على مصالح الدنيا والآخرة، فهذه نبذة من معجزاته الواضحة، ولمعة من أنواره اللائحة، فعليه من الله أزكى الصلوات، وأطيبُ السلام وأنمى التحيات، وعلى ءاله وأصحابه من الأنصار والمهاجرة، إلى دار القرار الآخرة.

دور المدارس الإسلامية بكمبوديا في نشر الاعتدال والوسطية

الباحث: محمد داود بن قاسم

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في كمبوديا

ورئيس شؤون التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية في كمبوديا

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء، فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، أرسل نبيه رحمة للعالمين، فهداهم من ضلالة، وعلمهم من جهالة، وأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والإيمان، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله ﷺ، شملت رحمته: البر والفاجر، والقريب والبعيد، والعدو والصديق، فكان رحمة مُهداة من الله - عز وجل -؛ فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ (يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مُهداة)<sup>٣</sup>، أما بعد،

فلقد امتلأت صفحات التاريخ بشهادات المفكرين والعلماء من غير المسلمين الذين فُتِنوا بشخصية النبي ﷺ؛ ففاضت كلماتهم عنه بمدح ما أثر عنه من مبادئ وإنجازات، ومن هؤلاء:

ألفونس دو لامارتين، حيث قال: «لم يسبق لإنسان بمفرده متواضع الإمكانيات، محدود الأسباب على هذه الشاكلة أن يفعل ما فعله محمد فكرا وعملا، بهذا الرونق في الشكل والمضمون، في حين لم يكن له من معين إلا نفسه أو عون إلابضعة رجال، يعيش في ركن الصحراء... وأخيرا: لم يسبق لإنسان إحداث ثورة بهذا الحجم وهذا الخلود في العالم؛ ذلك بأنه في أقل من قرنين من ظهوره تمكّن الإسلام دينًا وجيشًا من السيطرة على الجزيرة العربية كلها، وفتح باسم الله فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر والهند الغربية وسوريا ومصر والحبشة وكل شمال أفريقيا وعشرات الجزر في البحر المتوسط وإسبانيا وجزءًا من بلاد الغال»<sup>٤</sup>.

وقال السير جورج برنارد شو: «إذا كان لدين فرصة تسيّد إنجلترا، بل أوروبا في غضون القرن المقبل، فهو الإسلام»، و«لظالما نظرت لدين محمد بعين الإكبار؛ لما فيه من حياة باعثة على الإعجاب، فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي قادرًا بما له من إمكانيات استيعابية على: تغيير وجه الوجود والتكيف مع كل عصر»<sup>(٥)</sup>.

وقال مايكل هارت: «إن اختياري محمدًا على رأس قائمة المائة الأعظم والأكثر تأثيرًا قد يدهش بعض القراء، بل ويثير شكوك البعض الآخر، لكنه كان الرجل الأوحّد - على مر التاريخ - الذي حقق نجاحًا منقطع النظير على الصعيدين الديني والدينيوي... قد يكون التأثير النسبي لمحمد على دين

١ سورة: الأعراف، الآيات: ١٥٦-١٥٧.

٢ سورة: الأنبياء، الآية: ١٠٧٧.

٣ المستدرک علی الصحیحین.

٤ تاريخ تركيا، ألفونس دو لامارتين، بانز، ١٨٥٤، ج ١١، ص ٢٧٧-٢٦٧.

٥ عبقرية الإسلام، السير جورج برنارد شو، ج ١، ص ٨، ١٩٣٦.

الإسلام أكبر من تأثير عيسى المسيح والقديس بولس مجتمعين على المسيحية...؛ فهذا الجمع منقطع النظر بين التأثير الديني والديني كما أراه يخوّل محمداً لقب الأكثر تأثيراً في تاريخ الإنسانية».

وقال القائد الهندي العظيم غاندي: «بعد أن أنهيت الجزء الثاني من سيرة محمد شعرت بحاجة إلى معرفة المزيد عن هذه الشخصية العظيمة؛ فهو بلا منازع من فاز بقلوب ملايين البشر».

وإذا كانت هذه هي شهادة المستشرقين أنفسهم، فحرّي بنا ونحن أمة النبي ﷺ محمد أن ندرس سيرته ونقتدي به ونسير على دربه؛ لذا حرص المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بزرع هذه القيم في عقول وقلوب أبنائنا منذ نعومة أظفارهم، من خلال اختيار مجموعة من المعلمين المتميزين المشهود لهم بالدين والكفاءة، إلى جانب تكليف سماحة المفتي لمجموعة من خبراء التعليم بقيادة مبعوث الأزهر بكتابة كتاب يحمل بين جنباته بعضاً من أخلاق النبي ﷺ وصحبه الكرام، تقسّم على سنوات المرحلة الابتدائية؛ وذلك لبثّ روح حبّ التدين والافتداء منذ الصغر، ولوقاية أبنائنا وحمايتهم من الأفكار الهدّامة والعادات السيئة المقيتة.

من ثم كان لتربية النشء في مملكة كمبوديا كثير اهتمام وعناية من سماحة المفتي والمجلس؛ وذلك لعلمهم بأن الحالة الاقتصادية لمسلمي كمبوديا لا تسمح بتوفير تعليم مثالي كغيرها من الدول المجاورة، إلا من خلال المنح والمعونات؛ لذا كان الاهتمام الأكبر بالتخلّق بأخلاق الإسلام، وستشهد الفترة المقبلة بإذن الله طفرة تعليمية كبيرة؛ نتيجة الفكر المستنير البناء لسماحة المفتي ومستشاره لشئون التطوير والتعليم والتربية الجديد.

وللتربية كما هو معروف بين الباحثين: تعريف لغويّ وآخر اصطلاحي؛ فالتربية لغةً: اسم مشتق من الربّ، والربّ: يطلق في اللغة على المالك والسيد والمُدبر والمُرَبّي والقيّم والمُنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره فيقال: رَبُّ كذا، ويُقال: رَبّه يُرَبّه: أي كان له رَبّاً، وفيه (ألك نعمة تُرَبّيها) أي: تحفظها، وتُرَاعِيها وتُرَبّيها كما يُرَبّي الرجل ولده، يُقال: رَبُّ فلان ولده يُرَبّه رَبّاً ورَبّته ورَبّاه كله بمعنى واحد، وتستعمل كلمة التربية بمعنى: التهذيب وعلو المنزلة، وقال بعضهم: ومن المجاز: فلان في رِبَاوة قومه: في أشرفهم.

ولكن يختلف تعريف التربية اصطلاحاً باختلاف المنطلقات الفلسفية، التي تسلكها الجماعات الإنسانية في تدريب أجيالها، وإرساء قيمها ومعتقداتها، وباختلاف الآراء حول مفهوم العملية التربوية وطرقها ووسائلها، فقد ورد في تعريف التربية تعاريف متعددة منها:

\* التربية: إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام<sup>٢</sup>.

\* التربية تعني: «تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من مأكّل ومشرب؛ ليشب قوياً معاف قادراً على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها، فتغذية الإنسان والوصول به إلى حد الكمال هو

١ أعظم مائة مؤثرين في التاريخ، مايكل هارت، نيويورك، ١٩٧٨.

٢ المنهج التربوي الإسلامي للطفل، بهاء الدين الزهوري، حمص، مطبعة اليمامة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ١٦.

٣ التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، باب البناء، فصل البناء، ص ١٦٩.



معنى التربية، ويقصد بهذا المفهوم كل ما يُغذي في الإنسان جسمًا وعقلًا وروحًا وإحساسًا ووجدانًا وعاطفة<sup>١</sup>.

\* التربية: تعني «الرعاية والعناية في مراحل العمر الأدنى، سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسدي أم موجهة إلى الجانب الخُلقي الذي يتمثل في إكساب الطفل أساسيات قواعد السلوك ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها»<sup>٢</sup>.

\* التربية: الزيادة والنماء؛ وذلك حين يتزوّد الطفل بأنواع المعرفة، وألوان الثقافة، فيتغذى عقله، وتكبر مداركته، فيزكو ويسمو، علاوةً على نماء جسمه، بسبب تغذيته ورعايته صحيًا، وتأمين ما يحتاج إليه من مأكّل ومشرب؛ ليعرّج بعافية جيدة، ويشب عن الطوق بقوة، فيتحمّل تكاليف الحياة، وتبعاتها، وقد تربّى جسمه، ونما عقله، وصفت نفسه، وزكّت روحه.

\* ومن معاني التربية: الإصلاح والتهديب، حيث تُبذل جهودٌ كبيرة ومستمرة لرعاية الطفل، وإصلاح أحواله، وعدم إهماله، بدءًا من الأسرة، مرورًا بالمدرسة ودور العلم، ووعظ العلماء، وقراءة الكتب، وسماع البرامج الهادفة...، وهذا وغيره يساعد في: إصلاح الطفل، وإثراء نفسه بالعلم المفيد، والنهج السديد، إذ يرتبط طلب العلم بمناهج التربية، مما يعطي الأطفال مع مرور الوقت خبرات ومهارات وتوجيهات، تساعد على تحقيق أهدافهم في الحياة؛ فللتربية دورها الرائد، وأثرها العميق في توجيه ميول الطفل، وربطه بالأخلاق الحميدة، والعلاقات الإنسانية الراقية، وكبح جماح الشهوات، ورفع القوى نحو الخير والصواب<sup>٣</sup>.

ومن المعلوم أن التربية في الإسلام تقوم على «الشمول في أهدافها وطبيعتها، وهذه الأهداف التي حددت وبرزت للتربية الإسلامية تساعد في: رسم الطريقة التي تتحقق بها»<sup>٤</sup>، ولا يمكن أن تتحقق الأهداف التربوية، وتؤتي ثمارها دون وجود وسائل تربوية جيدة تحقق هذه الأهداف.

وبما أن غاية التربية في الإسلام هي: إعداد المسلم الصالح، والمجتمع السويّ الناجح، الذي يحقق عبر هذه الحياة مهمته الكبرى التي خلقه الله من أجلها؛ فإن الإسلام قد شرّع عبر مصادره العظيمة الوسائل التربوية المناسبة؛ لتحقيق هذه الغاية<sup>٥</sup> الكبرى في إعداد الإنسان المسلم ذي الأبعاد الثلاثة: العابد لله تعالى، المستخلف في الأرض، المستعمر في الأرض.

وبقدر نبل الغاية وسمو الهدف: يأتي شرف الأسلوب ونجاعة الطريقة، ولا سيما إذا كان المرّي في أول العهد هو معلم الناس الخير محمد ﷺ، وكان التلاميذ الذين التحقوا بمدرسته، هم الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين<sup>٦</sup>.

١ أصول الفكر التربوي في الإسلام، عباس محجوب، دمشق، دار ابن كثير، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٥٥.  
٢ الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام، محمد حسين أحمد، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التربية، كلية التربية، جامعة طنطا، قسم أول التربية، غير منشورة، ص ١٤.  
٣ تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، بديوي يوسف ومحمد محمد قاروط، دمشق، دار المكتبي، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١، ١٤.  
٤ سورة: الأنبياء، الآية: ١٠٧٧.  
٥ التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ط. مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٢٥هـ.  
٦ الحدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، ط جامعة أم القرى، ١٤١٨ هـ، ص ١٩٧، بتصرف.  
٧ العقيل، د/ عبد الله بن عقيل، التربية الإسلامية مفهومها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مبروها، ط ١، ١٤٢٧هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ص ١٥٧.

وبتوجيه النظر إلى هذه الأساليب التي شرعها الإسلام، نجد أنها لم تأت على صورة واحدة تصيب المرء بالسامة والنصب، إنما جاءت متنوّعة ومختلفة، تغزو القلب وتنفذ إلى خلداته ومكامنه، فتصنع منه آلة خيّرة، موجهة لسلوك خيّر.

من هنا يتضح لنا وجود العديد من الأساليب التي تتم بها التربية في الإسلام، وهي أساليب تربوية أصيلة ومعاصرة؛ فأصالتها تتمثل في امتداد جذورها إلى أربعة عشر قرناً من الزمان أو يزيد، كما أنها معاصرة تناسب العصر الحالي وكل عصر<sup>١</sup>.

ولقد كان لتنوّع الأساليب التربوية التي أشار إليها الإسلام أثره الفعال في تربية النشء؛ لأنه يتناسب مع اختلاف نوع المتربي ومرحلته ومزاجه، كما أن إمام المريّ ووعيه بتلك الأساليب - التي أثبتت نجاحها على مرّ التاريخ - أمر في غاية الأهمية للقيام بواجبه التربوي؛ لأنه لا يستطيع أن يربيّ الأجيال دون استخدام أساليب تربوية<sup>٢</sup>.

وقد استمدت هذه الأساليب في معظمها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل إنّ كثيراً منها مارسه الرسول ﷺ في تربية أصحابه وتعليمهم مبادئ الإسلام، ولعل من أشهر تلك الأساليب: - أسلوب التربية بالقدوة الحسنة، وأسلوب التربية بالحوار، والتربية بالقصة، والتربية بالترغيب والترهيب، والتربية بالموعظة، والتربية بالأحداث، وضرب الأمثال، والممارسة العملية، وأسلوب التربية بالعبارة، وفيما يلي سأفرد الحديث عن أسلوب التربية بالقدوة الحسنة، الذين نسير على نهجه في تربية أولادنا وتعليمهم إلى جانب غيره من أساليب التربية السابقة؛ وذلك لحرص المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في كمبوديا لاقتفاء أثر النبي ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم.

أسلوب التربية بالقدوة الحسنة: تُعدُّ القدوة من أهم الطرق والأساليب التربوية المؤثرة في مجال التربية والتعليم؛ وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية، ومع فطرة الإنسان، مع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسّدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

ومن خلال محاولة التربية بأسلوب القدوة الحسنة ذلك الأسلوب الناجع، الذي يتربّع على قمة الأساليب التربويّة المؤثرة، حيث يترجم الكلمات إلى مواقف، ويحوّل العبارات إلى سلوكيات وأخلاق، فتربيّ النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة<sup>٣</sup>.

وقد آثر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بقيادة سماحة المفتي أن يجعلها أول الأساليب التربوية الوقائية والأولى بالاتباع؛ إذ لا قيمة لما يأتي بعدها من الأساليب حين تفقد؛ لأننا ننتمي إلى الإسلام، وهذا الانتماء هو الذي شرفنا الله تبارك وتعالى به وسّمّانا به، ورسولنا ﷺ هو إمام الدعاة، وهو القدوة والأسوة والداعية والمعلّم الذي أمر الله تبارك وتعالى باقتفاء نهجه، وأن نقف به في: عبادتنا،

١ القاضي، د/ سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ، ط عالم الكتب، ص ١٧١.

٢ الغامدي، د/ عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر، مدخل إلى التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، الرياض، ص ١٨٤.

٣ التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مرجع سابق، ص ١٩٩، بتصرف.

ودعوتنا، وخلقنا، ومعاملتنا، وجميع أمور حياتنا، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

لذا فإن الدعوة إلى الله تعالى - تعد من: أشرف الأعمال، وأرفع العبادات، وهي أخص خصائص الرسل عليهم السلام، وأبرز مهام الأولياء الأصفياء من عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَحْسَنِ قَوْلَا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>١</sup>، والمربون والدعاة إلى الله هم صفوة مختارة من رجال الأمة؛ إذ يستلزم قيامهم بالتربية والدعوة أن يكونوا نماذج يحتذى بها النشء والناس، وقدوة لهم في كل تصرفاتهم، تبدو عليهم آثار الرسالة التي يعلمونها ويدعون الناس إليها على علم وبصيرة.

وقد أوجب الله على الأمة الإسلامية أن تهيئ من بينها طائفة تقوم بالتعليم والدعوة إلى الإسلام الصحيح، وتهيئة هؤلاء المعلمين والدعاة ليست أمرًا هينًا، بل تحتاج إلى إمكانيات وتوضيحات مستمرة عما كان عند سلف هذه الأمة.

لذا تعد القدوة من أهم الطرق والأساليب التربوية المؤثرة في مجال الدعوة والتعليم؛ وذلك لاتفاقها مع: طبيعة النفس البشرية، ومع فطرة الإنسان، وحاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

وبالنظر لتلك الأساليب نجد أنها: «أساليب تربوية أصيلة ومعاصرة؛ فهي أصيلة لأنها تمتد بجذورها إلى أربعة عشر قرنًا من الزمان أو يزيد، وهي معاصرة؛ لأنها تناسب العصر الحالي وكل عصر.

فما تنادي به التربية المعاصرة من ضرورة تنويع طرق وأساليب التربية والتعليم والتدريس، هو ما قالته وعملت به التربية في الإسلام، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، تلك الأساليب التي عمل بها ودعا إليها المعلم الأول في التربية الإسلامية؛ فكانت هناك القدوة والموعظة الحسنة، وكان هناك الحوار والنقاش، والترغيب والترهيب، وكانت هناك التربية بالقصة، ويضرب الأمثلة، وبالأحداث الجارية، إلى غير ذلك من أساليب تربوية<sup>٢</sup>.

ويمكن للمعلم أو المربي أن يوظف هذه الأساليب الأصيلة المستمدة من القرآن والسنة في دروسه النظرية وممارساته العملية وفي جميع المواقف التربوية<sup>٣</sup>.

ويأتي شرف الأسلوب من سمو الهدف وهو تربية النشء والدعوة إلى الله عز وجل؛ فمن ضوابط هذه الأساليب: «أن تكون طرائق وكيفيات شرعية مستمدة من مصادر التربية في الإسلام، بحيث

١ سورة: يوسف، الآية: ١٠٨.

٢ سورة: الأحزاب، الآية: ٢١.

٣ سورة: فصلت، الآية: ٣٣.

٤ أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، أستاذ أصول التربية المساعد كلية التربية بأسوان | عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٢هـ، ص ١٧١.

٥ تعلم وتعليم التربية الإسلامية والاجتماعية، د. أحمد رشيد القادري، د. شاهر ذيب أبو شريح، ط ١، ٢٠٠٥م، ١٤٢٥هـ، ص ٣٣، دار جرير للنشر والتوزيع.

لا يوجد فيها شيء يخالف أمرًا عقديًا، أو حكمًا شرعيًا، أو لا يوافق تعاليم الدين الحنيف، حتى لو حققت هدفًا من أهداف التربية الإسلامية؛ لأن الغاية لا تبرر الوسيلة في ديننا، ولذلك فإن الأسلوب والوسيلة ينبغي أن يكون من جنس الأهداف، التي هي منبثقة أصلاً من مقاصد الدين الإسلامي، وتمثل تطلّعات الأمة الإسلامية، كما يجب على المسلم أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن الإسلام قد استوعب أساليب التربية المثالية التي تسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، وأن ما يُرى في سلوك المسلمين يرجع إلى سوء أخذهم بالتربية الإسلامية، أو عدم معرفتهم بأساليبها».

### الأسس الجوهرية لأساليب التربية في الإسلام:

إن أساليب التربية من: قدوة، وحوار، وقصص، وتربية بالأمثال، وبالترغيب والترهيب إلى غير ذلك من الأساليب، تقوم على أسس جوهرية في معالجة النفس البشرية؛ فمن هذه الأسس لأساليب التربية الإسلامية:

#### ١- مراعاة جانب الوحدة والتكامل في الفطرة الإنسانية :

ويبدو هذه الأساس إذا لاحظنا أن طرق التعلّم وأساليبه في الإسلام تفي بكل احتياجات الفطرة الإنسانية للتعلّم، كما أنها تطابق ما في هذه الفطرة من استعدادات متنوعة للتعلّم، وأن الإسلام يراعي في أساليبه التربوية وحدة النفس الإنسانية: عقلاً وإرادة وعاطفة وحركة وحسًا، كما يراعي تداخل هذه المجالات وتكاملها، ولذا نجد أن أساليب التعلّم في الإسلام متنوّعة تشمل: الحفظ، والفهم، والاعتبار، والتدبر، والرغبة، والرغبة، كما تشمل التعلّم بالممارسة والمحاولة، وترك الأخطاء، وبالاقتران بين العمل والنتيجة، وبين العمل والجزاء، وبالتجربة الحية، وبضرب الأمثال، وبالقدوة المؤثرة، وبالوعظ، والزجر، والثناء، والحضّ، والأمر، والنهي..».

وبذلك نجد أن ما يظهر من هذا الأساس هو: انسجام الأساليب مع الفطرة الإنسانية؛ وذلك لأن الأساليب منها: «ما يلامس قلب المدعو ويحرك عواطفه، ويُعدُّ ركيزة من ركائز المنهج العاطفي كأسلوب الموعظة الحسنة بجميع أشكالها، «ومنها: ما يلامس عقل المدعو، ويحرك فكره، ويدعوه إلى التدبر والاعتبار، ويعدُّ ركيزة من ركائز المنهج العقلي، كأسلوب المجادلة بالحسنى، ومنها: ما يلامس الحسّ البشري، ويدعو إلى المحاكاة والمثابرة، ويُعدُّ ركيزة من ركائز المنهج الحسي، كأسلوب القدوة الحسنة.

فالداعية أو المرثي الحكيم هو الذي يختار الشكل المناسب من أشكال الأساليب المتنوعة للمناهج المتعددة؛ فيلبي في دعوته وتعليمه متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها كما فعل القرآن الكريم، والرسول ﷺ العظيم<sup>٣</sup>.

#### ٢- تنوع أساليب التربية في الإسلام:

١ أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لأوي، ص ١٥٣، دار ابن الجوزي الإحساء ط ٢، ١٤٢٣هـ.  
٢ من أساليب التربية الإسلامية، التربية بالآيات، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ، ص ٢٢.  
٣ المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

إن التنوع في أساليب التربية: له أثره الفعّال في توجيه النفوس وتربية النشء؛ لأن التنوع في الأساليب يراعي أصناف الناس المختلفة، وتبرز أهمية التنوع في: «اختلاف تقبّل الناس للأساليب التربوية، ويعزز أهمية تنوعها؛ فالبعض يعتبر ويتأثر بالقدوة التي يشاهدها، والبعض يتأثر بالأسلوب العاطفي الذي يتضمنه أسلوب الترغيب والترهيب، والبعض لديه معلومات أو أفكار سابقة منحرفة أو غير صحيحة، ولا يجدي فيه إلا الأسلوب الحوارى الذي يجليّ ويصحّح ما لديه من أوهام وشبهه».

### ٣- استهداف التأثير في الشخصية وتربية السلوك:

الملاحظ لأساليب التربية في الإسلام يرى: أنها تستهدف التأثير بالإنسان وتربية سلوكه تدريجيًّا؛ فالغاية من الأساليب التربوية هو: «التأثير في السلوك البشري العملي حتى ترجع البشرية إلى ربها وإلى منهجه الذي أراد لها، وإلى الحياة الرفيعة الكريمة التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان، والتي تحققت في فترة من فترات التاريخ».

من ثم نقوم بتدريب المعلمين من خلال حزم تدريبية متعددة على كيفية دراسة الطبيعة الإنسانية وفق التربية في الإسلام، حيث تجعل المربي يبحث عن أفضل الأساليب التربوية في تربية الأفراد، وجعلهم بتوفيق الله عز وجل يسيرون مع الغاية التي وجدوا من أجلها.

كما أن معرفة المربي بطبيعة الإنسان بمثابة الدخول في قلب الإنسان، ومن الأهمية بمكان الدخول إلى ذات الإنسان ومعرفة أسرارها؛ لإمكان توجيهه إلى حيث يُراد أن يتجه إليه، وذلك كله لا يمكن إلا عن طريق معرفة حقائق هذه الطبيعة، إذ لا يمكن التحكم في الشيء وتسخيره إلا بعد إلمام بما في ذلك الشيء من الحقائق والخصائص والقوانين والضوابط التي يخضع لها<sup>٣</sup>.

وحتى تنجح التربية وتتحقق لا بد أن يتصف المربي والداعية إلى الخير بصفات تمكّنه من التأثير في الآخرين والارتقاء بسلوكهم؛ فالمربي هو الذي يحول هذا الإنسان إلى إنسان ذي مواصفات معينة، ويوجّهه حسب وظيفة هذه التربية وحسب تصوّر هذه التربية لوظيفة الإنسان في هذه الحياة<sup>٤</sup>.

ومن أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها المربي وتُعدّ معيارًا من معايير اختياره لدينا: الإخلاص، والعلم، والصدق، والتواضع، والحلم، والكرم.

الأهداف التربوية التي نتطلّع لتحقيقها بشكل عام:

إخراج منتج من الطلاب متعلم ومثقف، متسلح بأحدث العلوم والمعارف، مع ارتباط تام بالمبادئ والقيم الدينية الأصيلة التي حثنا عليها الشرع الحنيف؛ فالأهداف دائمًا هي نقطة البداية لأي عمل سواء كان هذا العمل في إطار النظام التربوي أو أي نظام آخر، فهي تعد بمثابة القائد والموجه لكافة الأعمال، حيث إن من أهم عوامل فشل المناهج التربوية في بلاد المسلمين هو: عدم

١ أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص ٣٧٦.

٢ التربية بالآيات، النحلاوي، مرجع سابق، ص ٢٥.

٣ التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، أ.د. مقداد بالجن، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٨ هـ، ص ٨.

٤ المرجع السابق نفسه، ص ٧.

تحديد أهدافها تحديداً يتسق مع الإنسان من حيث: مصدر خلقه، ومركزه في الكون، ووظيفته في الحياة، وغاية وجوده.

كما تُعدّ الأهداف التربوية أول خطوة في منظومة المنهج؛ فهي التي تعين التربويين على وضع الخطط التعليمية، واختيار الخبرات والأنشطة التعليمية المناسبة، وتفيد في القيام بالتقويم المناسب، والذي يساعد على تعديل الأهداف نفسها، وتعد من أهم ما يمكن أن يميز المنهج المدرسي؛ لأننا عن طريقها نستطيع تحديد المحتوى المعرفي بشكل يتناسب مع مستوى وقدرات كل متعلم على حدة، ويعرف الهدف أيضًا على أنه سلوك إيجابي يتوقع أن يكتسبه الطالب أو الطالبة نتيجة تفاعله مع موقف ما وتأثره بعناصره، كما يمكننا من خلالها تحديد الطرق والأساليب التي يجدر استخدامها لتدريس المنهج المدرسي حسب المرحلة التعليمية، والوسائل المناسبة للمحتوى، ويمكن إبراز الدور الهام للأهداف التربوية على النحو التالي:

\* تساعد الأهداف التربوية على تنسيق وتنظيم وتوجيه العمل؛ لتحقيق الغايات الكبرى، ولبناء الإنسان المتكامل عقليًا ومهاريًا ووجدانيًا في المجالات المختلفة.

\* تؤدي الأهداف التربوية دورًا بارزًا في تطوير السياسة التعليمية، وتوجيه العمل التربوي لأي مجتمع.

\* يساعد تحديد الأهداف التربوية في التنفيذ الجيد للمنهج من حيث: تنظيم طرق التدريس، وأساليبها، وتنظيم وتصميم وسائل وأساليب مختلفة للتقويم.

هذا وقد حمل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بكمبوديا على كاهله أمانة التطوير والتخطيط والتربية وفق منهج دراسي وسطي معتمد من وزارة التعليم الماليزية، وتحت عباءة وإشراف الأزهر الشريف، في مختلف مراحل التعليم عدا المرحلة الابتدائية، حيث حرص المجلس على أن تكون هذه المرحلة الفارقة عبر منهج دراسي يتواءم ومنهج الإسلام الوسطي من جهة وعادات وقيم المجتمع الآسيوي الطيبة، حيث لا يخفى على أحد أن عادات كل مجتمع تختلف عن الآخر حسب التنشئة؛ فقام المجلس ومجموعة من النخبة بإعداد هذا المنهج الدراسي الوسطي المستقل؛ ليتوافق مع أهدافهم التربوية ووسطية الدين وعادات المجتمع.

أما المرحلة المتوسطة فكان منهجها الدراسي وفق المنهج الأزهرى بإشراف ومتابعة ماليزية، حيث يحصل الطالب بعد انتهاء هذه المرحلة على الشهادة الثانوية المتوسطة من المؤسسة الإسلامية بكلنتان ماليزيا، ينتقل الطالب بعد اجتيازه المرحلة المتوسطة إلى المرحلة الثانوية (STAM) بمنهج دراسي ماليزي، يحصل بعدها الطالب الذي يجتاز الاختبار على الشهادة الثانوية من الوزارة التعليمية الماليزية.

ونظرًا للأحوال الاقتصادية السيئة لمسلمي كمبوديا يصبح الطالب الحاصل على الشهادة الثانوية بين خيارين أحلاهما مرًّا، الأول: أن يكمل الشهادة الجامعية من خلال منحة دراسية من الأزهر

أو غيره من الجامعات الإسلامية ولا تصل هذه المنح إلا لعدد قليل لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة؛ لضيق ذات اليد فلا يملك الطلاب نفقات الدراسة في الجامعات التي يرغبونها، والأمر الثاني: أن تنتهي الحياة التعليمية للطلاب الذي لم يحصل على المنحة الدراسية فلا يجد غير الزراعة أو صيد الأسماك عوضاً عن التعليم.

من ثم نطمح إلى إكمال جميع الطلاب تعليمهم دون جهد أو عناء، وذلك من خلال بناء بعض الكليات بجهود المتبرعين وأهل الخير في الدول الإسلامية على أن تكون تحت إشراف الأزهر الشريف المعروف بوسطيته واعتداله، كما نتمنى أن يأتي اليوم الذي يحصل فيه طلابنا وطالباتنا على الشهادات العلمية باعتماد كمبودي معترف به دولياً وعالمياً، ولا يمكن تحقيق هذا إلا من خلال انتعاش اقتصاد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية المشرف العام والوحيد على التعليم الإسلامي بكمبوديا.

### الخاتمة

الحمد لله الذي فضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا ما تم تقييده حول (التربية الإسلامية بمملكة كمبوديا)، وهو موضوع في غاية الأهمية حيث غفل المسلمون في شتى البقاع عن إخوانهم في كمبوديا الذين يعيشون على الكفاف ولا يجدون يد العون إلا من خلال بعض الأطعمة من المتبرعين؛ فتمتلئ البطون دون العقول والتي يتمثل غذاءها في العلم الذي يحتاج الكثير ولكن هيئات بيننا وبين تحقيق ما نربو إليه، من ثم احتاج الأمر هنا إلى إيضاح وسائل التربية بكمبوديا رغم انعدام الإمكانيات، وما بذل في هذا البحث قليل من كثير، وإلا فالوقت لا يسعف في الخوض في بحر خضم متنوع معه مآسي الشعب الكمبودي المسلم.

وما كان في هذا البحث من صواب فبتوفيق من الكريم المنان، وما كان فيه من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، وأسأل الله جل في علاه أن يجعله خالصاً لوجهه، مقبولاً عند خلقه، وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يكون في موازين الحسنات يوم نلقى ربنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

جهود العلماء في نشر الوسطية والاعتدال قديما وحديثا  
وجهود العلماء الملايويين خاصة

داتوء وان زاهدي بن وان تيه

المفتي السابق للولاية الفدرالية الماليزية

ورقة عمل مقدمة في

المؤتمر الدولي الإسلامي الدوري السنوي حول «الاعتدال والوسطية في الإسلام»

٣ و٤ كانون الأول ديسمبر ٢٠١٧

مدينة سدنبي- أستراليا



الحمد لله رب العلمين حمداً يوافي نعمه، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد طه الأمين، وعلى أزواجه وآل بيته وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، القائل في محكم كتابه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ صدق الله العظيم.

وبعد، فإنه قد كثر في هذا العصر الكلام عن الوسطية والتوسط ومنهج الاعتدال، فكتب عن ذلك الكثير وعقدت له مؤتمرات، وصار كثر من الناس يرفعون عنوان الوسطية كشعار لهم، وآخرون يعتبرونه منهجاً للحياة، وصار كثير من الجماعات والتيارات الفكرية والعقدية يحرصون على الظهور باسم التوسط والاعتدال.

لا شك أن كثرة الكلام في هذا الموضوع كان له أسباب متعددة، إلا أن كل فريق تكلم فيه بحسب ما يراه موافقاً لمنهجه واعتقاده، ولهذا فإننا نجد عند البحث عن الوسطية الكثير من الآراء المختلفة والمفاهيم المتباينة، وقد أثر هذا الأمر في وقوع بعض الناس في اللبس والخلط، بل ونشر مقالات وكتب باسم الوسطية إلا أنها في الحقيقة فارغة عن معنى التوسط، وجل ما فيها آراء جماعة معينة غطيت بكلمة «التوسط».

ولقد عرفت الطريقة العلمية التي درج علماؤنا الكبار وأئمة الإسلام على استعمالها في تعليم العلم وتعلمه ب «طريقة التلقي»، وهي الطريقة التي انتشرت من خلالها المفاهيم الصحيحة للوسطية والاعتدال. وهذه الطريقة تكون بأن يأخذ الطالب العلم رواية وشرحاً وتفهماً عبر السماع من فم العالم الذي سمع عن من قبله بالإسناد المتصل إلى رسول الله ﷺ. وهذه الطريقة هي التي درج عليها السلف والخلف في تلقي العلم، كما تلقى إمامنا الشافعي رضي الله عنه علمه عن مسلم بن خالد ومالك بن أنس وأصحاب أبي حنيفة وغيرهم، وهي الطريقة التي اعتمدها المؤسسات التعليمية القديمة لأهل السنة والجماعة على مر العصور كالأزهر، والزيتونة، والقرويين، والنظامية وغيرها.

### مشكلة البحث

إن طريقة التلقي التي درج عليها علماء السلف والخلف في تلقي العلوم الإسلامية والتي هي الطريقة الصحيحة التي انتشر بها علم أهل السنة والجماعة عبر التاريخ، كانت أحد العوامل الكبيرة التي ساهمت في نشر الوسطية والاعتدال بين أبناء الأمة الإسلامية، حيث كانت أحد أهم الأمور التي استعملها العلماء لمكافحة انتشار الأفكار المتطرفة والعقائد الفاسدة بين أبناء الأمة الإسلامية، كما أنه كان لها دور كبير في المحافظة على علوم التراث الإسلامي ونقلها من جيل إلى جيل. إن هذه الطريقة تواجه تحديات كثيرة في هذا العصر من قبل المتطرفين الذين يريدون التخلص من هذه الطريقة بغية فتح المجال لأنفسهم لبث أفكار جديدة متطرفة وعقائد باطلة تخالف ما كان عليه

سلف الأمة وخلفها، كما أن الحاقدين على تراثنا الإسلامي يريدون أيضا القضاء على طريقة التلقي بغية التخلص من نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة وهدم الشريعة الإسلامية.

### منهج البحث

يستعين الباحث بالمنهج التالية:

\* المنهج الاستقرائي: وذلك بتصفح المصادر والمراجع بحثا عن المعلومات ذات الصلة بالموضوع فيما يتوفر له من الكتب.

\* المنهج التحليلي: ويعمد الباحث إلى مداولة تلك المعلومات المستخرجة من مصادرها بهدف الوقوف على عناصرها ودواخلها بغية تنزيلها في مواقعها.

\* المنهج النقدي: وذلك بمراجعة تلك المعلومات المستخرجة من مواردها، بغرض التأكد من صحة العناصر وسلامة الدواخل في اندراجها في مدارها.

## المبحث الأول: مفهوم الوسطية

المطلب الأول: معنى الوسطية لغة واصطلاحاً

جاءت لفظة «وسط» في اللغة لمعانٍ متعددة منها:

١- تأتي اسماً لما بين طرفي الشيء وهو منه فنقول: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدار.<sup>١</sup>

٢- تأتي صفة بمعنى خيار وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي: خيار.

٣- وتأتي وسط: بمعنى عدل، جاء في لسان العرب: «ووسط الشيء وأوسطه أعدله»<sup>٢</sup>. وفي القاموس: «الوسط: محرّكة من كل شيء أعدله»<sup>٣</sup>، وكذلك قال الجوهري: «في الصحاح»<sup>٤</sup>.

٤- وتأتي وسط: بمعنى: الشيء بين الجيد والردىء، قال الجوهري: «ويقال أيضاً شيء وسط: أي بين الجيد والردىء»<sup>٥</sup>.

وقال صاحب المصباح المنير: «الوسط بالتحريك، المعتدل يقال شيء وسط أي: بين الجيد والردىء»<sup>٦</sup>.

مما تقدم يتضح لنا أنّ هذه اللفظة تدل على معانٍ متقاربة: «الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف وأعدل الشيء وأوسطه ووسطه»<sup>٧</sup>.

أما الوسطية اصطلاحاً فقد اختلفت الآراء فيها وتعددت تعريفاتها بحسب وجهة من يعرفها كما سيظهر مما يأتي إن شاء الله تعالى، إلا أن مما لا شك فيه أن الوسطية الصحيحة بالنسبة للمسلمين هي اتباع ما جاء به النبي ﷺ قولاً وفعلاً واعتقاداً، لأن النبي ﷺ ما جاء بدين التطرف والغلو، ولا بدين يدعو إلى القتل بغير حق، ولا بدين الظلم، بل قد جاء نبينا محمد بالإسلام، الذي يدعو إلى البر والعدل والإحسان والتوسط والاعتدال والرحمة.

## المطلب الثاني: الوسطية من القرآن والحديث

إن مما يهم الباحث في ما يكتبه هو إظهار معنى الوسطية الصحيح بالنسبة للمسلمين، والمسلمون يزنون أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم بالقرآن والسنة النبوية، ولهذا كان مهماً أن نبحت في مفهوم الوسطية من خلال ما ورد في القرآن والحديث.

١ محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط ١، د.ت) ج ٧ ص ٤٢٦.

٢ المصدر السابق ج ٧ ص ٤٣٠.

٣ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الطاء، فصل الواو: ص ٨٩٣.

٤ هو إساعيل بن حماد الجوهري الفارابي إمام العربية كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً له مصنّفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة واعترته في آخر حياته وسوسة فصعد إلى سطح جامع نيسابور وعمل لنفسه جناحين وحاول الطيران فسقط ميتاً، وقد كانت وفاته سنة (٩٨هـ). انظر: ياقوت معجم الأدباء (١٥١/٦).

٥ إساعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، (بيروت: دار العلم للملايين ط ٤، ١٩٩٠م) ج ٤ ص ٣٠٤.

٦ المصدر السابق ج ٣ ص ١١٦٧.

٧ أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (بيروت: المكتبة العصرية د.ط، د.ن) ص ٣٣٩.

٨ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة (بيروت: دار الفكر د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). كتاب الواو، باب (الواو والسين)؛ ج ٦ ص ١٠٨.

أما القرآن فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>١</sup>.

فقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن هذه الأمة هي «أمة وسط»، وأنها ستكون شاهدة على غيرها من الأمم يوم القيامة، ومن المعلوم أن هذه الأمة هي أفضل أمة وخير أمة، ولكن لفهم معنى كونها وسطا سيعرض الباحث بعض أقوال علما التفسير المعتبرين في تفسير ذلك.

وقد أشار الطبري في تفسير معنى «وسطا» أن الله تعالى إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه ولا هم أهل تقصير ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها<sup>٢</sup>.

وقال القرطبي: «المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمةً وسطاً؛ أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم. والوسط: العَدْل؛ وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها»<sup>٣</sup>.

وأما الوسطية من الحديث النبوي الشريف، فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قال: «عَدْلًا». قال: هذا حديث حسن صحيح<sup>٤</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خيّر رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها»<sup>٥</sup>.

فيتلخص مما ذكرناه أن مفهوم الوسطية من القرآن والحديث هو أن يتبع الشخص ما جاء به النبي ﷺ، من غير غلو ولا تقصير، ويتضمن لزوم الاعتدال ومجانبة الظلم، واختيار الأيسر بين الأمور ما لم يكن إثماً.

### المطلب الثالث: أسباب اختلاف الآراء في تفسير الوسطية

كما سبق وبين الباحث أن موضوع الوسطية قد تكلم فيه الكثير من الكتاب والمفكرين والمشهورين، وقد أجاد بعضهم وأخفق البعض الآخر في بيان حقيقة الوسطية، ولا يمكن في بحث بحجم هذا البحث أن تستوعب كل تلك الآراء في المناقشة والتحليل، ولذلك فإن الباحث سيذكر أسباب تعدد الآراء من غير الخوض في تفصيل كل رأي.

١ (سورة البقرة / الآية ١٤٣).  
٢ محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٠م)، ج ٢ ص ٥.  
٣ محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، د.ت)، ج ٢ ص ١٥٣.  
٤ أخرجه الترمذي في السنن، باب: ومن سورة البقرة، رقم الحديث (٣٠٤٨)، (بيروت: دارالكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٤)، ج ٨ ص ٢٥٠.  
٥ أخرجه البخاري في صحيحه: باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٤٨٤)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج ٣ ص ١٣٠٥.

إن من أبرز الأسباب في اخلاف آراء الناس واتجاه البعض إلى إعطاء تفاسير غير صحيحة عن معنى الوسطة:

\* اختلاف معتقدات وأفكار من فسر الوسطية، مما أثر على فهمهم لمعنى الوسطية بطريقة تناصر مذهب ورأي كل واحد منهم، إلى درجة أننا بتنا نرى من يزعم أنه متوسط ومعتدل وفي نفس الوقت يكفر كل الناس تكفيرا شموليا، زاعما أنهم كفار مباحو الدم والمال بسبب أنهم يحتفلون بمولد الرسول ﷺ، أو بسبب أنهم يتوسلون برسول الله ﷺ.

\* محاولات التستر والغش والتلبيس من بعض الفرق المتطرفة، بهدف ذر الرماد في العيون وتغطية المعتقدات الخطيرة التي ينشرونها بين أتباعهم، حيث إننا بتنا نجد بعض المستترين بعنوان الوسطية هم أنفسهم قد حكموا على كل الرؤساء والحكام في البلاد الإسلامية و على شعوبهم بأنهم كفار لأنهم يستعملون القانون الوضعي، حتى قال قائلهم: «ارتدت البشرية بجملتها».

\* جهل البعض بالواقع المعاصر، وما يحيط بالجمع الإسلامي من المخاطر، حيث ذهب البعض إلى طريق المبالغة في التساهل مع الفرق المتطرفة تحت دعوى التسامح معهم والتآخي، ونسوا أن هذه الفرق قد استباحت دماء الناس بالباطل ولا تتوانى عن القتل والتفجير وتخريب البلاد إذا سنحت لها فرصة.

\* التصور الخاطئ لمقومات الوسطية، واللجوء في تفسيرها إلى أفكار ومعتقدات غير مستقيمة ولا تتوافق مع المعتقدات الإسلامية. فنرى أن البعض يظن أن الوسطية هي الحداثة والتطور الاقتصادي والمادي فحسب، وبعضهم يظن أن الوسطية تتناقض مع التطور والقدم التكنولوجي والمعرفي والاقتصادي.

إن الوسطية بمفهومها الإسلامي تشكل منهجا للتقدم والازدهار، كما أنها تساعد في تنشئة الأجيال على الهدى الإسلامي المعتدل النظيف من الشوائب والأكدار، وهي أحد العوامل التي تحافظ على استقرار البلاد وتقدمها أخلاقيا واقتصاديا وعلميا وتكنولوجيا، ولكن كل هذا يتحقق إذا استعملت المفاهيم الصحيحة في تفسير الوسطية، لا بنشر مفاهيم غير صحيحة تحت عنوان الوسطية والاعتدال.

### المبحث الثاني: طريقة التلقي التي نشرت الوسطية في التاريخ الإسلامي

إن التاريخ يثبت أن طريقة تلقي العلوم الإسلامية بأسانيدنا هي الطريقة التي درج عليها علماء أهل السنة والجماعة من أيام الرسول ﷺ وما بعده إلى اليوم، وانتشرت من خلالها مفاهيم الوسطية والاعتدال، وفي هذا البحث سيظهر هذا جليا موثقا.

### المطلب الأول: طريقة التلقي في عصر الرسول ﷺ والصحابة

كان رسول الله ﷺ حريصا على تعليم أصحابه القرآن الكريم الذي يشمل أموراً فقهية واعتقادية وغير ذلك، وكان يقرؤهم إياه ويبين لهم معانيه، وكان أيضا حريصا على تعليمهم السنة من خلال

أقواله وأفعاله وتقريراته المبينة لما أنزل من القرآن، وكانت الأساليب التي علم بها الرسول ﷺ الصحابة متعددة، فكانت هناك مجالس يملئ فيها عليهم القرآن ويكتبه كتبة الوحي، ومجالس يقرؤهم فيها القرآن، فعن الشعبي قال: «قرأ القرآن في عهد النبي ﷺ أبي، ومعاذ، وزيد، وأبو زيد، وأبو الدرداء، وسعيد بن عبيد»، وكان في مجالس يبين لهم الواجبات والمحرمات والأخلاق الإسلامية، كما كان أيضا يعلمهم من خلال الإجابات على أسئلتهم، ونهيهم عن بعض الأمور وتقريرهم على أخرى، ومن خلال أفعاله كتطبيق الواجبات أمامهم، من الصلاة والحج وغير ذلك. كما أنه علمهم طرق الاجتهاد ونبههم على العلل في القياس من خلال طرق وأساليب الشرح التي كان يستعملها ﷺ.

أما الكتاب الذي كان يتعلمه الصحابة من رسول الله ﷺ فكان القرآن العظيم، وقد نزل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة، ولم يكن رسول الله ﷺ يكتب القرآن بنفسه، ولكن كان هناك كتبة الوحي من الصحابة كزيد بن ثابت وغيره من الذين يكتبون ما ينزل من القرآن في الجلود والرقاع والأحجار العريضة، وكان من الصحابة من يحفظ القرآن في صدره، وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ كله عند الصحابة في الصدور والرقاع وغيرها، إلا أنه لم يكن مجموعا كله في مصحف واحد، وإنما حصل ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

### أماكن التلقي

أما أماكن التعليم، فكانت متعددة وغير محصورة بمكان معين، ولكن لا يعني هذا أنه لم يكن هناك مركز أساسي لعقد المجالس العلمية، بل قد اتخذ ﷺ في مكة دارا لتعليم الصحابة، وهو دار بني الأرقم، فكان مركزا تعليميا ودعويا، فكان يجتمع الرسول ﷺ فيه مع الصحابة فيعلمهم القرآن والأحكام ويتابع معهم الأمور الدعوية. وأما في المدينة فكان مسجده ﷺ مركزا لتعليم الصحابة والوافدين من أماكن بعيدة للقائه والتعلم منه ﷺ، فكانت تعقد فيه المجالس العلمية، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح انصرف إلى موضع الأستوانة المسماة اليوم بأستوانة التوبة، وحلق الصحابة حوله حلقا بعضها أضيقت من بعض، وعلمهم ما نزل عليه من القرآن ليلته، ويحتم إلى طلوع الشمس، وقد كثر عدد من يحضر تلك المجالس في المسجد، حتى أمروا أن يتفصحوا في المجالس بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة المجادلة).

فالخلاصة أنه في زمن النبي ﷺ كان المعلم للعلوم الفقهية هو قائد الأمة رسول الله ﷺ محمد ﷺ، وكان المتفقهة هم الصحابة رضوان الله عليهم، وكان ما يتعلمونه هو القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكانوا يحفظونه إما في صدورهم وإما يكتبونه في الرقاع ونحوها، وكانت أماكن التعليم متعددة، والأوقات كذلك.

### زمن الصحابة والخلفاء الأربعة من سنة ١١ إلى ٤٠ هـ

ولم تختلف طريقة تعليم وتعلم العلوم الفقهية في زمن الصحابة الكرام، بل كانوا يعلمون ما سمعوه من النبي ﷺ من القرآن والسنة، لكنهم انتشروا في البلاد وصار لهم أتباع.

وبقي الحال على هذا في خلافة عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم بالنسبة للقرآن والسنة، ولم يكن هناك كتب فقه بالمعنى المعروف عندنا اليوم، فكان الصحابة يعلمون الناس القرآن من بعض ما كتبوه ومن حفظهم، ويعلمونهم ما حفظوه من السنة وكان لبعضهم بعض الصحف التي جمع فيها شيئاً من السنة كما مر، لكن الأكثر كان محفوظاً في الصدور، كما ظهرت في ذلك العصر اجتهادات وفتاوى للصحابة فيما لم يجدوا حكمه في القرآن والسنة، وكانت هذه الفتاوى تنتشر عند أتباعهم في الأمصار المختلفة التي فتحوها وانتقلوا إليها، إلا أنها لم تكن مقيدة في كتب خاصة محفوظة كما حصل لفقه المذاهب الأربعة.

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه فعل عثمان نسخاً من المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه وأرسلها إلى الأمصار خوفاً من اختلاف الناس في القرآن وتحريفه.

أما في خلافة علي رضي الله عنه فقد ظهر جلياً أن بعض العلوم التي لم يكن الصحابة يحتاجون إلى تدوينها وتعلمها كعلوم اللغة العربية التي كانت عندهم بالسليقة، صار هناك حاجة لتدوين قواعدها وتعليمها لبعض أبناء العرب الذين دخلهم اللحن في لغتهم بسبب اختلاطهم بالعجم، وأيضاً لأهل الأمصار التي فتحها الصحابة ولا يعرف أهلها اللغة العربية، وقد اشتهر أنه قد أمر سيدنا علي أبا الأسود الدؤلي بكتابة قواعد في علم النحو ففعل، ثم إن تراجع مستوى اللغة العربية على مر العصور بعد ذلك، أدى إلى الحاجة لتدوين علوم اللغة العربية وغيرها مما يتعلق بها.

وإلى هذا العصر لم يكن هناك ظهور لما يعرف بالمدرسة الدينية على النحو الذي حصل في ما بعد، بل بقيت أماكن التدريس المساجد والبيوت وغيرها من الأماكن المختلفة التي لم تخصص لغرض التعليم فقط.

ومن أهم الملاحظات التي ينبغي الإضاءة عليها في هذا العصر أن علم الفقهاء كان في جله مضبوطاً في الصدر، فكان الاعتماد أكثر على الضبط الصدري الذي له ما له من المزايا الكثيرة على الضبط الكتابي، فإن من أهم مزايا الضبط الصدري مساعدة الفقيه على الفهم العميق للنصوص والأدلة الذي يحتاج إليه المجتهد لإصدار الفتاوى، كما أنه يساعد على مقارنة الأدلة بسهولة لمعرفة إن كان هناك مخصص لعموم الدليل الذي يستعمله أو مقيد لمطلقه أو مبين لمجمله، وهذا لا يتمكن منه من لا يحفظ العلم في صدره، فلم يكن يجري على أغلبهم مقولة «ويح قوم إذا ضاعت كتبهم ضاعت عقولهم» كما جرت على كثير ممن أتوا بعدهم.

## المطلب الثاني: تعليم علوم الفقه في عصر الأمويين والعباسيين

١ البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٨٣، رقم الحديث: ٤٩٨٧.  
٢ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة (بيروت: المكتبة العصرية والدار النموذجية، ط ٢، ١٩٩٦م)، ص ٥٤٦.

## \* عصر الأمويين

وهو الحقبة الممتدة من سنة ٤١ هجرية إلى ١٣٢ هجرية، وكانت هذه الحقبة من الحقبات المليئة بالأحداث الأليمة في التاريخ الإسلامي بسبب الفتن التي ظهرت فيها، وكثر فيها قتل المسلمين في الحروب التي دارت في تلك الآونة، فانشغل المسلمون بالحروب الداخلية، ولكن هذا لم يمنع من استمرار الحركة العلمية على الرغم من كل الأزمات التي مرت، ففي هذه الحقبة قويت المدرستان الفقهيّتان اللتان أسس لهما فقهاء الصحابة، فمن الملاحظ في هذه الحقبة أنه لمع نجم مدرسة أهل الحديث في الحجاز، وترأسها سعيد ابن المسيب مع أصحابه الذين عرفوا بفقهاء المدينة السبعة وهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد، وخارجة بن زيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود. كما كان هناك أعلام غيرهم من أهل الفقه ومنهم قبيصة بن ذؤيب، وأبان بن عثمان، وغيرهم. وصار الناس يقصدون هؤلاء الفقهاء من كل حدب وصوب لينهلوا من علومهم ويسمعوا العلم تلقيا من أفواههم، وكان مقرهم الأساسي المدينة المنورة. كما ازدهرت أيضا مدرسة أهل الرأي وظهر فيها أعلام على رأسهم إبراهيم النخعي، ومعه عمه الأسود بن يزيد، ومسروق الهمداني، وعبيدة السلماني، وشريح القاضي، وعامر الشعبي، وسعيد بن جبير، والقاسم بن عبد الرحمن، وغيرهم من الفقهاء الذين ازدهرت على أيديهم هذه المدرسة في تلك الحقبة.

أما من حيث المواد العلمية التي كان الفقهاء يدرسونها في ذلك الوقت فإننا لا نجد اختلافا كبيرا عن عصر الصحابة والخلفاء الراشدين، بل كان الأساس هو تعليم القرآن ورواية السنة المطهرة، وزاد على ذلك رواية اجتهادات الصحابة رضوان الله عليهم، إلا أنه من الملاحظ أن طرق الاجتهاد ووسائل الاستنباط صارت منتشرة أكثر ومستعملة بشكل أكبر خاصة عند أهل الرأي.

إن من أهم الأحداث العلمية التي حصلت في عصر الدولة الأموية وكان لها تأثير كبير على عملية التفقيه والتفقه هو بدأ تدوين السنة في كتب مستقلة بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقد روى البخاري أنه كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أحد فقهاء المدينة:- «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا»، ومن حينها بدأت كتب الحديث تظهر بين الناس، وكان الإمام محمد بن شهاب الزهري من أول من استجاب لأمر عمر بن عبد العزيز ومهد الطريق لمن بعده من المصنفين في الأمصار المختلفة، كابن جريج، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن إسحاق، وسعيد بن أبي عروة، وسفيان الثوري وغيرهم.

## \* عصر العباسيين

١ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٥٧ وما بعدها.  
٢ البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣١.



إن العصر العباسي الذي امتد من سنة ١٣٢ هجرية حين نجحت الجمعية السرية التي كان هدفها تحويل الخلافة من بني أمية إلى بني العباس بن عبد المطلب بتحقيق ما أرادت، إلى ٦٥٦ هجرية حيث انتهت الدولة العباسية بعصرها المعروفين بعصر القوة الذي انتهى سنة ٣٣٤هـ، وعصر الضعف الذي امتد إلى ٦٥٦هـ، يعد هو عصر الازدهار العلمي، ليس في العلوم الشرعية فحسب، بل على مختلف الصعد العلمية بمختلف أنواعها من طب وهندسة وحساب وفلك وغير ذلك مما كان يدرس أيضا بأسلوب التلقي.

نجد في هذا الزمان أن أئمة الفقه الأعلام هم الذين كانوا في صدارة الفقهاء والعلماء، فإن من أهم الأمور البارزة واللامعة في هذا الجانب من العصر العباسي هو انطلاق المذاهب الأربعة على يد أئمة الفقه الأربعة الذين ذاع صيتهم، وملأت علومهم طباق الأرض علما، وهو حدث علمي كبير في تاريخ العلوم الفقهية، حيث أرسى هؤلاء العلماء دعائم متينة للفقه الإسلامي، لا يزال المسلمون إلى اليوم يعتمدون عليها، هذا بالإضافة إلى أئمة آخرين في هذا الزمان حازوا بكل جدارة لقب المجتهد المطلق، فنجد من أول الدولة العباسية إلى منتصف القرن الرابع الهجري ما لا يقل عن اثنا عشر مجتهدا مطلقا قلدت مذاهبهم وانتشرت في الآفاق.

#### \* ظهور مدارس التلقي في زمن الدولة العباسية

أنشأت في زمن الدولة العباسية المدارس الدينية، وكانت أوائل المدارس التي أنشأت فردية من قبل العالم الذي يدرس فيها، وكانت تلك المدارس تعتمد غالبا مذهبها فقهيا واحدا تعمل على نشره. وأما أول مدرسة دينية حكومية كبيرة منظمة أنشأت فهي المدرسة النظامية التي كان مستواها في العلم مستوى الدراسات العليا، وكان هناك نوع من الأفكار المتراكمة من نماذج المدارس الفردية التي أنشأت قبل ذلك، ولهذا كان هناك نقلة نوعية في زمن الخلافة العباسية في هذا المجال، مما أثر بشكل جيد على مسار العملية التعليمية ككل، مع الإشارة إلى أن الجامع الأزهر وإن كان إنشأؤه من قبل الدولة الفاطمية قبل إنشاء النظامية، إلا أنه في ذلك الوقت كان جامعا تقام فيه الحلقات ولم يكن في ذلك جديد، حيث إن الحلقات العلمية منذ أيام النبي ﷺ كانت تقام في المسجد، وأما النظامية فكانت مدرسة لها نظام أساتذة وطلاب وقوانين.

بعد انتصار السلاجقة على البوهيين ودخولهم بغداد في ٢٥ محرم عام ٤٤٧هـ، أراد السلاجقة المواليون للدولة العباسية نشر علوم أهل السنة الأشاعرة الشافعية في البلاد التي استردوها من البويهيين، وبهدف تخريج علماء يحمون مذهب أهل السنة والجماعة من الهجمات التي يتعرض له من المعتزلة والمجسمة وغيرهم، فأسس الوزير السلجوقي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٧هـ، وتم بناؤها سنة ٤٥٩هـ، ولم يقتصر نظام الملك على هذه المدرسة بل نشر المدارس في بلاد المسلمين، كبلخ، ونيسابور، وهراة، وأصفهان، والبصرة، ومرو، وآمل، والموصل، وعرفت هذه المدارس بالمدارس النظامية نسبة إليه، وكان الغرض الأساس من إنشاء هذه المدارس هو نشر علوم أهل السنة والجماعة ومنها علوم الفقه، وكان يختار المدرسين فيها بدقة عالية حيث كان يختبرهم بنفسه، فإذا وجد عالما متبحرا بنى له مدرسة وأمره بالتدريس

بها، كما حصل مع إمام الحرمين الذي بنى له نظام الملك نظامية نيسابور ليدرس بها.

يمكن أن نعتبر النظامية نموذجاً للوضع القائم في تلك الحقبة في المدارس الدينية لمعرفة كيفية الدراسة في تلك الحقبة، فبالإضافة إلى المبنى الرائع والخدمات الممتازة للطلبة والتي لا حاجة للدخول في تفاصيلها هنا، قام على التدريس في تلك المدرسة أئمة كبار من أعلام الأمة الإسلامية.

\* معلمو النظامية

كان المعلمون فيها على ثلاث طبقات:

١. المدرسون: وهؤلاء المدرسون كانوا من المشاهير، ومنهم الإمام أبو إسحاق الشيرازي الشافعي الذي كان أول مدرس بنظامية بغداد، والإمام أبو حامد الغزالي الذي درس بها أربع سنوات وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة عمامة من أكابر العلماء، وإلكيا الهراسي، وأبو بكر الشاشي، وأبو نصر الصباغ، وأبو القاسم الدبوسي، والسهروردي، وابن الجوزي، وابن جبير، وآخرون، وكان لكل واحد من المدرسين نائبان.

٢. المعيدون: وهم الذين يعيدون الدرس: وكان المعيد من أهل العلم الذين تمكنوا في المادة التي يعلمها المدرس، ومن أشهر الأسماء التي كانت في ذلك المنصب مدة من الزمن الفقيه الشافعي محمد السلماني (ت ٥٧٤هـ)، وابن رافع الأسدي المعروف بابن شداد (ت ٦٣٢هـ) وغيرهما.

٣. الوعاظ: وهم علماء كانوا يقيمون مجالس الوعظ لتهديب الطلبة وتربية نفوسهم، ولم يقع الباحث على اسم واحد منهم فيما توفر بين يديه من الكتب.

\* أساليب التعليم والكتاب المدرسي في النظامية

كان نظام الحلقات هو الأسلوب المتبع في التدريس بالمدرسة النظامية، فكان الأستاذ يجلس على كرسي منخفض، ويحيط به الدارسون وهم جلوس على الأرض، وكان الطالب يجلس القرفصاء أثناء التدريس، مستخدماً ركبته كرسيًا للكتابة، ويحمل أوراقه بيده اليسرى، بينما يستخدم يده اليمنى للكتابة وغمس القلم في الدواة. وكانت دفاتر الطالب التي يدون عليها الدروس هي الكتاب الدراسي، وكان هناك كتب تضم مجموعة محاضرات للفقيه كان قد أملاها سابقاً، فيستنسخها الطلاب ويحفظونها، مع لفت الانتباه إلى أن من كانوا يقومون بالإملاء هم الأئمة الكبار، ويذكر أن إمام الحرمين قد أملى نهاية المطلب في النظامية، وكان قد أملاه على الخواص من تلاميذه، قام بحفل عند ختام الكتاب حضره أعيان الدولة والعلماء والوجهاء.

أما المواد العلمية التي كانت تدرس فكانت بتوجيه من الدولة وعلى الخصوص نظام الملك، فكان هناك مادتان أساسيتان: العقيدة على مذهب أبي الحسن الأشعري، والفقه وأصوله على مذهب الإمام الشافعي، وكان تدريس المذهب الشافعي من شروط الوقف، بالإضافة إلى مواد أخرى هي: الحديث،

١ عز الدين علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج ٨، ص ٥٨٦.  
٢ سعيد نفيسي، «المدرسة النظامية في بغداد»، مقال في مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد: مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٤م)، ج ١، المجلد ٣.

والنحو، وكان من شروط الواقف أن يكون في المدرسة نحوي يعلم بها، والأدب.

أما بالنسبة لتدرج الطالب في المراحل التعليمية ونظام حضور المحاضرات، فمع الإشارة إلى أن النظامية كانت مؤسسة للدراسات العليا، لم تكن مدة الدراسة محددة بمدة زمنية، بل كان النظام فيها يعتمد على إنهاء الكتب التي يملئها الفقيه ومستوى ذلك الكتاب، ويمكن الطالب ما يشاء من السنوات، وكان يترقى بحسب مؤهلاته، فيبدأ بلقب طالب أو تلميذ، ثم يصير في درجة عالية من المعرفة يقال له مثقف، ثم فقيه، فإذا أكمل دراسة منهاجه وبقي ملازماً لشيخه سمي بالصاحب، وقد يعتمد عليه الأستاذ في هذه الحالة ليكون معيدا لدروسه، وكانت الشهادة هي الإجازة التي يطلبها المتفقه من شيخه عند إتمام الدراسة، وكان من شرطها الاستماع إلى المحاضرات ليكون التلقي حاصلًا، وقد يكون للمتخرج أكثر من إجازة من عدة مشايخ.

### المطلب الثالث: تعليم علوم التلقي في جامعة الأزهر قديماً

لم تنتشر المدارس في مصر إلا بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام دولة الأيوبيين، فلم يكن إنشاء الأزهر أول ما أنشأ على نحو ما آل إليه بعد ذلك وعرف به، بل كان الأزهر الذي أنشأته الدولة الفاطمية على يد جوهر الصقلي، حيث فرغ من بنائه سنة ٣٦١هـ، وكان الغرض من الجامع الأزهر في البداية هو نشر مذهب الدولة الفاطمية في مصر، وكان هذا شأن الدول التي جاءت قبل ذلك الوقت، حيث أنشأ الأمويون جامعاً في الفسطاط التي كانت مركزهم في مصر، وأنشأ بعدهم العباسيون جامعاً في مدينة العسكر التي كانت مركزهم، إلا أن الغرض الأساس من الأزهر عند إنشائه كان التمكين لمذهب الدولة الفاطمية الشيعية في مصر ليسهل حكمها.

بعد سقوط الدولة الفاطمية وتولي السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي على مصر، قطع الموارد عن الأزهر وسعى في إغلاقه ولم تعد تقام فيه الجمعة بل نقلت إلى جامع آخر، وكان الهدف من ذلك هو إيقاف الدعم الفكري للمذهب الشيعي ليتمكن صلاح الدين من إعادة تقوية المذهب السني، وبقي الأزهر مغلقاً لنحو قرن حتى جاء المماليك في زمن الظاهر بيبرس فأعاد فتح الأزهر وزاد في بنائه وجعله منذ ذلك الوقت معهداً علمياً على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد بقي الجامع الأزهر على ذلك في زمن العثمانيين الذين اهتموا به وبازدهاره.

لم تكن الدراسة في الأزهر مقتصرة على المواد الشرعية في تلك العصور، بل إن علوم الطب والهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم النافعة كانت تدرس في الأزهر، وكان يتولى تدريسها كبار العلماء، ولم يكن للأزهر شيخ أكبر حتى القرن العاشر الهجري حيث عين الإمام محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي (ت ١١٠١هـ)، وكان يرأس هيئة التدريس في الجامع الأزهر.

١ علي محمد الصلابي، المدارس النظامية في عهد السلاجقة (الشبكة العنكبوتية: www.islamtoday.net، ٢ ذو الحجة ١٤٢٨هـ)، تاريخ التصفح، ١٦-٤-٢٠١٤م.

٢ المرجع السابق نفسه.

٣ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة: المطبعة الأميرية، وزارة الثقافة الإرشاد القومي، د. ط، ١٩٦٣م)، ج ٣، ص ٣٦٠.

٤ خليل حوراني، صفحات من تاريخ الأزهر الشريف تأسيساً، وعلمًا ومقاومة للأجنبي (الشبكة العنكبوتية: موقع الأزهر التعليمي: www.alazhar.gov.eg، تاريخ التصفح: ٢٣-٤-٢٠١٤م).

٥ سعيد عاشور، التعليم العالي في العصور الوسطى، بحث بكتاب الذكرى والتاريخ الصادر بجامعة الكويت (الكويت: جامعة الكويت، د. ط، ١٩٧٨م)، ص ٢٢٨.

## أساليب التعليم في الأزهر إلى سقوط الدولة العثمانية

بعد أن انتقل الأزهر إلى يد الدول السنية من أيوبية ومملوكية وعثمانية، صار تدريس الفقه فيه على المذاهب السنية، وصار لكل مذهب من المذاهب الأربعة أعمدة معينة لا يجلس للتدريس بجانبها غيرهم، ولا يمكن تحديد الكتب التي كانت تدرس تماما على مر العصور، خاصة في نظام الحلقات الذي كان متبعاً، وهو يعتمد في أساسه على قراءة الكتب وختمها على المشايخ الذين يتصدرون للتدريس في مختلف العلوم، إلا أنهم كانوا متمكنين في العلوم ويعينون بمرسوم حكومي بالقباب تدل على مكانتهم العالية، وكان الشيخ يجلس عند سارية من سواري المسجد على منصة صغيرة أو حشوة ويلتف حوله الطلاب، ثم يفتتح مجلسه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي ﷺ والدعاء، ثم يأخذ بشرح الدرس وتوضيح معانيه، وكانت هناك طريقتان لإلقاء الدروس الفقهية والأصولية:

١. الإملاء: أي أن يملئ أحد كبار العلماء المتبحرين في العلوم كتابه على الطلبة وهم يكتبون، ثم يقابلون عليه ما أملاه فيعلق ويصلح، ويسألونه عما غمض معناه، ثم يطالبهم بحفظ الدرس ويسألهم عنه في اليوم التالي ليختبر فهمهم وحفظهم، ويكون ذلك دافعاً لهم على الدراسة والاجتهاد.

٢. الإقراء: وهو أن يختار الشيخ كتاباً ليقراه الطلاب في الفن الذي أوكل إليه تدريسه، وغالباً ما يكون الكتاب لأحد مشاهير العلماء المعاصرين أو السابقين، بحيث يسمع الطالب قراءة الكتاب على الشيخ من أوله إلى آخره، فيقرأ الطلاب عليه الكتاب بأن يقرأ كل يوم طالب من الطلاب، وبعد قراءة كل مسألة يقف الطالب ويبدأ الشيخ بشرح ما قرأ الطالب، فيحل الألفاظ ويشرح ما غمض، ويضرب الأمثلة، ويصحح التصحيف والسقط، ويكتب الطالب ذلك الشرح ويضع علامة الضبط حيث يصل كل يوم في القراءة، وذلك الضبط غالباً ما يكون بلفظ «بلغ عن الشيخ فلان بن فلان يوم كذا بتاريخ كذا وكذا، بقراءة فلان بن فلان، في الجامع الأزهر»، وكان الطلاب مطالبين بحفظ المتن وفهم الشروح، ويسألهم الشيخ عن ذلك في كل يوم.

ولم تخل كلا الطريقتين عن المناقشات والاستفسارات، ولا شك أن طريقة الشرح التفصيلية كانت تختلف من عالم إلى آخر بحسب قدراته على التبسيط والشرح، وكان الطلاب مطالبين بحفظ ما يلقى الأستاذ ويقيمون لذلك جلسات المراجعة، كما أن نظام المعيد الذي كان معمولاً به في النظامية عمل به في الأزهر أيضاً، وكان الشيخ يعطي الطلاب الذين ينهون الكتاب عليه إجازة علمية هي بمثابة الشهادة الجامعية.

**ملاحظة مهمة:** كان الشيخ قبل أن يجلس للتدريس يعد درسه من عدة كتب، ويطلع على كثير من المراجع حتى يستحضر أطراف المسائل، ويستعد بذلك لشرح المسائل الدقيقة بتفاصيلها وللإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الطلاب.

## طريقة دراسة الطلبة للمواد الفقهية في الأزهر

كان لطلبة الأزهر نظام خاص بحضورهم وغيابهم في المجالس العلمية، فكان للجامع دفتر يقيّد فيه أسماء المنتسبين إليه من الطلبة، وبيان التابعين لكل رواق، ولم يكن الغياب مسموحاً للطلاب

١ الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦ ص ١٥٧.

٢ عبد الحميد يونس وعثمان توفيق، الأزهر (القاهرة: دار الفكر العربي، د. ط، ١٩٤٦م)، ص ٦١.

بدون عذر، أو الانقطاع عن حضور الحلقات، خاصة أن نظام التعليم قائم على التلقي والأسانيد المتصلة بالسماع من عالم إلى عالم، وقد اشتهر عند طلبة الأزهر قديما القول: «من حفظ المتون حاز الفنون»، فكان الطالب يحفظ متنا في العلم الذي يتلقاه، كمتن أبي شجاع و متن الورقات و متن جمع الجوامع أو منهج الطلاب أو غيرها من المتون الفقهية المشهورة، وكان يساعده ذلك على ضبط المسائل، خاصة عند الخوض في التفاصيل الدقيقة، فإن من لم يحفظ أي متن في صدره تختلط عليه المسائل، وهذا واضح جدا خاصة في باب الفرائض والمعاملات.

كان الشيخ يطلب من طلابه تحضير الدرس الذي سيلقيه في اليوم التالي، فكان الطلاب قبل أن يحضروا حلقة الشيخ يقرؤون المتن وشرحه وما عليه من الحواشي مرة أو أكثر، جماعات أو فرادى، وإن لم يفهموا أمرا من الأمور وضعوا علامة ليسألوا عنها المدرس بعد الشرح إن بقيت غير مفهومة عندهم، وكان الأذكياء والنبهاء من الطلبة يطالعون الدرس لبقية الطلاب مطالعة بحث وفهم وتدقيق، حتى يأتي الطلاب إلى الحلقة على تمام الاستعداد.

**ملاحظة مهمة:** إن طريقة الأزهر القديمة هذه تعد من أحدث الطرق في التدريس في القرن الحادي والعشرين، وتتفق في كثير من أساليبها مع طريقة دلتون في التربية الحديثة، إلا أن بعض الضعفاء ومن ليس عندهم ذكاء أخذوا جزءا من هذه الطريقة الذي يتعلق بالحفظ والتكرار وتركوا جانب الفهم والتحليل والمناقشة والاستدلال، وزعموا أنهم يتبعون طريقة الأزهر القديم، فظن بعض الباحثين ممن ليس عنده اطلاع كاف على الأساليب التعليمية الحديثة والقديمة بأن طريقة الأزهر بالية ولا تنفع في التدريس لأنها تعتمد الحفظ فقط، وظن البعض أنها تمنع الطالب من التفكير السليم وتوجهه إلى القوقعة والانغلاق والتقليد الأعمى للمشايخ الذي يكون بترك الأدلة الشرعية الواضحة واتباع رأي الشيخ ولو كان مخالفا للشرع. وهنا يود الباحث أن ينبه على أن هذه الفكرة ليست صحيحة عن نظام الأزهر القديم من حيث الإجمال، مع تأكيد بأن بعض الأساتذة والطلاب لم يتبعوا هذه الطريقة مجذافيرها بل أخذوا جزءا منها وراحوا نحو الغلو في التقليد، بحيث إنهم لا يقبلون بانتقاد أي مسألة في الكتب القديمة التي حفظوها ولو كانت هذه المسألة في الكتاب مخالفة للقرآن، فشوهوا صورة الأسلوب الأزهري في تلقي العلوم الشرعية، وليس هذا من المنهج الأصيل للأزهر الشريف.

### الاختبارات

لم يكن هناك امتحانات شهرية أو سنوية في الزمان الماضي كالتي تفعل الآن في الجامعات الحديثة، إلا أنه عمل لاحقا نظام للامتحان بحيث يمتحن كل من يريد التدريس عند الفراغ من دراسة كل المواد المقررة، كان الامتحان في أحد عشر علما هي: التفسير والحديث والأصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق. فكان من أراد دخول الامتحان بعد الانتهاء من حضور «السعد» و «جمع الجوامع» يقدم التماسا لشيخ الأزهر ليكون من المدرسين، وأنه حضر كذا وكذا من العلوم، فيسأل عنه شيخ الأزهر الأساتذة الذين يعرفونه ودرسوه، ثم يحدد له من كل

علم درسا، يعين له يوم لمطالعة كل علم ومراجعتة، ثم عند انتهاء أحد عشر يوما يعقد له مجلس الامتحان، فيكون هو فيه كالشيخ والمشايخ كطلاب، ثم يسأله المشايخ في مختلف الفنون، من هنا وهناك، ويناقشونه مناقشة تفصيلية دقيقة، وقد يستمر المجلس اثنتا عشرة ساعة لا يقوم فيها الطلاب إلا إلى الصلاة وتناول الطعام، فإن أجاب إجابة ممتازة في كل العلوم، كتب في الدرجة الأولى، وإن لم تكن إجاباته ممتازة كتب في الدرجة الثانية، وإن كانت متوسطة ففي الثالثة، وإن لم يجب الطالب الممتحن على أسئلته أمر بالقيام من المجلس ولم يؤذن له في التدريس. وكانت هذه الطريقة حافزة للطلاب على الجد والاجتهاد وسهر الليالي في المطالعة والدراسة والحفظ.

### المطلب الرابع: طريقة التلقي وأثرها في بلاد نوسنتارا

إن اسم نوسنتارا هو اسم لعدة نواح وبلاد واقعة في جنوب شرق آسيا وهي تضم في زمننا الحاضر ماليزيا وأندونيسيا وسنغافورا وبروناي وجنوب الفلبين وجنوب تايلند، ولا شك أن الناظر في هذه البلاد يرى أن فيها ملايين المسلمين الذي بأغلبه هم أشاعرة شافعية، ولا ندري إلى الآن متى وصل الإسلام إلى نوسنتارا تحديدا، فهناك نظريات ودراسات عديدة عن هذا الموضوع إلا أن كلها لم تصل إل تحديد تاريخ دخول الإسلام على وجه اليقين والدقة، ولكن الظاهر والأقرب من تلك الأقوال والقصص الكثيرة أن الإسلام قد وصل ما بين القرنين السادس والثامن الهجري من خلال العرب.

لا شك أن بلاد نوسنتارا قديما قد حظيت بحظ وافر من العلماء الذين نشروا فيها العلوم الإسلامية عبر طريقة التلقي التي نقلها الدعاة إلى بلادهم مع وصول الدعوة الإسلامية إلى تلك البلاد، وعبر جهد أبناء شعوب تلك البلاد الذين كانوا يسافرون بالسفن عبر المحيطات للوصول إلى مكة أو المدينة أو مصر أو اليمن أو نواح أخرى بغية تلقي العلوم الإسلامية من أفواه العلماء، فيمضي بعضهم عشرين سنة ويمضي بعضهم ثلاثين سنة ويمضي بعضهم أكثر من ذلك ثم يعودون إلى بلادهم علماء وفقهاء ومحدثين ومفسرين، نهلوا من بحور العلم الشيء الكثير، ثم بعد وصولهم يبني لهم أبناء قريتهم الذين انتظروهم كثير ما يعرف ب «فودوق» في ماليزيا أو «بنسانترين» في أندونيسيا، وهما اسمان للمدارس الإسلامية التي تتعمد طريقة التلقي على منهج الأشاعرة الشافعية، ثم يبقى العالم في تلك المدرسة سنين طويلة يعمل على تلقين الطلاب العلوم الإسلامية مشافة، وقد ترجم علماء هذه المدارس الكثير من كتب الأشاعرة الشافعية إلى لغتهم المالايوية، وعرفت تلك الكتب لاحقا ب «كتاب كونيغ» لأنها كانت تطبع على الأوراق الصفراء في الزمان الماضي، وهي في غالبها كتب الأشاعرة الشافعية الذي هو مذهب علماء هذه البلاد.

إن من أشهر العلماء الدعاة الوافدين إلى نوسنتارا والذين كان لهم أثر كبير في تقوية طريقة التلقي في الزمان الماضي الشيخ نور الدين محمد جيلاني بن علي حسنجيء الرنيري الأشعري الشافعي الرفاعي القادري المولود سنة ١٠٠٩ هـ، وهو من أصل يماني ولكن ولد في رنير في الهند ثم تعلم في مكة وذهب بعد ذلك إلى أتشيه في أندونيسيا ومكث فيها سبعة عشر سنة وصار مفتي أتشيه الرسمي، وهو أول

١ سليمان بن إبراهيم بن عمر الباروحي، الطرق الصوفية في ماليزيا وأثرها في الدعوة الإسلامية (نغري سمبيلان، دار الإفتاء بولاية نغري سمبيلان، ط ١، ١٤٢٣هـ) ص ٤٩

من كتب كتاب فقه شافعي واسع باللغة الملايوية بعنوان الصراط المستقيم.

وأما أمثال علماء نوسنتارا الذين هم من أبناء هذا البلاد ثم سافروا في طلب العلم إلى نواح شتى فكثيرون جداً، ومن أشهرهم الشيخ داوود الفطاني المولود سنة ١١٣٣هـ والذي ألف الكثير من الكتب باللغة الملايوية في مختلف الفنون، ومفتي بنجر في القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد أرشد البنجاري الذي أمضى خمسا وثلاثين سنة في طلب العلم في بلاد الحجاز، وهو جد عالم قدح المشهور بتوان حسين قدح حسين طيب المسعودي البنجاري، ومن أشهرهم الشيخ أحمد بن محمد زين الدين الفطاني شيخ علماء ومفاتي الملايو في زمانه، حيث تخرج عليه مفتي سلانجور الأول تونكو محمود زهدي، ومفتي بينينغ الشيخ عبد الله فاهم، وتوء كنائي كلانتن والشيخ عثمان سرواك وغيرهم كثير.

والملاحظ أن هؤلاء العلماء كانوا متمسكين بعقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية كما هو واضح من كتبهم القديمة التي تعتمد تدريس الصفات العشرين كأساس لعلم العقيدة وكان تدريسهم لهذه الكتب القديمة هو إحدى الوسائل في الحفاظ على عقيدة أهل السنة والجماعة.

### المبحث الثالث: أثر طريقة التلقي في المحافظة على الوسطية والاعتدال

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ صدق الله العظيم.

إن الله تعالى قد جعل هذه الأمة أمة وسطاء، وأرسل إليها رسوله المصطفى ﷺ الذي دعا إلى العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وهو الذي علم هذه الأمة الحضارة والاعتدال والأخلاق الرفيعة من بعد جاهلية مظلمة عم فيها الطغيان والتخلف والظلم والإجرام.

### المطلب الأول: طريقة التلقي وأثرها في نشر الوسطية.

إن الصحابة والتابعين ومن تبعهم ممن وفقه الله تعالى من أهل الفهم والمعرفة قد اقتفوا أثر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فنقلوا المفاهيم الإسلامية والاعتدال النقي جيلا عن جيل، عبر نشرهم العلوم الدينية الصحيحة بطريقة التلقي بالأسانيد المتصلة للعلوم الإسلامية التي علمها النبي ﷺ، فكانت طريقة التلقي طوق أمان تحمي طلبة العلم من تلقف الأفكار المتطرفة الدخيلة التي لا تمت للإسلام بصلة، وكان المشايخ والعلماء يحذرون من أخذ العلم ممن لم يأخذه بالتلقي، وكانوا ينبهون الطلاب أن لا يستمعوا لمن عرف عنه الانحراف والشذوذ عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن ذلك الشعر المشهور عن ابن المبارك رضي الله عنه يحث فيه طلبة العلم على أخذ العلوم بالتلقي ويحذرهم يحذر فيه طلبة العلم من أخذ العلوم من المنحرفين حيث قال:

أيها الطالب علما  
واطلبن العلم منه  
إيت حماد بن زيد  
ثم قيده بقيد

## لا كجهم لا كثور لا كعمرو بن عبيد

وجهم وثور وعمر بن عبيد ثلاثتهم من الذين شذوا عن معتقد أهل السنة والجماعة، ولم يتبعوا ما نقله العلماء بالتلقي والإسناد إلى الصحابة رضوان الله عليهم، بل عمدوا إلى التشكيك في ما رواه الأئمة بأسانيدهم.

لقد ساهمت طريقة التلقي في نشر الوسطية والاعتدال ومحاربة التطرف في الاعتقاد والعمل عبر الأمور التالية التي نتجت عن اسعمال العلماء لطريقة التلقي:

\* عزل الفكر المتطرف الذي لا يعتمد أسانيد أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية، ومنع وصول السموم التي ينشرها دعائه إلى الطلبة الذين رسخ في قلوبهم أن العلم بالتلقي.

\* تحصين المجتمع بسلاح العلم الديني الصحيح المتلقى من بالأسانيد المتصلة، والصافي مما يشوب ويكدر ويفسد عقول الشباب ويجعلهم تائقين ومتحمسين للانخراط في أعمال التطرف.

\* تناقل الكتب المعتمدة عند أهل السنة بالأسانيد إلى الأئمة الكبار وجعلها مراجع تعتمد في نقل العلوم، والتحذير من المؤلفات المسمومة التي ينشرها المتطرفون الشاذون عن مذهب أهل السنة والجماعة.

إننا إذا نظرنا إلى بلاد المسلمين وتاريخها نجد علماء الأمة في مشارق الأرض ومغاربها الذين اعتمدوا طريقة التلقي هم أعلام ومشاهير أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية، فمثلاً بلاد الملايو، ماليزيا وأندونيسيا وبروناي وجنوب تايلند علماءهم اعتمدوا طريقة التلقي منذ وصل الإسلام إلى بلادهم على أيدي علماء الأشاعرة، وإلى الآن ما زالت المدارس القديمة المعروفة بـ«الفنادق» يدرسون الناس الصفات العشرين، ويعتمدون تدريس كتب الأشاعرة في العقيدة بـ«التلقي كجوهرة التوحيد، والسنوسية، وسلم المبتدي، ومطلع البدرين، وعقيدة الناجين وغيرها من الكتب المشهورة، وقد حمت هذه المدارس القديمة المذهب الأشعري الشافعي لمئات من السنين وشكل علماءها خط دفاع منيع في وجه المشوشين من الفرق الضالة، حتى عرف هؤلاء العلماء بـ«قوم تواء» وعرف المنحرفون بـ«قوم مودا»، وصار في عرف أهل السنة والجماعة من قاطني هذه النواحي أنه إذا أطلقت عبارة «قوم تواء» فالمراد بهم علماء الفونودوق الأشاعرة الشافعية الذين يرفضون العقائد الشاذة ويردون عليها.

ومن أشهر علماء الملايو الذين اتبعوا طريقة التلقي تعلمًا وتعليمًا في مدارسهم ومجالسهم الشيخ محمد زين بن جلال الدين الأتشي صاحب كتاب بداية الهداية (ولد في القرن ١٠هـ)، والشيخ داود بن عبد الله الفطاني صاحب التصانيف المشهورة ومنها سلم المبتدي (ولد ١١٨٣هـ)، والشيخ عبد الصمد الفلمباني (ت ١٢٠٦هـ)، والشيخ عبد القادر بن عبد الرحيم من أشهر علماء ترنجانو (ت ١٢٨٠هـ تقريباً)، والشيخ توان منال زين العابدين الفطاني صاحب كتاب عقيدة الناجين (من علماء القرن ١٣هـ)، والشيخ محمد عمر بن نووي البنتاني شارح سلم التوفيق (ت ١٣١٤هـ)، والشيخ الحاج



محمد صالح دارات من كبار علماء جاوا وصديق الشيخ نووي البنتاني وتلميذ الشيخ أحمد زيني دحلان كتب شرحا على جوهرة التوحيد (ت ١٣٢١هـ)، والشيخ العالم العلامة أحمد بن محمد زين الدين الفطاني (ت ١٣٢٥هـ) شيخ علماء الملايو في زمانه وصاحب فريدة الفرائد، والشيخ الحاج عبد الله فاهم الذي كان معروفا بتمسكه بمنهج الأشاعرة الماتريدية (ت ١٣٣٠هـ)، والشيخ وان علي بن عبد الرحمن بن عبد الغفور كوتان الكنتاني (ت ١٣٣١هـ)، والشيخ محمد بن إسماعيل داود الفطاني صاحب كتاب مطلع البدرين (ت ١٣٣٣هـ)، والشيخ أحمد خطيب المنكاباوي (ت ١٣٣٤هـ)، والشيخ حسين بن محمد ناصر بن محمد طيب المسعودي البنجاري صاحب كتاب هداية المتفكرين (ت ١٣٥٤هـ)، والشيخ مختار بن عطار البنتاوي البقوري نزيل مكة وصاحب كتاب أصول الدين اعتقاد أهل السنة والجماعة، والشيخ سراج الدين عباس صاحب كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة، والشيخ وان إسماعيل بن عبد القدير بن مصطفى الفطاني صاحب كتاب باكورة الأمان، والمسند المحدث الشيخ ياسين الفاداني (ت ١٤١٠هـ).

### مساهمة سلاطين الملايو في تقوية طريقة التلقي لنشر الوسطية وحماية الشعوب من التطرف

إن سلاطين الملايو الذين تمسكوا بمنهج أهل السنة والجماعة في الزمان الماضي كان لهم دور كبير في نشر طريقة التلقي وتقويتها لأنهم عرفوا أن بها تصل العلوم إلى الرعية على الوجه الصحيح، وأنها تحمي الطلاب ممن دخول الأفكار المتطرفة، وخير مثال على ذلك ما فعله السلطان العالم سلطان سلاجور الخامس علاء الدين سليمان شاه الذي ألف أحد الكتب التي تعرف بـ «بكتاب كونيغ» بعنوان «فوهون أكام» شرح فيه عن الصفات العشرين ثم أمر بتدريس هذا الكتاب في كل المدارس الدينية في سلاجور، وهذا السلطان تلقى العلم من عدة علماء منهم الشيخ العالم تونكو محمود زهدي بن تونكو عبد الرحمن الفطاني تلميذ الشيخ أحمد زين الدين الفطاني وعلماء مكة الآخرين. وكذلك فعل السلطان اسكندر شاه سلطان فيراك في كتابه «الرسالة الإسكندرية»، وعلى نفس المنهج كان ملك رياو الحاج عبد الله بن الملك جعفر (عاش في القرن ١٢هـ) وهو تلميذ الشيخ داود الفطاني والشيخ أحمد الجبرتي المكي.

وما فعله علماء وسلاطين الملايو هو نفسه ما فعله السلطان المجاهد العالم الفقيه صلاح الدين الأيوبي الذي حرر بيت المقدس وكان سنيا أشعريا شافعيًا، ولد في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة (٥٣٢هـ)، وكان رحمه الله عالما صالحا متواضعا، ورعا دينيا زاهدا، شديد المواظبة على صلاة الجماعة، حريصا على السنن والنوافل وقيام الليل، حافظا لكتاب الله، حافظا لكتاب التنبيه في الفقه الشافعي، كثير سماع الحديث، قانتا لله لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان حريصا على نشر علوم أهل السنة وخاصة علم التوحيد بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر، وكان قد حكم من أقصى اليمن إلى الموصل، ومن طرابلس الغرب إلى النوبة. ولي بر الشام

١ وان محمد صغير عبد الله، مجموعة الأعمال العلمية (كوالالمبور، الخزانة الفطانية، د. ط، ١٩٩١ ر). وانظر كتابه الذي ألفه في تراجم العلماء الملايوين، مجلدان طبع الخزانة الفطانية أيضا.

٢ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٤/ ٣٢٥-٣٤١، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٥٠-٣٣٠، السلوك لمعرفة دول الملوك: للمقرئزي ١/ ٤١-١١٤، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٦/ ٣-٦٣.

كُلُّهُ، واليمنَ كُلُّهُ بما فيه من الإمارات وقطر والبحرين وعمان، والحجازَ كُلُّهُ، ونجداً كُلُّهُ، وولي مصرَ، عمّر المساجد والمدارس وأمر بتعليم العقيدة الأشعرية فيها وبتلقين العلوم بالتلقي للطلاب، وعمّر قلعة الجبل، وسور القاهرة، وبنى قبة الشافعي، وأبطل الضريبة، وفتح نيفا وسبعين مدينةً وحصنا، وخلّص القدس وطهرها بعد أن كانت تحت الأسر تسعين سنة. توفي رحمات الله عليه سنة تسع وثمانين وخمسمائة (٥٨٩هـ).

وأما مساهمته في الحفاظ على علوم التراث وخاصة العقيدة الأشعرية، فقد أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح على المآذن بالليل، بذكر العقيدة المرشدة، وهي ملخص للعقيدة الأشعرية، فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة بسائر الجوامع واستمروا عليها إلى ما يزيد على أربعمائة سنة.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) في كتابه «الوسائل إلى معرفة الأوائل» ما نصه: «فلما ولي السلطان صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين أن يعلنوا في وقت التسبيح بذكر العقيدة الأشعرية، فواظب المؤذنون على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا».

وقد أمر صلاح الدين أن تُعلّم المنظومة التي ألفها له محمد بن هبة البرمكي الأشعري للأطفال في الكتاتيب واسمها «حدائق الفصول وجواهر العقول»، ومما جاء فيها:

وصانع العالم لا يحويه	قطر تعالى الله عن تشبيهه
قد كان موجودا ولا مكانا	وحكمه الآن على ما كانا
سبحانه جلّ عن المكان	وعزّ عن تغير الزمان
فقد غلا وزاد في الغلو	من خصه بجهة العلو

فهذا السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي نشر العدل والإحسان والوسطية كان من أكبر الداعمين لطريقة التلقي، وكان ذلك من أسباب استقرار الأمن في البلاد التي حكمها.

**المطلب الثاني: طريقة التلقي «وكتاب كونينغ» في مواجهة ما يسمى بال «لا مذهبية».**

على مر الأيام وتوالي العصور كان هناك دائما من يريد النيل من منهج الاعتدال والتوسط الذي يحملها علماء أهل السنة والجماعة، صوبت على مناهجهم وأساليبهم وكتبهم ضربات الحقد والحسد، وحاول المتطرفون على مر العصور أن يفرقوا الناس عن هذا المنهج، تارة بانتحال اسم أهل السنة والجماعة زورا لإيهام الناس أن المعتدل متطرف وأن المتطرف معتدل، فتختلط المفاهيم عند البعض ليسهل صيدهم، وتارة باتهام علماء أهل السنة بالزيغ والانحراف والضلال والشرك وأنهم مبتدعة، وتارة بالاستهزاء بأساليب تعليمهم للعلوم والادعاء بأنها طريقة تلقين من غير فهم، وأن ما يعلمونه من الصفات العشرية وغير ذلك يشوش فكر الطالب ويعقده، وتارة بالهجوم على كتب التراث «وكتاب كونينغ» التي يستعملونها وادعاء أنها محشونة بالضلال والأحاديث الموضوعية وينبغي تركها، وتارة بادعاء أن أسلوب التلقي المتبع هو تمذهب بمذهب معين ولا يجوز في الإسلام اتباع مذهب

١ المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ) ج ٤ ص ٥١.  
٢ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الوسائل في مسامرة الأوائل (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، د.ت) ص ١٥.

بل هو شرك، وأن الصواب هو الـ «لا مذهبية» في الإسلام، ومن ثمَّ يقومون بالتحريض على علماء التراث المعتدلين وقتلهم واستحلال دماء متبعيهم تحت عنوان تطهير البلاد من الشرك والبدع والخرافات.

لقد بات واضحاً لكل ذي بصيرة أن طعن الوهابية بطريقة التلقي و «كتاب كونيغ» وتعليم الصفات العشرين هو في حقيقته طعن بمنهج الأشاعرة والماتريدية، وعلماء المذاهب الأربعة، وبالسلسلة الذهبية للإسناد التي تربطنا بأتباع التابعين وبالتابعين ومن ثمَّ الصحابة والتي تعتبر من أهم عناصر الأمان في نقل الدين، وما ذاك الطعن إلا ليسهل على المنحرفين التحريف في النقل، فإن هذا الطعن إنما يأتي من مجموعات وفرق تحمل أفكاراً واعتقادات تخالف أصل الاعتقاد الذي كان عليه المسلمون كافةً، وهم في الغالب يروجونه أفكارهم الهدامة مرفقة بالمغريات المالية كالمنح دراسية للدراسة في مؤسساتهم بدل مؤسسات أهل السنة والجماعة، والرواتب شهرية، الرحلات المجانية، وهدايا قيّمة... وغيره من الأساليب.

فليحذر أهل الحل والربط من هذا الأمر الخطير، فإن أتباع الطاعنين بطريقة التلقي والداعين لإحلال ما يسمى بالـ «لا مذهبية» مكانها، قد كشفوا القناع الحقيقي عن وجوههم آنفاً في عدة بلاد، وفقد رأينا الظهور الإعلامي لقاطعي الرؤوس، ولآكلي القلوب البشرية، ولمفجري العبوات بالنساء والأطفال والأبرياء ومن ورائهم شعارات تربطهم بالسلف زورا وكذبا، فزوروا تاريخنا المشرق بالعلم والمعرفة والانفتاح على كل ما هو مفيد، وصوروه بأنه تاريخ أسود دمويّ عنوانه التكفير والتقتيل والتفجير، هو هدفٌ خبيث يراد منه الإضرار بسمعة المسلمين الأوائل والحاليين، فلا ينبغي أن نكون أدوات في هذا المشروع الفتاك.

### المطلب الثالث: جهود علماء الملايو أبطال أهل السنة الأشاعرة

ولقد دأب علماء الملايو القدامى الذين كان أبطال الأشاعرة أهل السنة على التحذير من أهل الزيغ والانحراف، كالوهابية وأسلافهم كابن تيمية الحراني، وتلميذه ابن القيم وغيرهما بهدف المحافظة على منهج أهل السنة والجماعة، والمحافظة على منهج الوسطية والاعتدال السائد في بلادنا، ومن أشهر الكتابات لعلماء الملايو التي تظهر غيرتهم على منهج أهل السنة والاعتدال والوسطية وتحذيرهم من الوهابية ما يلي:

\* كتاب تزكية الأزهار وتصفية الأفكار، لمفتي سلانجور الأول تنكو محمود زهدي بن تونكو عبد الرحمن الفطاني، وقد رد فيه على الوهابية وابن تيمية وابن قيم الجوزية.

\* كتاب الخطط المرضية في الرد على من قال ببدعة التلفظ بالنية، للشيخ أحمد خطيب بن عبد اللطيف المنكباوي شيخ وإمام الشافعية في المسجد الحرام.

\* القطوف السننية لما بعد ما في الفوائد العلية، للشيخ حسن الدين بن محمد معصوم بن أبو بكر الدالي الجاوي الشافعي.

\* النصوص الإسلامية في الرد على مذاهب الوهابية، الشيخ الكياهي محمد فقيه بن عبد الجبار المسكومياني.

\* فتوى مفتي جوهور، لمفتي جوهر السابق الفقيه السيد علوي بن طاهر الحداد.

\* سنجات شريعة، وهو كتاب كتبه عالمان ماليزيا في الرد على الوهابية وابن تيمية وابن القيم، وعليه تقرّظ من مفتي ولاية بينج السابق الشيخ عبد الله فاهم المشهور في بلادنا أنه من أبطال الاستقلال الماليزي.

\* مطالع النوار ومجامع الأزهار للشيخ عثمان جلال الدين من مشاهير علماء ماليزيا، وكتابه هذا كتاب كبير يرد فيه على الوهابية ويبين فيه بأسهاب ضلالات ابن تيمية وشذوذاته، وعقد فيه فصلا لما خرق فيه ابن تيمية إجماع العمة وعدد مسائل كثيرة.

\* سراج الطالبين على منهاج العابدين، للشيخ كياهي إحسان بن محمد دحلان الجمفي الكديري الشافعي.

\* إعتقاد أهل السنة والجماعة، للشيخ الكياهي سراج الدين عباس.

\* عقيدة أهل السنة والجماعة الله لا يجلس على العرش، للشيخ يعقوب صبري داود الإسماعيلي من علماء الفطاني.

\* وغيرها كثير.

### المطلب الرابع: التحديات المعاصرة التي تواجه طريقة التلقي.

إن الله تعالى قد جعل هذه الدنيا دار بلاء وامتحان للأتقياء، وأشد الناس فيها بلاء هم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وفي كل عصر من العصور كان هناك من يهاجم أهل السنة والجماعة، ويحرض عليهم، إلا أننا في هذا الزمان نشهد موجة عنيفة جدا تكاد تكون من أعنف الهجمات على أهل السنة والجماعة، حيث تصدر بعض من نسبوا أنفسهم للسنة، وتستروا بدعوى اتباع القرآن، وصبوا جام حقدهم على تراث الأشاعرة والماتريدية، حتى بلغ بهم السيل في التطرف إلى تكفير علمائهم، والطعن في كتبهم ومناهجهم العلمية، وما ذا إلا بغية إحلال مذهب جديد متطرف لا يعرف إلا لغة القتل والسيف والعنف.

إن أبرز التحديات التي تواجه طريقة التلقي اليوم هي:

١. الهجمات الخبيثة على علماء التراث وأعلامهم المشهورين التي تتهمهم بالضللال ومثال ذلك ما ورد في كتاب يسمى «منهج الأشاعرة في العقيدة» ص ٢٨ يتهم مؤلفه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله بأنه متذبذب في العقيدة فيقول: «ولو قلنا أن الحافظ رحمه الله كان متذبذبا في عقيدته لكان ذلك أقرب إلى الصواب كما يدل عليه شرحه لكتاب التوحيد». ويقول كلاما قريبا من هذا عن الحافظ ابن حجر والحافظ النووي في ص ٢٩ ونصه: «يقال وافقوا الأشاعرة في أشياء مع ضرورة

بيان هذه الأشياء واستدراكها عليهم حتى يمكن الاستفادة من كتبهم بلا توجس في موضوعات العقيدة»، فالمؤلف يعتبر الحافظين ضالين في العقيدة.

وفي المقابل بعد تشويه سمعة علمائنا يتم تسليط الضوء على مرجعيات الفرق الضالة والمتطرفة وتلقيبهم بألقاب تغري الجهلة وتغرر بهم كلقب «شيخ الإسلام» ولقب «المجدد» و«محدث» و«مفتي» ونحو ذلك، ويقام بحملات إعلامية كبيرة تضخ لها الأموال الطائلة وتجند لها مؤسسات ضخمة بغية جعل هذه المرجعيات مشهورة لينفتن بهم العوام، فيتخيل العوام أن هؤلاء هم المرجع الذي يعتمد عليه في أمور الدين.

٢. الهجمات الخبيثة على المؤسسات التعليمية التي تعتمد طريقة التلقي واتهامها بأنها مراكز تنشر الشرك والضلال لأنها تعلم الصفات العشرين وغير ذلك منهج أهل السنة، وفي المقابل الترويج بقوة لمؤسسات تعليمية تابعة لفرق متطرفة عبر الإغراء بتقديم منح واتفاقيات تعليمية ومساعدات مالية وتسهيلات اجتماعية وغير ذلك.

٣. الهجمات الخبيثة على كتب التراث وادعاء أنها تحوي خرافات وأحاديث موضوعة بهدف استبدالها بكتب المتطرفين التي تغرق أسواق الكتب بل وتوزع مجاناً في كثير من الأحيان.

٤. الهجمات الخبيثة على أسلوب التلقي وحفظ العلوم وادعاء أنها طريقة متخلفة، واستبدالها بوسائل أخرى تهدف إلى إضعاف التعليم الديني لإدخال أفكار تناقض الإسلام على أبناء مجتمعاتنا.

### الخاتمة والتوصيات

في ختام هذا البحث أود أن أشير إلى بعض التوصيات التي ينبغي لأهل السنة والجماعة علماء وحكاماً أخذها بعين الاعتبار والعمل على تنفيذها سعياً في الحفاظ على الوسطية والاعتدال ووحدانية العقيدة والأمة:

\* التعاون بين القيميين على إدارة الشؤون الإسلامية من حكام ووزراء ومفاتي ورؤساء للإدارات الدينية ببذل كل ما في وسعهم لتقوية ودعم نظام تلقي العلوم الإسلامية الذي ينشر الوسطية والاعتدال، ودعم المدارس التي تعلم العلوم على طريق التلقي، بل وإدخال طريقة التلقي إلى الجامعات الحديثة.

\* العمل في وزارات التعليم على تضمين المقررات الدراسية في الجامعات والمدارس والمعاهد فصولاً خاصة لتوعية الطلاب على أهمية أخذ العلم بالتلقي وأهمية الأسانيد في الدين، وعدم أخذ العلم من أي كان حتى لا يقعوا في فخ المتطرفين.

\* التعاون بين القيميين على الإعلام الإسلامي من محطات تلفزيونية وإذاعات لتخصيص فقرات وحلقات للتعريف بطريقة التلقي وكتب التراث الإسلامي.

\* تخصيص مقالات دورية في المجالات والجرائد للتعريف بأهل السنة والجماعة وأعلامهم من علماء العرب والعجم، بحيث يختار في كل شهر عالم من العلماء لبيان فضائله وسيرته الذاتية.

\* تنشيط حركة الطباعة والنشر ورقياً وإلكترونياً التي تحفظ التراث الإسلامي لأهل السنة

والجماعة وتحفظ كتبهم من موجات التحريف التي يعمل عليها أعداؤهم.

\* إقامة المؤتمرات والمحاضرات المتتابعة والمتنقلة لإحياء علوم أهل السنة والجماعة وضحد الافتراءات التي أقيمت عليهم من قبل المغرضين.

\* التعاون بين أهل السنة والجماعة لبيان خطر ما تدعو إليه بعض الجماعات المتطرفة من تكفير علماء أهل السنة ورفض كتب التراث وطريقة لتلقي، وليبيان خطر هذه الدعوات على وحدة العقيدة والأمة.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه محمد ﷺ، والله تعالى أعلم.

مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ وَالْوَسْطِيَّةِ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ

الدكتور محمد محمد طلبه سعيد

مفكر إسلامي مصري، وباحث أكاديمي مستقل  
من علماء أهل السنة والجماعة

متخصص في العقيدة والفلسفة والدعوة الإسلامية  
خبير في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية والمخطوطات العربية والملايوية

**Dr. Mohamed Mohamed Tolba Said**

[mhdtolba@gmail.com](mailto:mhdtolba@gmail.com)





**المقدمة:** تتجلى مظاهر الوسطية في سيرة خير البرية، نبي الرحمة ورسول السلام محمد بن عبد الله ﷺ؛ الذي كان خُلِقَ القرآن، وكانت نقطة الارتكاز في أخلاقه صفة الرحمة والتسامح والعدل والاعتدال في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، حتى مدحه الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>١</sup>، وأرشدنا الله سبحانه وتعالى باتخاذهُ قُدوة طيبة وأسوة حسنة فقال جل جلاله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>٢</sup>؛ وذلك لأنه أرسله رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>٣</sup> أي نعمة لمن اتبعه على دينه من الجن والإنس<sup>٤</sup>، ومن هنا جاء اختياري لدراسة موضوع: «مَظَاهِرُ الرَّحْمَةِ وَالْوَسْطِيَّةِ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ».

**سبب اختيار الموضوع:** كان الدافع لاختيار هذا الموضوع تقديمه لـ «المؤتمر الدولي الإسلامي حول الاعتدال والوسطية في الإسلام» تحت عنوان: محمد نبي الرحمة ورسول السلام، وعنوان: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، المنعقد بمدينة سيدني في أستراليا في الفترة ٣-٤ ديسمبر ٢٠١٧م الموافق ١٤-١٥ ربيع الأول ١٤٣٩هـ، برعاية دار الفتوى المجلس الإسلامي الأعلى في أستراليا، وبالتعاون مع مجلس العلماء الإندونيسي - فرع جاكرتا، بعد موافقة اللجنة العلمية المنظمة للمؤتمر على قبوله.

ومن الأسباب أيضاً رغبتني في خدمة أمتنا العربية والإسلامية، والمساهمة في نشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، وتطوير مناهج الدعوة الإسلامية، ونقل صورة صحيحة عن الإسلام بإشاعة روح التسامح والرحمة والوسطية بين المسلمين في أستراليا والدول الآسيوية خاصة والمسلمين في البلاد العربية والإسلامية عامة، عن طريق بيان نموذج للقدوة الحسنة مستمد من السيرة النبوية الشريفة.

**أهمية الموضوع:** تنبع أهمية هذا الموضوع إلى أن أمتنا العربية والإسلامية المعاصرة في أشد الاحتياج إلى استعادة نموذج للقدوة الحسنة والافتداء بالرسول ﷺ؛ وذلك لأن المسلمين اليوم وفي تلك الحقبة التاريخية الحرجة يعيشون في أزمة فكرية، بعيداً عن منهج الاعتدال والوسطية والعدل والرحمة والتسامح، فهناك حكومات عربية وإسلامية فرّطت في حقوق شعوبها، وعلماء لم يقوموا بواجب الدعوة الإسلامية بالتعليم والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأفرطت الأمة في فهم دينها، وسالت دماؤها، وهتكت أعراضها، وهُدِّمت بيوتها، ورُمِلت نساؤها، ويُتمت أطفالها، وشردت شعوبها، وإني لم أقرأ في التاريخ الإنساني عن أمة من الأمم قتلت نفسها بنفسها مثلما حدث لأمتنا العربية والإسلامية في وقتنا الحاضر.

أجل، إن أمتنا العربية والإسلامية حاولت الانتحار بإفراطها، كما حاولت الإلحاد بتفريط بعض أفرادها؛ فبرزت جماعات تدّعي إسلاميتها وهي بعيدة عن الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام بأفعالها حتى وُصِفَتْ بالإرهابية في مصر وليبيا وتونس والسودان وسوريا والعراق وتركيا وقطر وإندونيسيا

١ سورة القلم: الآية ٤.  
٢ سورة الأحزاب: الآية ٢١.  
٣ سورة الأنبياء: الآية ١٠٧. وانظر تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى سنة: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، ط ١: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ، ج ٣/ ٩٧.

وماليزيا، وحتى قُتلت بأيدي أعدائها في الفلبين وتايلاند وبورما، وغيرها.

ومن هنا جاءت ضرورة عناية الأمة الإسلامية بالسيرة النبوية الشريفة؛ لأن «سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج، وكل صديق، وكل مرئي، وكل سياسي، وكل رئيس دولة، وهكذا.. ونحن لا نجد مثل هذا الشمول ولا قريباً منه فيما بقي لنا من سِير الرُّسل السابقين، ومؤسسي الديانات والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين».

**أهداف البحث:** الهدف من دراسة موضوع «مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ وَالْوَسْطِيَّةِ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ»، لتحقيق الأهداف الآتية:

**أولاً:** دراسة مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ وَالْوَسْطِيَّةِ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

**ثانياً:** تقديم نموذج للقدوة الحسنة مستمد من السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

**ثالثاً:** طرح مفهوم الوسطية والاعتدال والسماحة والرحمة ليكون دعامة لوحدة أمتنا العربية والإسلامية.

**منهج البحث:** المنهج المستخدم هو المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمتُ بجمع المعلومات المتعلقة بموضوع البحث، ثم وصف مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ وَالْوَسْطِيَّةِ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وتحليلها.

**محتويات البحث:** وقعت هذه الورقة البحثية في مقدمة وثلاثة محاور؛ المقدمة وبيّنت فيها: موضوع البحث، وسبب اختياره، وأهميته، وأهداف البحث، ومنهجه، ومحتوياته. المحور الأول: وفيه تعريف بمفردات عنوان البحث: (الْوَسْطِيَّةِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ). وجاء المحور الثاني لدراسة: صفة الرحمة نقطة ارتكاز الأخلاق النَّبَوِيَّةِ، وأما المحور الثالث فخصص لبيان: مظاهر الرحمة والوسطية في السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ.

## المحور الأول

\* التعريف بمفردات عنوان البحث

(الْوَسْطِيَّةِ - السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ)

**أولاً: مفهوم الوَسْطِيَّةِ:** الوسطية لغة: اسم من «الْوَسَطِ»، والوسط من الشيء: خياره وأعدله، يقال: شيء وسط: أي بين الجيد والرديء، ويقال رجلٌ وسطٌ: أي حَسَنٌ، وخير الأمور أوسطها، ويقال: عبدٌ وسطٌ، وأمّةٌ وسطٌ، وشيءٌ أوسطٌ، واليوم الأوسط، والليلة الوسطى، ويجمع الأوسط: على الأواسط، ويقال: هذا أوسطهم حسباً: إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً، وقومٌ فيهم وساطة: أي توسط في

الحق والعدل، وفي التنزيل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أعدلهم وأقصدتهم إلى الحق<sup>١</sup>.

**مفهوم الوَسْطِيَّة في التفاسير:** تُعد الوَسْطِيَّة خُصِيصَة من خصائص أمتنا الإسلامية التي أشار الله عز وجل إليها في آياته القرآنية فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾<sup>٢</sup>.

وقد ورد في التفاسير أن النبي ﷺ فسَّر قوله جل وعلا: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدولاً (١) أو عدلاً خِياراً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ...﴾ أي أعدلهم وأخيرهم، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين العُلُوِّ والتَّقْصِيرِ لأنهما مذمومان في الدين<sup>٣</sup>.

وورد في تفسير الإمام ابن كثير: والوسط ها هنا الحِيارُ والأَجودُ<sup>٤</sup>، فالأمة الإسلامية خير الأمم بشهادة الله في القَدَمِ، وفضُلتْ سواها بكونها ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ تقوم على جادة الاعتدال في العقائد والأخلاق والأعمال، وتسعى لإصلاح البشر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>٥</sup>.

وهكذا فمعنى الوَسْطِيَّة يدور حول الاعتدال بين الإفراط والتفريط والعدل والتسامح والرحمة، وقد تجلّت هذه الصفات في شخصية الرسول محمد ﷺ، وسجل العلماء لنا ذلك في مؤلفات أطلقوا عليها السيرة النبوية.

**ثانياً: التعريف بالسِّيرة النَّبَوِيَّة:** السِّيرة لغة: الاسم من «السَّير» وهو المُضِيُّ في الأرض: وتأتي في اللغة بمعنى السُّنة والطريقة والهيئة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريبياً كان أو مُكْتَسَباً، يقال: فلانٌ له سيرة حسنة وسيرة قبيحة، وقوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾<sup>٦</sup> أي: الحالة التي كانت عليها من كونها عوداً، والجمع «سَيْر»، وغلب اسم «السَّير» في ألسنة الفقهاء: على المغازي<sup>٧</sup>.

**وأما السِّيرة النَّبَوِيَّة اصطلاحاً:** فهي مجموع الأحداث والوقائع الثابتة بالروايات الصحيحة المتعلقة بحياة الرسول ﷺ محمد بن عبد الله وصفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، والوقائع حوله قبل ولادته إلى ما بعد وفاته ﷺ.

- ١ سورة القلم: الآية ٢٨.
- ٢ انظر معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، بيروت، ط: دار مكتبة الحياة، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م، ج ٥ / ٧٥٢. والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (المتوفى سنة ٧٧٠هـ)، صححه: مصطفى السقا، مصر، ط: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج ٢ / ٣٣٤، ٣٣٥. والمفردات في غريب القرآن، الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (كان في أوائل المائة الخامسة)، مصر، ط: المطبعة الميمنية على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخوة، ١٣٢٤هـ، ص ٥٤٤.
- ٣ سورة البقرة: الآية ١٤٣.
- ٤ انظر جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ٣ / ١٤٥.
- ٥ معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، ط ١: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ، ج ١ / ١٧٤-١٧٥. والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، ط ٢: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ج ٢ / ١٥٣.
- ٦ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط ١: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ج ١ / ٣٢٧.
- ٧ انظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مصر، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج ١ / ١٣٥.
- ٨ سورة طه: الآية ٢١.
- ٩ انظر معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، ج ٣ / ٢٤٦. والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (المتوفى سنة ٧٧٠هـ)، ج ١ / ٣٢٠. والمفردات في غريب القرآن، الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (كان في أوائل المائة الخامسة)، ص ٢٤٧.

## المحور الثاني صفة الرحمة نقطة ارتكاز الأخلاق النبوية

أولاً: مفهوم الرحمة

الرحمة أفضل البرِّ، وجميع الأخلاق الفاضلة لها صلة وثيقة بصفة الرحمة؛ فهي إما دوافع لها كالشجاعة أو مظاهر لها كالإحسان والتواضع والعفو.

وقد عني علماء المسلمين بتعريفها، ونختار من هذه التعريفات قولهم: «هي رِقَّةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وهي من الله: الإحسان والرزق والمغفرة والإنعام والإفضال، ومن آدميين: رقة وتعطف»<sup>١</sup>.

ثانياً: الرحمة نقطة ارتكاز الأخلاق النبوية:

مدح الله عز وجل الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وأرشدنا الله سبحانه وتعالى باتخاذهُ قُدوة طيبة وأُسوة حسنة فقال جل جلاله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>٢</sup>.

ومن رحمة الله بعباده أنه من الحقائق الثابتة: «توفر المعلومات التفصيلية الصحيحة عن حياة النبي ﷺ محمد في مراحل حياته جميعها، فليست في هذه السيرة التي استمرت ثلاثة وستين عاماً حلقة مفقودة، ومن خصائص هذا الوصف أن الباحث لا يكاد يجد علامة استفهام في سيرته كلها، وفي أخص خصائص النبي ﷺ... فقد كتاب «أخلاق النبي ﷺ وأدابه» للإمام جعفر بن حيان الأصفهاني (المتوفى سنة ٣٦٩هـ)، وصفاً دقيقاً لجميع قطع ملابس النبي محمد ﷺ، ووصفاً لجميع الأدوات التي كان يستعملها، ووصفاً دقيقاً لطريقة أكله، وشربه، ونومه، ودخوله، وخروجه، وجلسه، وكلامه، وضحكه، وبكائه، وحواره وتعامله مع الناس.

وكذلك تضمن وصفاً دقيقاً مفصلاً لجميع أعضاء جسمه الظاهرة لأصحابه، وتضمن حديثاً عن الحيوانات التي كان يركبها، وأسماء هذه الحيوانات، وغير ذلك مما لا يتسع له المقام.

ولم ينفرد بهذه المعلومات كتاب أو كتابان، بل تكررت في مئات الكتب الموثوقة والمشهود لأصحابها بالمنهجية العلمية والصدق والنزاهة»<sup>٣</sup>.

«وقد تجمعت الفضائل كلها في شخص النبي محمد ﷺ، فقد كان النبي محمد ﷺ أشجع الناس،

١ انظر الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢هـ)، بيروت، ط: دار صادر، بدون تاريخ، ص ٥٧.

٢ مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، د. سارة آدم، ص ٤٠.

٣ «الرَّحْمَنُ: الذي وسعت رحمته كل شيء، لا يقال لغير الله تعالى من حيث إن معناه لا يصح إلا له؛ وحُدِّف الألف بعد الميم ما دامت معرفة بالالف واللام: واجب. والرحيم: يستعمل في غيره، وهو الذي كثرت رحمته، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ] وقال في صفة النبي ﷺ: [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ]، وقيل: إن الله تعالى رحمان الدنيا ورحيم الآخرة؛ وذلك أن إحسانه في الدنيا يعم المؤمنين والكافرين، وفي الآخرة يختص بالمؤمنين» انظر معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، ج ٢ / ٥٦٤. والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ١٩٠، ١٩١.

٤ سورة القلم: الآية ٤.

٥ سورة الأحزاب: الآية ٢١.

٦ مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، د. سارة آدم، إعداد: د. زيد عمر عبد الله العيص، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ٢: رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٢٥، ٢٦.

وأكثرهم حلماً، وكان أكرم الناس، وأكثرهم زهداً، وكان رحيماً، عادلاً، عفواً، صادقاً، عفيفاً، أميناً، وكان مهيباً، وكثير التبسم، متواضعاً، وكان صلباً في الحق، وفي الوقت ذاته أشد حياءً من فتاة بريئة. وتميزت أخلاقه بالشمول والتوازن، وذلك يبين بجلاء أن العظمة إنما تكون حين تجتمع الأخلاق كلها في شخص واحد، لأن القيم المجزأة لا يمكنها أن تصنع عظيماً، ولا أن تسهم في سعادة البشرية. وكان النبي ﷺ محمد يمارس هذه الأخلاق بأفعاله، أكثر من أقواله، وهو ما جعلها قريبة من الناس، مألوفة لديهم، ممكنة التطبيق»<sup>١</sup>.

وكانت «صفة الرحمة» نقطة الارتكاز في أخلاق الرسول ﷺ وجميع أقواله وأفعاله وأحواله، حتى وصفه الله عز وجل بها فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>٢</sup>، بل إن الله عز وجل جعل النبي ﷺ محمداً هو الرحمة بعينها في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>٣</sup> أي نعمة لمن اتبعه على دينه من الجن والإنس<sup>٤</sup>.

وبنظرة في السيرة النبوية الشريفة نجد أن الرسول محمد ﷺ كان مستحضراً هذا الخلق، في كل حركاته، وسكناته، يؤكد هذا قوله عن نفسه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهَدَّاةٌ)<sup>٥</sup>، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)<sup>٥</sup>.

### المحور الثالث

#### مظاهر الرحمة والوسطية في السيرة النبوية

تتجلى مظاهر الرحمة والوسطية في السيرة النبوية في تحلي الرسول ﷺ بهما في أقواله وأفعاله وأحواله، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

#### أولاً: مظاهر الرحمة والوسطية في مرحلة الدعوة المكية

بدأت مظاهر رحمة النبي ﷺ بأتباعه وأعدائه على حد سواء، منذ اليوم الأول لدعوته، حين أزم نفسه وأتباعه بعدم الرد على إساءات أعدائهم، وأمرهم بالصفح والصبر والتسامح؛ لأن من آمن بالنبي ﷺ ومن كفر به أبناء مجتمع واحد، تجمعهم صلوات القربي والجوار وربما يضمهم بيت واحد.

وقد أفصح النبي ﷺ عن هذا المنهج حين طلب منه أتباعه أن يدافعوا عن أنفسهم، بسبب ما يتعرضون له من الأذى، حين قالوا له: يا نبي الله كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمننا صرنا أذلة،

١ المرجع السابق، ص ٣٣، ٣٤، ٣٦ بتصرف واختصار.

٢ سورة التوبة: الآية ١٢٨.

٣ سورة الأنبياء: الآية ١٠٧. وانظر مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، د. سارة آدم، ص ٣٨. وتفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى سنة: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، ط ١: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ، ج ٣ / ٩٧.

٤ أخرجه أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهاني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى سنة: ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ط ١: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، وقال أبو عبد الله الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعاً بهالك بن سَعْبَرٍ، والتفرد من الثقات مقبول»، حديث رقم: ١٠٠، ج ١ / ٩١.

٥ أخرجه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى سنة: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٢٣٠٧، ج ٣٦ / ٦٤٦.

فقال لهم: (إني أمرت بالعبء، فلا تقاتلوا القوم) ١.

وبعد مرور سبع سنوات على دعوته، قرر أعداؤه في مكة محاصرته وأتباعه وكل من يقف معه من أقاربه، في شُعب أبي طالب، بغية عزلهم عن العالم الخارجي ومقاطعتهم اقتصادياً واجتماعياً.

واستمر العزل والحصار ثلاث سنين، كانت جد قاسية ومروعة على النبي ﷺ ومن معه، والنبي ﷺ لم يبدل سلوكه واستمر يواجه أعداءه بالعبء والرحمة، حتى تحركت الرحمة في قلوب عدد من كار المعارضين له، وقرروا إنها الحصار وإلغاء العزلة، وخرج نبي الرحمة ومن معه منتصرين، وشعر أعداؤه بالحرَج والهزيمة لأن قسوتهم هزمت أمام رحمته ومسالته ٢.

ومن مظاهر رحمته بعد رجوعه من الطائف وتكذيبهم وأذيتهم له، أرسل الله جبريل عليه السلام مع ملك الجبال، فقال الملك: لو شئت يا محمد أطبق عليهم الجبلين، فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً ٣.

وعندما اشتد العذاب على المسلمين الضعفاء في مكة، رق قلب النبي ﷺ لهم، وأمرهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة، ورغبهم بالسفر إليها بقوله: (إِنْ فِيهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ)، فهاجر عدد كبير فوجدوا فيها الأمن والأمان، ولا يخفى أن الرحمة والشفقة على هؤلاء هي التي دفعت النبي ﷺ إلى أن يطلب منهم الخروج من مكة إلى الحبشة، على الرغم من حاجته إليهم ورغبته في بقائهم بجانبه ٤.

إن هذا المنهج للعبء والرحمة الذي سلكه النبي ﷺ لم يكن من تلقاء نفسه، بل أمره الله عز وجل به ٥، فقال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٦. وحرص نبي الرحمة على تذكير أتباعه بمنزلة الرحمة وأهميتها والتأكيد على أنها ليست خُلُقاً تكميلياً جمالياً، بل هي خُلُق لازم واجب، فقال لهم: (مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) ٧، وقال ﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) ٨.

## ثانياً: مظاهر الرحمة والوسطية في مرحلة الدعوة المدنية

١ مظاهر الرحمة للبشر، د. سارة آدم، ص ٥٢، ٥٣.

٢ المرجع السابق، ص ٥٧.

٣ أخرجه الإمامان البخاري ومسلم بسنديهما عن عروة بن الزبير، أن عائشة، زوج النبي ﷺ حدثته، أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ﷺ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد باليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن النعال، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: «فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»، فقال له رسول الله ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً). أخرجه الإمام محمد بن إسحاق أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى سنة ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم ٣٢٣١، ج ٤/ ١١٥. والإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ط: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمباغين، حديث رقم ١٧٩٥، ج ٣/ ١٤٢٠.

٤ مظاهر الرحمة للبشر، د. سارة آدم، ص ٧٧.

٥ المرجع السابق، ص ٦٠.

٦ سورة الزخرف: الآية ٨٩.

٧ أخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته الصبيان والعيال وتواضعه وفضله ذلك، حديث رقم ٢٣١٩، ج ٤/ ١٨٠٩.

٨ أخرجه الإمام محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى سنة ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، مصر، ط ٢: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم ١٩٢٤، ج ٤/ ٣٢٣.

تتجلى مظاهر رحمته في مرحلة الدعوة المدنية في مواقف متعددة، نذكر منها: عندما خرج مع أصحابه في العام السادس من الهجرة لأداء العمرة، فعلمت قريش بمقدمه وخرجت لمواجهته، فأمر النبي ﷺ بتغيير الطريق، وفضل أن يسير في طريق وعرة متعبة حتى لا تحصل بينهما حرب، رحمة بالطرفين.

وأكد النبي ﷺ هذا المعنى لوفد خزاعة الذي قام بدور الوساطة بينه وبين قريش، ولم يقتصر على هذه الوساطة بل أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ليبين لقريش أن الرسول ﷺ إنما جاء معتمراً ولا يريد حرباً.

واستمر النبي ﷺ على هذا المنهج المسالم، حتى عندما أشيع أن قريشاً قتلت عثمان رضي الله عنه، فأغضبه ذلك وأغضب أصحابه فبايعهم على الموت، ولكنه ترك الباب مفتوحاً مع قريش وقال بشأنها: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا)، ثم وافق النبي ﷺ على شروط قريش الظالمة التي أثارت غضب أصحابه؛ فقد تضمنت أن يرجع هو وأصحابه هذا العام، وشطبت من عقد الصلح كلمة: محمد رسول الله ﷺ، إلى غير ذلك من الشروط الظالمة، إلا أنه قدم المصالح العامة وحافظ على مقدرات البلاد المقدسة الكعبة ومكة المكرمة!

ومن مظاهر رحمته أنه مارس دور القاضي والمحامي في آن واحد، ليصرف ماعزاً عن الاعتراف بذنبه، فيقول له: لعلك فعلت كذا وكذا، حتى بلغ بالنبي ﷺ أن يقول لأصحابه: انظروا فقد يكون في عقله شيء، والنبي ﷺ متلهف إلى كلمة يدفع بها العقاب عن ماعز!

ومن مظاهر الرحمة والوسطية ما ورد أن امرأة من أشرف الناس سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها، تلون وجه رسول الله ﷺ، فقال: (أَتَكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ)، قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله ﷺ، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت قالت عائشة: «فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ»<sup>٣</sup>.

وقد أقام النبي ﷺ الحد على هذه المرأة من عليه القوم وأشرافهم، حتى لا يضيع العدل بين الناس بسبب الطبعية، وهكذا جمع النبي ﷺ بين العدل الواجب والرحمة الواجبة، وظهرت الوسطية في مواقفه بالجمع بين القوة التي تحمي الرحمة، والرحمة التي تهذب القوة<sup>٤</sup>.

١ مظاهر الرحمة للبشر، د. سارة آدم، ص ٧٨، ٧٩.

٢ المرجع السابق، ص ١١٠، ١١١.

٣ أخرجه الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب: المغازي، حديث رقم ٤٣٠٤، ج ٥ / ١٥١.

٤ مظاهر الرحمة للبشر، د. سارة آدم، ص ١١٣.

## الخاتمة

ظهرت الرحمة والوسطية في السيرة النبوية من خلال التزامه بهما ومزجه لهما، في جميع الأقوال والأفعال والأحوال، وكانت ذلك سبباً في ثبات الصحابة رضي الله عنهم على الإيمان، ودخول الناس في دين الله عز وجل أفراداً وأفواجاً.

## التوصيات

يوصي الباحث بالأمر الآتي:

- \* أولاً: تشكيل لجنة من علماء المسلمين المتخصصين في الدعوة والدراسات الإسلامية والعربية، بوضع منهاج موحد للسيرة النبوية وفقهها، وطباعته وتوزيعه على المسلمين في البلاد العربية والإسلامية، ويمكن رفعه على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» ليسهل الانتفاع به.
- \* ثانياً: تدريس السيرة النبوية في مراحل مبكرة لأبناء المسلمين في المدارس، وتستمر دراستها في مراحل التعليم المتوسط والجامعي.
- \* ثالثاً: تخصيص برامج إذاعية وتلفزيونية وإلكترونية حديثة لتجلية مظاهر الرحمة والوسطية في عرض السيرة النبوية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة حول شخصية محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.



\* القرآن الكريم

\* تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى سنة: ١٣٥٤هـ)، مصر، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

\* تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى سنة: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

\* تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى سنة: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، ط: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ.

\* جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى سنة: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

\* الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى سنة: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، ط: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

\* الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى سنة ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

\* سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى سنة ٢٧٩هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، مصر، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

\* السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، بيروت، ط: ٨: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

\* مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، د. سارة آدم، إعداد: د. زيد عمر عبد الله العيص، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: ٢: رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرتة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

\* المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه

بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى سنة: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ط: ١: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

\* مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى سنة: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: ١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

\* المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ط: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

\* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (المتوفى سنة ٧٧٠هـ)، صححه: مصطفى السقا، مصر، ط: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بدون تاريخ.

\* معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى سنة: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، ط: ١: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

\* معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، بيروت، ط: دار مكتبة الحياة، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.

\* المفردات في غريب القرآن، الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (كان في أوائل المائة الخامسة)، مصر، ط: المطبعة الميمنية على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخوية، بدون تاريخ.

\* الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢هـ)، بيروت، ط: دار صادر، بدون تاريخ.

## المراجع

- \* أبو حيان محمد بن يوسف بن علي النحوي الأندلسي، تفسير البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.
- \* الراغب الإصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.
- \* ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك، النهاية في غريب الأثر، بيروت: مكتبة العلمية، ١٩٧٩
- \* جامع الأصول في أحاديث الرسول، بيروت: مكتبة دار البيان، ١٩٧٢
- \* ابن سعد محمد بن سعد البصري الزهري، طبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، دون سنة الاصدار.
- \* ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، بيروت: دار صادر، بدون سنة الإصدار.
- \* البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، كتاب شعب الإيمان، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣
- \* الطبري محمد جرير بن يزيد الآمالي، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.
- \* الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسن الرازي الشافعي، تفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث، بدون سنة الإصدار.
- \* علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، بيروت: دار النفاثس، ١٩٩٧
- Muchlis M. Hanafi, Moderasi Islam, Jakarta: Pusat Studi al-Qur'an, 2013.
  - Ma'ruf Amin KH, Harmoni dalam Keberagaman; dinamika relasi agama-negara, Jakarta: Penerbit Dewan Pertimbangan Presiden bidang Hubungan antar Agama, 2011.
  - Munawir Sjadzali, Islam dan Tata Negara: Ajaran Sejarah dan Pemikiran, Jakarta: UI Press, 1990.
  - Nasaruddin Umar, Prof. DR. Deradikalisasi Pemahaman al-Qur'an dan Hadis, Jakarta: PT Elex Media Komputindo, 2014.
  - Tim Penyusun Kamus Besar Bahasa Indonesia, Kamus Besar Bahasa Indonesia, Jakarta: Balai Pustaka 2001.